جامعة أحمد دراية . أدرار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

# قصر أدغاغ بإقليم توات

# دراسة اجتماعية و ثقافية من القرن 12ه / 18م إلى النصف الثاني من القرن 14ه / 20م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصص: التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالبة: حليمة سليماني

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الكريم بوصفصاف

لجنة المناقشة:

| الأستـــاذ | الصفـــة | الرتبـــة | الجامعـــة |
|---|---|---|---|
| أد. محمد حوتية | رئيسا | أستاذ | جامعة أدرار |
| أد. عبد الكريم بوصفصاف | مشرفا ومقررا | أستاذ | جامعة أدرار |
| د. مبارك جعفري | مناقشا | أستاذ محاضر أ | جامعة أدرار |
| د. أحمد الحمدي | مناقشا | أستاذ محاضر أ | جامعة أدرار |

السنة الجامعية: 1436 –1437ه / 2015– 2016م

# الإهـداء

إلى من قال في حقهما عز من قائل"... فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما..." الإسراء 22. والدي الكريمين؛ أمي التي علمتني الصبر والجلد... أبي الذي علمني المثابرة في طلب العلم أطال الله عمرهما وأنعم عليهما بوافر الصحة والعافية؛ جدتي التي كان لها الفضل الكبير في إثراء بحثي هذا.

إلى من كانوا رفقاء و أنساء وحدتي على مر الأيام والأعوام إخوتي: حفصة؛ عمر؛حمزة؛ سامية؛ سهام؛ محمد الحسين؛ سماح؛دعاء ومحمد زين العابدين.

إلى من ساهم معي في إخراج هذا البحث في مراحله الأخيرة زوجي الغالي.

إلى زوجتي أخوي: فريدة و رمال وبراعمهما: قرة عيني أميرة دنيا زاد؛ طه محمد الأمين؛ محمد عمران؛ مولاي يعقوب و مولاي إبراهيم.

إلى زوجي أختاي : لحبيب وعبد العزيز وأبنائهما: مولاي إلياس؛ مولاي صفوان عبد الجليل؛ مولاي إسحاق و فرح بسمة.

إلى من قيل فيه "من علمك حرفا صرت له عبدا"؛ سيدي الطالب سيدي الصافي بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني رحمه الله مدرسي في الكتَّاب، ومعلمي في المرحلة الابتدائية السيد مبروك بن أحمد بن بلة صدوق أطال الله في عمره، وإلى كل أساتذتي في جميع الأطوار التعليمية وعلى رأسهم المرحوم الأستاذ محمد زنطار.

إلى الإخوة والأخوات الذين لم تلدهم أمي ولكنني تذوقت معهم صدق الأخوة:

أقيار محمد، بن صفية محمد، الحاج بوجمعة حنين، رشيدة كابوية، فاطمة زكري، فاطمة قليل، حسنية مزاولي، فاطمة عوماري، حليمة كحلاوي، رقية باميارك، حسيبة باحمان، عائشة التمالي، نجلاء سقوان.

إلى زملاء الدراسة والتدريس وكل من سعى في سبيل طلب العلم أونشر رايته.

إلى روح أولياء الله الصالحين وعلماء قصر أدغاغ الذين كان لهم الفضل في بعث الحياة الروحية والثقافية في القصر.

إلى كل هؤلاء ... أهدي هذا العمل المتواضع.

***ابنة توات: حليمة سليماني الأدغاغية***

# شكر و تقدير

بداية الشكر للمولى عز وجل على نعمه التي أصبغ علينا والتي بفضلها تمكنت من إنجاز هذا العمل المتواضع.

أتوجه بوافر التقدير وجزيل الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث ولو بأبسط فائدة، إلى كل من:

.جدتي الغالية لالة فاطنة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني، ورفيقاتها اللواتي ساعدنني في إثراء هذه المذكرة و على رأسهن الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير و الحاجة مباركة بنت عومر حماوي ، و الحاجة عائشة بنت الحاج محمد بن الحاج الحسان بن سالم العايدي، الحاجة أم الخير بنت الحاج علال بن محمد عبوبي، والحاجة خديجة بنت محمد بن عبد الرحمن حالة أطال الله في أعمارهن، وعلى صبرهن معي وتحمل فضوليتي التي كانت مصدر إزعاج لهن في كثير الأحيان.

.جدي سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني وزملائه الذين تمكنوا من إغراقي بكم هائل من المعلومات المحلية، أطال الله في أعمار الأحياء ورحم الأموات منهم.

.أبي سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي على صبره معي وتحمله عنادي وإصراري على نبشي في خزانة المخطوطات التي طالما فتحها في وجه طلاب العلم مع تمنياتي له بتقديم المزيد من المساعدات لكل راغب علم باحث في التراث المحلي، و إلى زملائه أرباب الخزائن الذين استقبلوني بصدر رحب وفي مقدمتهم السيد الحاج الطيب شاري بكوسام.

. السيد عيد الكريم عزوق رئيس معهد الآثار جامعة الجزائر وعمال مكتبة المعهد على ما قدموه لي من تسهيلات في استغلال مراجع المكتبة.

.الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف على كرمه وقبوله مهمة الإشراف أطال الله في عمره وأنعم عليه بالصحة والعافية وجعله ذخرا للعلم وطلابه، والأستاذة غزالة بوغانم التي كانت عونا لي في إخراج المذكرة بشكلها النهائي.

.إلى كل من ساهم في إخراج وكتابة هذا البحث لهن جزيل ووافر الشكر: صديقتي وأختي التي لم تلدها أمي:فتيحة بن امبارك، ابنة خالي:زينب، أخواتي: سامية؛ سهام ؛ سماح ودعاء؛.

***ابنة توات: حليمة سليماني الأدغاغية***

# مقدمة البحث

لطالما كان إقليم توات بحواضره الثلاث (تينجورارين، توات، تيديكلت ) مسرحا لأحداث تاريخية واجتماعية؛ منها ما حظيت بالتوثيق من قبل علماء ومشايخ معاصرين لها؛ ومنها ما نَقَّب عنها الباحثون المحليون من الهواة أو المشايخ; يهمهم نفض الغبار عن تراث منطقتهم؛ وتيسيره للباحثين الأكاديميين الذين عكفوا على الدراسة والبحث في تاريخ المنطقة.

رغم ذلك لا يزال الغموض والإبهام يكتنف العديد من الجزئيات المهمة من تاريخ الإقليم خاصة في الجوانب الاجتماعية والثقافية، والتي غفل عنها معاصروها ولم يعيروها اهتماما أو يخصوها بالتدوين، نظرا لكونها أمورا اعتيادية لا تستفز أقلامهم ولا تثير مخيلة أفكارهم.

انطلاقا من هذه المعطيات وغيرها أردت انجاز بحث عن أحد القصور التواتية، وهو قصر أدغاغ بإقليم توات الذي ذاع صيته سياسيا خاصة في القرن الثالث عشر هجري . واقتصاديا إذ ضمَّ أشهر الأسواق في الإقليم كسوق بَرَّتْ حْمِيَّانْ، و اجتماعيا بتمثيله لمختلف مظاهر التكافل الاجتماعي من خلال العلاقات الناشئة بين أفراد المجتمع، وثقافيا (اشتهر به عددا من العلماء كالعالم سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن بن مولاي عبد الله، وعددا من الأولياء الصالحين كمولاي علي الشريف و سيدي بوعلالة)، ونظرا لتوافره على هذه العناصر السالفة الذكر وغيرها، تبوأ القصر مكانة مرموقة ميزته عن باقي القصور التواتية الأخرى وجعلته محط الأنظار داخليا وخارجيا.

الدراسة تسلط الضوء على تاريخ قصر أدغاغ، واقعه الاجتماعي والثقافي على وجه الخصوص، وذلك من خلال ما حفظته ذاكرة المجتمع وتواتر إلينا من أحداث تاريخية عن هذا القصر العتيق؛ وكذا استنادا على ما ورد في عدد من المخطوطات وما تضمنته المصادر والمراجع.

يهدف هذا البحث إلى الغوص العمودي والأفقي في تاريخ قصر أدغاغ، راجية التأريخ لهذا القصر منذ بداية القرن (12هـ /18م ) إلى النصف الثاني من القرن14هـ 20م)، انطلاقا من دراسة أوضاعه الاجتماعية والثقافية ومدى تأثير الأولى على الأخيرة وتأثر المجتمع بها، هذا الأخير الذي كان له اليد الطولى في صنع هذه الأوضاع ومن ثم التفاعل معها سواء بسلبية أو بايجابية حسب الظروف والأحوال، هذا ما جعلنا نطرح عدة تساؤلات تتجاوب وسياق الموضوع من أهمها:

.كيف كانت الأوضاع الاجتماعية والثقافية في قصر أدغاغ خلال فترة الدراسة ؟ وما هي أهم مميزاتها ؟ كيف تفاعل المجتمع مع هذه الأوضاع في ظل محدودية وسائل العيش ؟ وهل كان لهذه الأوضاع دورا في ترقية المجتمع وتثقيفه والحفاظ على وحدته وترابطه وتماسكه في ظل انتشار العصبيات القبلية وأشكالا من التحالفات السياسية، والتي كان لها تأثير على زعزعة أمن وسلامة سكان القصر ؟ وما مدى مساهمة علماء وشيوخ وقضاة

القصر في تثقيف المجتمع وتوعيته في أمور دينه ودنياه ؟ وهل استطاع هؤلاء المثقفون التأثير على المجتمع وتخليصه مما ترسب في عمقه من بقايا الجاهلية ؟

أما اختياري لموضوع بحثي الموسوم بـ : **قصر أدغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية و ثقافية من القرن 12هـ / 18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ/20م** ، فيرجع إلى جملة من الدوافع الأساسية أهمها :

. التشجيع والتحفيز الذي وجدته من قبل بعض الباحثين المحليين وأساتذة بارزين، ومحاولة إماطة اللثام عن تاريخه الذي كان ولازال محل جدل ونقاش، والتعريف به للآخرين الذين مازالوا يجهلون عنه الكثير من التفاصيل الدقيقة والمهمة خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي.

. تسليط الضوء على قصر أدغاغ الذي كان في فترة الدراسة يحتل مكانة مرموقة بين القصور التواتية الأخرى خاصة والصحراوية عامة.

. رغبتي في دراسة تاريخ قصر أدغاغ في الفترة المحددة، من الجانبين الاجتماعي والثقافي، إذ لطالما سمعت عن أجدادي وقرأت في المخطوطات عن أحداث تاريخية ومواقف فردية وجماعية لفتت انتباهي، وجعلتني أطرح عدة تساؤلات عن تاريخ هذا القصر الذي ظل الباحثون عن دراسته عازفين رغم المكانة المرموقة التي تبوأها بين قصور توات وحتى قصور المناطق المجاورة كمنطقة الساورة ( قصر كرزاز) وغيرها.

. أملي أن أؤرخ لقصر أدغاغ خاصة وأنه كانت له مكانة عظيمة في العهدين الحديث والمعاصر، وقد ذاع صيته بتصدره لصف يحمد ضد صف سفيان في الفتنة التواتية المعروفة باسم يحمد وسفيان، وكذلك انتقال الزعامة السياسية والاقتصادية له على عرش تيمي في القرن الثامن عشر ميلادي بعد أن كانت لقصر تمنطيط الذي شكل أشهر مقاطعة من مقاطعات توات الوسطى.

. كشف النقاب عن تاريخ القصر من خلال ما ورد في المخطوطات سواء التي خطها علماء القصر أو علماء من قصور أخرى ومقارنة ما ورد في بعضها من أحداث اجتماعية وثقافية مع ما رصدته الروايات الشفوية، كون هاته الأخيرة أهم مصدر يمكن الاعتماد عليه فيما يخص التاريخ الاجتماعي لقصر أدغاغ, ويقودنا أيضا إلى رصد آخر ما توصلت إليه الأبحاث والدراسات التاريخية المعاصرة خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي.

. إحصاء وجرد أعلام الفكر والثقافة في قصر أدغاغ والذين كان لهم دورا بارزا في بعث وإرساء النشاط العلمي في القصر، وتنوير الحياة الاجتماعية للسكان حتى ذاع صيته وأصبح مقصد العديد من العائلات والأفراد نظرا لشهرته بين القصور الأخرى.

. محاولة بعث وإحياء جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية لسكان القصر، و التي لمسنا فيها نوعا من أنواع التضامن والتكافل الاجتماعي الذي نفتقده في يومنا الحالي، آملين بذلك تغيير ما قد تغير، وحمل المجتمع على العودة إلى التراث المحلي والابتعاد عن أساليب التقليد الأعمى التي أبعدته عن أصالته

. تشجيع المجتمع – من خلال الأعيان والمثقفين – وحثه على ضرورة المحافظة على موروثه الاجتماعي والثقافي والتمسك به باعتباره هوية لهم بها يشار عليهم ويؤشر لهم وإلزامه بصيانته من الضياع والاندثار سواء كان موروثا معنويا كالعادات والتقاليد أو ماديا كالآثار العمرانية والزي.

إن الإطار الزماني للبحث هو الفترة الممتدة مابين القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر للهجرة (الثامن عشر. ستينيات القرن العشرين للميلاد)، وهي الفترة التي شهد فيها إقليم توات حراكا ثقافيا نشطا، مخلفة بذلك مخزونا تراثيا من المخطوطات يظل ميراثا ثقيلا شاهدا على الزخم العلمي الذي شهده إقليم توات خلال الفترة المذكورة، بما في ذلك ظهور حواضر علمية كان لها الأثر الواضح في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في الإقليم، وقد امتد ذلك الأثر إلى المغرب العربي وإلى جنوب السودان الغربي في الصحراء الإفريقية.

أما الإطار المكاني فيتمحور حول قصر أدغاغ بإقليم توات (ولاية ادرار)، هذا القصر العتيق الذي خلف ثلة من العلماء والفقهاء والشيوخ ساهموا بحظ وافر في إثراء حلقات الدروس وتأليف العديد من المصنفات وفي مختلف المجالات، انتشرت في معظم الخزائن التواتية في تلك الفترة.

رغم إقبال عدة باحثين هوّاة أو باحثين أكاديميين على الكشف عن الكنز الدفين الذي تزخر به المنطقة خاصة المخطوطات. فعملوا على تحقيق بعضها والاستفادة من البعض الآخر في بحوثهم ودراساتهم، فظهرت كتابات تُعْنى بتاريخ إقليم توات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لكنها في مجملها كانت دراسات عامة تفتقد إلى الخصوصية خاصة وأن المجتمع التواتي القصوري ينتمي إلى ثلاث مناطق متباينة (تينجورارين، توات، تيديكلت) وإن اشتركت هذه المناطق في كثير من الجوانب الحضارية. إلا أنه يبقى لكل قصر خصوصياته التي تميزه عن القصر الآخر، من بين هذه الدراسات نذكر:

. دراسة للباحث فرج محمود فرج عن إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 الميلاديين"، عالج فيها الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقليم توات خلال فترة الدراسة وذلك ضمن إطار عام.

. دراسة للباحث محمد الصالح حوتية بعنوان " توات والأزواد خلال القرنين 12 و 13 هـ (18 . 19 م) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، تناول فيها الأحداث التاريخية التي عاشها سكان الإقليمين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الروحية.

تعد الدراستان من أولى الكتابات التي أَصَّلَت للحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات.

. دراسة للباحثة بهية عبد المومن بعنوان " الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18 و 19 الميلاديين"، درست عناصر السكان وطبقات المجتمع وكل ما يتعلق بالأسرة والمجتمع من حيث أنماط المعيشة والعادات السائدة بالمنطقة وهو ما يمكن أن يتشابه في المجتمع الأدغاغي في عموم التفاصيل.

. دراسة للباحث سرقمة عاشور عن الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات ، عرض فيها تفصيلا شاملا عن كل الرقصات الشعبية السائدة في إقليم توات مرفقة بمجموعة من القصائد الشعبية والأهازيج الخاصة بكل رقصة.

. دراسة للباحث الصديق حاج احمد معنونة بالتاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، درس فيها الحركة الثقافية والفكرية في الإقليم قبل فترة الدراسة، وكذا أهم المراكز العلمية بمناطق الإقليم، مع ذكر لعلماء المنطقة وأهم العلوم التي اشتغلوا بها.

. دراسة للباحث بوسعيد احمد حول الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات خلال القرن 18م من خلال نوازل الجنتوري التي استقى منها جوانب عدة من الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات خلال الفترة المذكورة.

إن هذه الكتابات وغيرها والمرتبطة بتاريخ إقليم توات تمثل في مجملها نماذج أولية أصّلت للحياة الاجتماعية والثقافية لإقليم توات على وجه العموم.

وما سنحاول الوقوف عليه من خلال هذه الدراسة هو خصوصية الظواهر الاجتماعية والثقافية لقصر أدغاغ عن غيره من القصور التواتية الأخرى، باعتبار أن لكل منطقة أو قصر مؤثرات داخلية وخارجية تساهم في صناعة تاريخه، وبالتالي وجود مجتمعات متباينة في جوانب عدّة وإن كانت ضمن النطاق الجغرافي نفسه.

و بما أننا نحاول إعادة بناء الأحداث الماضية، كان لزاما علينا إحداث تزاوج بين مختلف المناهج، خاصة وأن توالي الأحداث التاريخية وتغيرها وفق الظروف المحيطة بها والمصاحبة لها يتطلب الوصف والاستقراء، ثم التحليل والمقارنة للوصول إلى نتائج عميقة جاهزة للتعامل التاريخي من طرف الباحثين، لذلك اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي الملائم لسرد الأحداث ووصف الوقائع والظواهر التاريخية الاجتماعية والثقافية وصفا كرونولوجيا،

متسلسلا تسلسلا تصاعديا متوافقا مع ترتيب الوقائع التاريخية. كما استخدمت مجموعة من الأدوات المساعدة للمنهج التاريخي لزيادة التوضيح، منها أداة الاستقراء الذي تمكنت من خلالها بالقيام بعملية جرد واسعة لأسماء الأماكن، وترجمة وافية للأعلام وعرض موجز لمصنفاتهم وبالتالي استقراء المصادر المتوفرة والمراجع المتخصصة، كما مكنتني من تتبع المعطيات المتاحة للوصول إلى نتائج منطقية. وكذا أداة التحليل النقدي الذي اعتمدت عليها في دراسة وفهم المادة العلمية لتكون جاهزة للنقد ومن ثم التمحيص. إضافة إلى ذلك استخدمت المقارنة لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف و التداخل بين واقعة وأخرى لإبراز الاختلاف الموجود.

بعد أن انطلقت في عملية التنقيب والبحث عن المعلومات من المخطوطات والمصادر والدراسات السابقة والبحوث التي تناولت منطقة توات، تبين لي أن معظم هذه الدراسات قد ركزت على إقليم توات بصفة عامة، مهملة بذلك الوحدة الأساسية في تكوين الإقليم والتي هي القصر (المدينة الصحراوية) الذي لم يحظَ بالدراسة. ومن خلال الوقوف على الجوانب الحضارية لقصر أدغاغ في الفترة ما بين القرن 12ه /18م. 14ه/ 20م أردت تحقيق الأهداف الآتية:

ـ الإطلاع على معظم الظواهر التي أَثْرَتْ الحياة الاجتماعية للمجتمع الأدغاغي. دون أن أغفل مساهمة المرأة الأدغاغية في ذلك..

ـ رصد أهم الإسهامات الثقافية للسكان بدء بمظاهر الحياة التعليمية وإسهامات علماء وشيوخ القصر بصفة خاصة والمنطقة التواتية بصفة عامة في إثرائها، وصولا إلى الموروث الشعبي من تراث أدبي و فلكلوري.

نظرا لانعدام دراسات سابقة تناولت موضوع الدراسة الموسوم: **قصر أدغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية و ثقافية من القرن 12ه/ 18م إلى النصف الثاني من القرن 14ه/18م** بشكل مباشر، ونظرا لعدم وجود مصادر أو مراجع رصدت تاريخ القصر بعينه، سعيت لتخطي هذه الصعوبات بالتنقيب في خزائن المخطوطات المنتشرة هنا وهناك ضمن إقليم توات لعلي أجد ما يعينني في دراستي، وما تمكنت من الوصول إليه من المخطوطات والمطبوعات (المصادر والمراجع)وما تضمنته من نتف عن قصر أدغاغ يمكنني من القيام بدراسة وافية، خاصة بعدما يعضد بالمصادر الشفوية في انتظار العثور على المزيد إن شاء الله.

من أهم المخطوطات التي ارتويت منها:

*. محمد بن عبد القادر التنيلاني ،" الزرة الفاخرة في ذكر بعض المشائخ التواتية"، خزانة باعبدالله، بلدية تيمي، ولاية ادرار.

*. محمد بن عبد الكريم عبد الحق التمنطيطي، " جوهرة المعاني فيمن ثبت لدي من علماء الألف الثاني"، خزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار.

وهما من أهم المصنفات التواتية التي حوت تراجم الكثير من علماء توات ومشائخها وأعيانها، وقد تمكنت من خلالهما من التعرف على تراجم بعض الشخصيات الواردة في البحث.

*. محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن، "القبائل التي عمرت قصور تيمي" ، مخطوط بخزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار. استفدت منه في تحديد عدد من القبائل التي استوطنت القصر.

اعتمدت في بحثي على عدد من المصادر العربية والأجنبية التي رصدت جانبا من الحياة الاجتماعية و السياسية لقصور توات أهمها:

*. محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم (ابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م.

* .Martin(A _G _ P),"Quatre Siècles D'histoire Marocaine au Sahara de 1050 à 1904,au Maroc de 1894 à 1912", Paris: Félix Alcan, 1923.

*.Martin(A_G _ P) , Les Oasis Sahariennes: Gurara,Touat, Tidikelt; Paris: Challanel,1908.

*.Saffroy Bernard, Chronomique du Touat , Centre Saharienne, Ghardaïa, Algérie,.1994.

*.Sallka Abderrahmane , Notice sur le Touat ,Bulletin de la Société de géographie D'Alger de l'Afrique du Nord,3$^{eme}$ Trimeste ,1922.

كما اعتمدت على عدد من المراجع، منها ما هي أكاديمية ومنها ما هي غير ذلك يفتقد إلى المنهجية العلمية، إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن مادتها لإثراء عناصر البحث، من بين هذه المراجع نذكر:

*.فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18 و19 الميلاديين،ابن عكنون، الجزائر، المطبوعات الجامعية،1984.

*.محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، القبة، الجزائر، دار الكتاب العربي،2007.

*.محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزائر، دار هومة، 2005.

*.أحمد اَبَّا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها و حكمها عيون أشعارها، ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2013م.

*.سرقمة عاشور،الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات: مدخل للذهنية الشعبية، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع،2004.

بالإضافة إلى ذلك فقد تمكنت من استخدام عدد من المجلات و الجمعيات أهمها:

*.دليل الجمعية الفلكلورية خدامين الأولياء بقصر أدغا بلدية ادرار.

*.نشرة الجمعية الجغرافية . الجزائر وشمال إفريقيا السنة العاشرة 1905 . الثلاثي الثاني . أصول شعوب توات حسب الشائعات الواردة في البلاد جمعها الضابط المترجم واتان (Watin) .

وبما أن موضوع الدراسة المعنون ب " **قصر أدغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية و ثقافية من القرن 12ه/ 18م إلى النصف الثاني من القرن 14ه/18م** ،الذي حاولت فيه رصد الحياة الاجتماعية والثقافية تماشيا مع عنوان المشروع الموسوم بـ " التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور" لم يسبق وإن التفت إليه أحد الباحثين المعاصرين بالدراسة، حتى أن المخطوطات التي رصدت منطقة توات لم تتعرض للقصور كل قصر على حدة[1] بل كل ما كان هو عموميات الظواهر التاريخية اللهم بعض الحوادث الخاصة كالأنساب والقبائل الوافدة على القصور، فقد اعترض طريقي بعض الصعوبات كما أسلفت الذكر خاصة في الحديث عن الجانب الاجتماعي . الذي وإن أشير إليه فمن خلال النوازل التواتية . لذلك اعتمدت في هذا الجانب وبشكل كبير على المصادر الشفوية، حيث أجريت مقابلات مع عدد من أعيان ووجهاء قصر أدغاغ من كبار السن الذين كان لهم احتكاكا مباشرا مع آبائهم وأجدادهم الذين نقلوا إليهم الكثير من الأحداث التاريخية عن القصر، أو قد تواترت إليهم وحفظتها ذاكرة المجتمع، ولا زالت البعض من آثارها شاهدة على ذلك.

نذكر من بين هذه المقابلات:

. مقابلة مع الحاجة مباركة بنت عومر حماوي في بيتها في قصبة زقاق اخلف بقصر أدغاغ، أمدتني بإفادات تاريخية حول العادات والتقاليد التي كان يمارسها المجتمع وقد اندثرت معالمها اليوم.

. مقابلة مع الشيخ محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني في بيته في قصبة زقاق الشهود بقصر أدغاغ( عمل مدرس قرآن منذ 1962 وهو حاليا متقاعد)، أمدني بمعلومات حول جوانب من الحياة التعليمية خلال فترة الدراسة.

. مقابلة مع لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني في بيت ابنتها في قصر أدغاغ ، أفادتني بمعلومات عن الحياة الاجتماعية في قصر أدغاغ خلال فترة الدراسة.

. مقابلة مع الحاج المبروك بلقيزي في بيته في قصبة زقاق مكناس بقصر أدغاغ، وهو رئيس فرقة بارود قصر آدغاغ، أمدني بمعلومات حول الألعاب و الرقصات الفلكلورية التي كانت تمارس في القصر خلال فترة الدراسة ولا زال بعضها إلى اليوم.

إن دراسة منطقة ما في القطر التواتي على وجه الخصوص ضرب من ضروب المغامرة، وذلك لعدّة أسباب يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولا : ضرورة التعامل مع المصادر المخطوطة، والتي يعاني معظمها من سوء الحفظ مما أدى إلى ضياع وريقات من بعضها وتآكل كلمات من بعضها الآخر، وهذا ما جعل المهمة تحتاج إلى الصبر والوقت لاستنتاج المعنى المفقود.

ثانيا:صعوبة قراءة بعض المخطوطات نظرا لنوع وحجم الخط الذي كتبت به.

ثالثا: ندرة المصادر والمراجع المتخصصة باعتبار أن الموضوع غير متناول من قبل، وإن أشير إليه فنتف في بعض المخطوطات ، مما اضطرنا للتعامل مع المصادر الشفوية خاصة في الجانب الاجتماعي وبعض الجوانب الثقافية.

سعيا مني للإجابة عن جملة الإشكاليات والأسئلة المطروحة، اقترحت خطة للدراسة مقسمة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وملاحق وفهارس.

تعرضت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وتحديد الأهداف المنشودة من الدراسة، وطرح الإشكالية ثم شرح الخطة بالإضافة إلى ذكر الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث.

خصصت **الفصل الأول** لإعطاء صورة عن مضامين عنوان الدراسة بداية من البحث في العمران الإسلامي وكيف توصل المفكرون المسلمون إلى عده عمرانا حضريا يسعى لتوفير الراحة والأمن للساكنة، كما عرجت على التعريف بإقليم توات باعتبار أن قصر أدغاغ محل الدراسة ينتمي إليه، ضف إلى ذلك أنني عملت على التعريف بقصر أدغاغ و حاولت التأريخ له من خلال البحث عن تاريخ تأسيسه وتعميره.

أما **الفصل الثاني** فقد خصّصته لإعطاء صورة عن الحياة الاجتماعية في قصر أدغاغ خلال فترة الدراسة، وذلك من خلال ما حفظته ذاكرة المجتمع (الروايات الشفوية) ونتفا مما ورد في بعض المخطوطات و المراجع، فرصدت مختلف الروابط العائلية وما يترتب عنها وكذا تبيان أهم مظاهر التكافل الاجتماعي ودورها في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والطبقات، بالإضافة إلى جرد للعادات والتقاليد ومختلف السلوكيات النابعة عن المجتمع الإيجابية منها والسلبية.

وفي **الفصل الثالث** ارتأيت أن أضمنه لمحة عن النشاط العلمي و الثقافي بالقصر، فتناولت فيه أهم المؤسسات التعليمية التي تواجدت بالقصر، بالإضافة إلى عرض مفصل عن علماء القصر و شيوخه وأوليائه الصالحين وأهم مؤلفاتهم، ضف إلى ذلك إلقاء نظرة حول خزانة المخطوطات المتواجدة بالقصر، و عن.لأعرج في الأخير على التراث الشعبي بالقصر الطبي المتمثل في العلاج الشعبي الذي مارسه المعالجون حفاظا على الصحة العامة والخاصة للساكنة، و الأدبي منه كاللهجة؛ الشعر؛ الحكايات؛ الأمثال والحكم. والفني كالرقصات الفلكلورية والألعاب الشعبية.

أما **الخاتمة** فكانت عبارة عن جملة من النتائج التي توصلت إليها من خلال الاستنتاجات التي خرجت بها من كل فصل.

طعمت دراستي بمجموعة من الملاحق ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة، بالإضافة إلى فهارس للأماكن والأعلام.

في الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل للمشرف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وحرمه الأستاذة غزالة بوغانم مع تمنياتي لهما بوافر الصحة والعافية.

## الفصل الأول: قراءة في عتبات العنوان

**تمهيد**

**المبحث الأول:** العمران في الفكر الإسلامي

**المبحث الثاني:** إقليم توات الجِغْرافية والسكان

**المبحث الثالث:** قصر أدغاغ

**خاتمة الفصل**

يحتل التراث العمراني العربي عامة والإسلامي خاصة مكانة مرموقة بين التراث الحضاري البشري، فكانت رسالة الإسلام قد هذبت الأخلاق وأرست المبادئ والقيم وجعلت الإنسان يبدع في جميع المجالات خاصة الإنسانية منها فكان العمران العربي الإسلامي ذا تخطيط وإبداع حضاري متميز، نلمس فيه ونستشعر الإنسان الجديد المؤمن التقي الملتزم بضوابط الشرع وأخلاقه مراعيا بذلك حق الطريق وحق الجوار وحرية الأفراد والمجتمعات ضمن الأطر التي أقرتها الشريعة الإسلامية، ولعل الآثار العمرانية للحضارات العربية والإسلامية عبر التاريخ خير شاهد على ذلك.

من بين هذه الحضارات حضارة إقليم توات الذي يقع ضمن نطاق الصحراء الإفريقية الكبرى، وهذا ما أكسبه نمطا عمرانيا يتماشى والطبيعة البيئية للمنطقة. ولعل قصر أدغاغ بإقليم توات يظل معلما حضاريا شاهدا على هذا التمايز الذي كان ولازال عنوانا للإقليم التواتي.

**المبحث الأول: العمران والمدينة في الفكر الإسلامي:**

من المعلوم عند علماء الحضارات أن العمران هو الوجه المادي لأية حضارة؛ لذلك نجدهم يرجعون في دراسة الحضارات القديمة إلى آثارها العمرانية، فما تبقى من المدن العتيقة يعتبر تجسيدا ولاشك للمنظومة الثقافية الحضارية التي أنتجتها, وعليه فلا يقل التراث الثقافي أهمية عن التراث العمراني في فهم طبيعة الحضارات الإنسانية، بل يعتبر الأول مفتاحا أساسيا لفهم الثاني لأنه هو الذي أنتجه ونظمه عبر مراحل التاريخ حتى ترسخ عندهم أن البنيان من شعار الأمصار.[1]

**أولا: العمران والمدينة الإسلامية**

لقد تجلت مظاهر العمران الإسلامي بادئ ذي بدء في عمران المدينة المنورة حينما التجأ إليها المسلمون والرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للهجرة، معلنين بذلك عن تخطيط أول مدينة إسلامية في تاريخ الإسلام والمسلمين بكل ما تضمنته من نسيج عمراني.

فما هو مفهوم العمران والمدينة الإسلامية ؟

**1. العمران الإسلامي وطبيعته:**

• **مفهوم العمران:** ورد في المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة لمفهوم العمران من بينها ما ورد في لسان العرب لابن منظور: يقال عَمَر الرجلُ ماله وبيته يَعمُرُه عِمَارةً و عُمُوراً وَ عُمْرَاناً: لَزِمَه[2]، و منه لَزِمَ المكان بمعنى استقَرَّ فيه. والعُمْران نتيجة حتمية للاستقرار أي لابد من توفر عنصر الاستقرار حتى يتمكن الإنسان من إقامة عمران يتماشى وحياة التمدن.

[1]. شهاب الدين القرافي المالكي: الذخيرة, تحقيق محمد حجي، (ج2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1994، ص 339.

[2]. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور: لسان العرب، (مج4)، دار صادر، بيروت، ص204.

بينما ورد في منجد اللغة والأعلام: نقول عَمَرَ الدَّار: بَنَاهَا, وعَمَرَ المنزل: سَكَنَه والمكان أَقَامَ فيه, والعُمْرَان هو البُنْيَان وهو اسم لما يُعْمَر به المكان وتحسن حاله من كثرة الأهالي ونُجْحِ الأعمال والتمدن[1].

يلاحظ من خلال التعريفين أن مصطلح العُمران يطلق على البُنيان والذي لا يتأتى إلا بالابتعاد عن حياة الترحال والبداوة والانتقال إلى وضع الاستقرار وبالتالي التمدن.

ويعد ابن خلدون من أوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العُمْرَان حيث عرف العُمْران بأنه " التساكن والتنازل في مِصْرٍ، أو حِلَّةٍ للأنسِ بالعشير واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش[2] ... "، ويقول أيضا " ...الاجتماع الإنساني ضروري، وهو ما يعبّر عنه الحكماء بقولهم: أن الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العُمْران[3] ".

يرى ابن خلدون أن الحياة الاجتماعية للبشر ضرورية لتكوين العُمران، مع وجود علاقة مصلحة بين الأفراد لقضاء حاجاتهم أي تعاونهم على تحصيل معاشهم. كما يعتبر البنيان جزء من العمران وعنصرا أساسيا له، يمكّن من تناول تطور شكل الحاضرة في بيئتها، ويمكّن من فهم الأجهزة التي تنظم العلاقات بين مكونات العمران المختلفة، وهو يعبِّر عن الهوية الجوهرية للحضارة في البناء، وعن الفترة الزمنية التي تأسس فيها هذا البناء وعن انتسابه المحلي والقومي[4].

وباستقراء مقاصد الشريعة الإسلامية وأحكامها نجد أن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض؛ وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع, حيث قال تعالى: " ...هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ..."[5]، استعمركم أي جعلكم مكلفين بعمارة الأرض[6].فعمارة الأرض بالبناء والزراعة والصناعة والانتفاع بما في باطنها من معادن وخيرات مطاول من الناس عامّة ومن المسلمين خاصة؛ فهو من مقتضيات الاستخلاف العام للناس في الأرض, ومن ثم كان العمران المدني في حياة الناس ليس هامشيا أو بعيدا عن مراد الشرع بل جاء في أعظم مقاصد الدين[7].

---

[1]. المنجد في اللغة والأعلام: ( ط 43) (طبعة المئوية الأولى)، دار المشرق، بيروت: 2008، ص 529.

[2]. ابن خلدون: المقدمة: تاريخ العلامة ابن خلدون، (مج1)، (ط2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت: 1961، ص67.

[3]. نفسه، ص69.

[4]. العربي بوعياد: نحو تصور إسلامي معاصر لقضايا العمران، مجلة حرّاء،ع/27، السنة7، نوفمبر- ديسمبر 2011، اسطنبول، ص16.

[5] . الآية61 من سورة هود.

[6]. علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مؤسسة دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993، ص،ص 45،46 .

[7]. مسفر بن علي القحطاني: الوعي الحضاري مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي (PDF)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص 49، متاح على الموقعwww.almawred.biz ، تاريخ التحميل2013/02/12.

إن مفهوم العمران ليس مفهوما ماديا بحثا، وإنما هو أثر لقوة العلم والقيم وعمق الوعي بسنن التحضّر والمدنية، فالعمران يؤسس لروح العمل والقيم المبادرة وسلوك الوحدة الجماعية التي لا تنظر إلى فردانيتها بقدر ما تحمل هموم الجماعة ومصالحها[1].

فالعمارة الحقيقية تبتدئ من فكر الإنسان وتنمية وعيه بقيم الحقوق والواجبات العمرانية، ولو فقدت هذه الأحكام والمبادئ لأصبحت مهمة العمران من مفاسد الأرض وجلب الظلم وحقوق الأفراد، وهذا ما قصده ابن خلدون في قوله " أن الحضارة مفسدة للعمران" من حيث وصولها إلى مرحلة الترف المؤدي إلى فساد الأخلاق وتمزق المجتمع وذهاب ثروته نحو طبقة متفردة تنتهي بها الدولة[2].

وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال مظاهر العمران السائدة في هذا الوقت الراهن وما يطبعها من تبعات العولمة التي باتت مظهرا من مظاهر الحضارة والتمدن؛ بغض النظر عن مقاصد الشريعة الإسلامية وأحكامها فيما يخص العمران والتي أسست لفقه عمراني يتماشى مع حقوق وحريات الفرد والجماعة.

- **. طبيعة العمران الإسلامي:**

جاءت أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية المنظمة لحركية المجتمعات تحمل روافد فقه عمراني أصّل لحقوق وحريات الأفراد، مانعا بذلك التعدي عليها تحت أي طائلة كانت.

فالدارس للتهيئة العمرانية القديمة للمدن العريقة كالمدينة المنورة وبغداد و فاس والقيروان ومراكش وحتى الآثار الإسلامية في غرناطة، يجد أنه كانت هناك منظومة قانونية مؤطرة لها، واكبت تطورات المجتمعات الحضرية الإسلامية على مدى التاريخ والتنظيم، والمتفحص للتراث الفقهي المالكي في مجال البنيان يتأكد من أن الفقه الإسلامي ذو طابع حضري، فقد ألف فقهاء المالكية كتبا مستقلة في الارتفاق وأحكام العمارة ذات قيمة قانونية جديرة بالدراسة، نذكر من ذلك على سبيل المثال[3]:

*.كتاب "الجدار" لعيسى بن موسى التطيلي ( ت386هـ/996م) اعتمد فيه على كتب المالكية الذين سبقوه، جاء كتابه نفيسا في موضوعه اشتمل على واحد وخمسين مبحثا كلها في البنيان ومتعلقاته.

*كتاب " القسمة وأصول الأرضين " لأبي العباس احمد بن محمد الفرسطائي (ت 504هـ/1119م) يمتاز هذا الكتاب بثرائه بالمعلومات عن العمارة الإسلامية التي عرفتها بيئة المؤلف وزمانه؛ فتحدث عن القصر الذي هو نمط خاص بالعمارة البربرية الصحراوية وتحدث عن الشارع والزقاق والسكة مميزا بينها، ثم ذكر الغرف

[1]. مسفر بن علي القحطاني: المرجع السابق، ص56.

[2]. نفسه، ص 58.

[3]. عبد الرزاق ووراقية: أثر الفقه الإسلامي في التهيئة العمرانية للمدن العريقة، تاريخ النشر04 /2012/04، متاح على الموقع www.ahlalhadeeth.com، تاريخ التحميل 2013/02/05.

والبيوت والفنادق والمساجد والجسور و الزروب، فيحدد مراده من كل ذلك ثم يبين ما يتعلق بها من أحكام وحقوق معتمدا في ذلك على القواعد الفقهية المعتمدة عند جمهور علماء الشريعة الإسلامية.

*.كتاب "الإعلان بأحكام البنيان" لمحمد بن إبراهيم المشهور بابن الرامي (ت750هـ/1350م) وهو معلم بناء، اشتمل الكتاب على مائة واثنين وخمسين مبحثا، تناولت جوانب شتى وقضايا كثيرة في فقه البنيان، والكتاب مليء بالمصطلحات المعمارية، الأمر الذي يجعله ثروة فقهية ولغوية ومعمارية وأثرية[1].

هذا بالإضافة إلى العديد من المخطوطات في فقه العمران مازالت لم تحقق بعد.

من خلال دراسة عمران المدن الإسلامية العريقة يتضح أنها لم تُبْنَ على غير ميزان ولا قانون، بل روعي في بنائها وتعميرها الجوانب ذات البعد العمراني في التراث الفقهي الإسلامي، وذلك بالاعتماد على تقديم بعض الشواهد من التقنين الفقهي لمجال التعمير و الدالة على أهمية التراث الفقهي في تفسير التهيئة العمرانية القديمة.

وفيما يلي بعض الجوانب ذات البعد العمراني في التراث الفقهي الإسلامي:

★ . **القواعد الفقهية المنظمة للتهيئة العمرانية القديمة:** خضع عمران المدن الإسلامية القديمة لمنظومة فقهية تدور أحكامها على قواعد فقهية مقاصدية؛ عامة كانت محل تنزيل من قبل فقهاء العمران قديما، ويمكن إجمالها في أربع قواعد:

*. دفع المضار وجلب المصالح؛

*. تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند التعارض؛

*. ارتكاب اخف الضررين؛

*. تحكيم العرف.

★. **التراث الفقهي ومراعاة شروط سلامة البناء والطرق:**

إن احترام شروط سلامة البناء تفاديا للأضرار المتوقعة كان من الأمور البديهية في التقنيين الفقهي لمسائل العمران، حيث حرص الفقهاء على ضبط الإجراءات في مجال البنيان وما يتصل به وفق قواعد العمارة السليمة احتياطا من الكوارث والجوائح، ولهذا الغرض ركزوا على ضوابط كثيرة للسلامة منها: ضرورة هدم الجدران المهددة بالسقوط.

★. **مراعاة الشروط الصحية في التهيئة العمرانية:**

إن من بين المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية حفظ النفس الإنسانية من جميع جوانبها، ولما كان الجانب الصحي من أعظمها أصرّ الفقهاء على مراعاته في تقنينهم لكثير من أمور المدينة ومن ذلك كنس المراحيض وإصلاحها، تدبير الضوء والشمس والهواء .

[1]. لطف الله قاري: جولة مع الكتب التراثية المطبوعة في فقه العمران، تاريخ النشر 2010/04/11، متاح على الموقع www.tourath.org، تاريخ التحميل2013/02/05.

***. الحفاظ على المجال البيئي للمدينة:**

اعتنى الفقهاء بالحفاظ على البيئة انطلاقا من النصوص القرآنية والسنة الواردة في الحث على حفظ العمارة ومنع التخريب؛ من خلال الاجتهاد في استنباط أحكام تؤطر مجال العمران في ضوء الشروط البيئية السليمة, فبالاعتماد على قاعدة دفع الضرر في البناء؛ حاولوا تناول المجال البيئي من زاوية تأثيره على ضروريات الناس في الحياة، فأكدوا على وجوب حفظها وعدم إلحاق الضرر بها، واعتبروا البيئة الحصن الواقي لاستمرار المدينة، كما حافظوا على حريم وأفنية الدور والطرقات بما فيها من حدائق وجنان ومياه، وضبطوا ذلك كله بأحكام وجزاءات ضمنت استمرار سلامة البيئة في الحواضر الإسلامية.

***. التهيئة العمرانية القديمة واحترام الخصوصيات وحرمات الدور السكنية:**

اهتم الفقه في التهيئة العمرانية القديمة بالخصوصيات فقرّر أنه لكل بنيان حريم ينبغي احترامه، والحريم في فقه التعمير هو المجال المكاني المحيط بالبناء أو الطريق أو المدينة يترك كاحتياط للتوسع فيه عند الحاجة.

ولهذا الحريم أحكام تدور في أغلبها على ضوابط استغلاله على وجه لا يضر بالمصلحة العامة[1].

وفي جانب احترام الخصوصيات ركّز الفقه على احترام المساجد باعتبارها بيوت الله التي تحب العناية بها، والحفاظ على قدسيتها، كما ركّز الفقه الإسلامي و انسجاما مع أحكام الشرع على حرمات الدور السكنية مخافة الاطلاع على عورات الناس و أسرارهم الشخصية وخصوصياتهم فكان تصميم البنايات المخصصة للسكن على نمط خاص يمنع انتهاك الحرمات والعورات ويدل على ذلك ما جاء في المدونة "يمنع فتح الكوة يكشف منها الجار، وكتب عمر رضي الله عنه أن يوقف على سرير فإن نظر إلى ما في دار جاره منع نفيا للضرر وإلا فلا لأنه تصرف في ملكه...". ومثل هذا المنع هو الذي يفسر كون النوافذ في المدن القديمة كانت صغيرة وعالية، كما أن الدور القديمة مفتوحة من حيث الداخل مغلقة من حيث الخارج[2].

هذا بالنسبة لطبيعة العمران الإسلامي من حيث تأثره بالفقه الإسلامي وحرص فقهاء هذا الأخير بالاعتماد على ما جاءت به الشريعة الإسلامية على احترام الجنس البشري من خلال تقنين العمران وضبطه بقواعد وأحكام تمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض التي أقرها الشارع الحكيم.

أما طبيعة العمران الإسلامي من حيث هندسته المعمارية فقد جاء يحاكي ما يقع عليه البصر في الأرض وما يمتد إليه الطرف في السماء، فكانت الأهلة التي توجت المآذن، ثم كانت القباب التي تحاكي قبّة السماء، وقد كان للرياح الساخنة المحمّلة بالرمال الحارقة أثرها في إنشاء الدور والمساكن، فأحيطت بجدران صمّاء تحميها من نفثات ذلك الحريق، على حين تُركت صحونها مكشوفة عارية من السقوف كي تصل قاطنيها بتلك السماء التي

[1]. عبد الرزاق ووراقية: الموقع السابق.

[2]. نفسه.

كان البدوي يفزع إليها طلبا للغوث وهربا من الوحشة، فلم يَشَأْ أن يحْجِب ما بينه وبين مأوى روحه، إذ كان يعدّ تلك الفرجة في سقف داره معبره إلى السماء أو جزء من السماء قد شدّه إلى الأرض[1].

لقد تفاعل العمران الإسلامي مع البيئة وخصوصا عناصرها الرئيسية ( الماء, التراب والشمس ) وذلك باعتبار أن البيئة هي مصدر الحياة, بل هي الرحم الذي يوفر شروط حياة الإنسان, فالعمارة البيئية هي التي تحافظ على عناصر الطبيعة وتنشأ وفق مفهوم الفطرة السوية لهذا الكون, فتكون مادة لازدهاره لا لدماره[2].

## 2. المدينة العربية الإسلامية

- **. مفهوم المدينة:**

وَرَدَ في كتاب لسان العرب لابن منظور أن المدينة من الفعل مَدَنَ، يُقال مَدَنَ بالمكان بمعنى أَقَامَ به، وتُجْمع على مَدَائِن وَمُدُنٍ، وَالمدينةُ هي الحِصْنُ يُبْنَى فِي أُصْطُمَّةِ الأَرْضِ، وكل أرض يُبْنى الحصنُ في أُصْطُمَّتِها فهي مدينة، والنسبة إليها مَدِينِيٌّ[3].

لكن البحث اللغوي المقارن يوضح أن لفظة مدينة لا ترجع إلى المادة ( م، د، ن ) بل ترجع إلى المادة (د، ي، ن )، والدِّين في اللغات السامية كالأكادية والأشورية معناه القانون، والدَّيَّان في الآرامية والعبرية هو القاضي وبيت الدين هو مقر الحكم والمحكمة، ومصطلح الدائن والمدين في اللغة العربية مصطلحين قانونيين، فالمادة كلها تعني القانون وما يتعلق به من ضوابط والتزامات، أما الصيغة الميمية التي نجدها في كلمة مدينة فإن مصدرها مأخوذ من لفظ آرامي هو "مدينتا" ومعناه عندهم مكان القضاء وهو يمثل وحدة إدارية قضائية هي المدينة و القرى المجاورة التابعة لها. وما يزال لفظ قضاء يستخدم في العراق، فيقال قضاء البصرة وقضاء الكوفة[4].

لقد أطلق القرآن الكريم كلمة **مدينة** على البلدان التي عليها حكام وملوك ففيها الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية، فجاء تمييز القرية عن المدينة في القرآن الكريم على أساس سمة التقاضي الذي أشار إليه اللفظ الآرامي سابقا[5].

كما ورد في الحديث الشريف لفظ الدّيان ويقصد به الملك أو الحاكم، كما في الحديث الشريف الذي أورده كلا من البخاري وابن حنبل عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يوم يحشر العبد – أو قال الناس– حفاة عراة عزّلا ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما سمعه من قَرُب

---

[1]. ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، (ط1)، دار الشروق، بيروت: 1994، ص18.

[2]. نور الدين بن عبد الله: قصور منطقتي توات الوسطى والقورارة: دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار، إشراف الدكتور: عبد العزيز محمود لعرج ، معهد الآثار، جامعة الجزائر: 2011، ص 191.

[3]. ابن منظور: المعجم السابق، (مج13)، ص402.

[4]. الموسوي مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار النشر، العراق: 1982، ص،ص 151،150.

[5]. الموسوي مصطفى عباس: المرجع السابق، ص 355.

أنا الملكُ، أنا الديّان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقصها منه..." ويتفق معنى الحديث مع اشتقاق الكلمة من الدين والملك والقضاء[1].

و إلى نفس التفسير يشير الفقهاء؛ حيث شدّد الحنفية بوجه خاص في أنه لا تقام الجمعة إلا في الأمصار الجامعة التي تقام فيها الحدود، باعتبار أن العلامة التي تُعرف بها المدينة هي أن يكون فيها مِنْبَر[2].

ويشير الفارابي إلى أن الإنسان اجتماعي بطبعه من جهة ومضطر إلى هذا الاجتماع اضطرارا لسد حاجاته من جهة أخرى، ومن أجل ذلك نشأت الجماعات الإنسانية، هذه الأخيرة مقسمة إلى مجتمعات كاملة يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بوجه كامل لتحقيق سعادة الأفراد، ومجتمعات ناقصة وهي ما لا يتحقق فيها هذا التعاون الكامل ولا تستطيع أن تكفي نَفسها بنفسها[3]. وبذلك فهو يدرج مفهوم المدينة تحت مسمّى الاجتماع الإنساني. وهو ما دعمه ابن خلدون بقوله "إنّ الاجتماع الإنساني ضروري ... الإنسان مدنيّ بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة ... وهو معنى العمران، وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحُّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركّب فيه القدرة على تحصيله إلاّ أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ... فلابدّ من اجتماع القُدَرِ الكثيرة من أبناء جنسه ليحصلَ القوتُ له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف..."[4]

ينظر الجغرافي إلى المدينة على أنها ظاهرة متميزة عن غيرها من الظواهر الجغرافيا الأخرى على سطح الأرض من نواح متعددة إذ أنها تمثل أرقى أشكال العمران البشري الذي أقامه الإنسان على الأرض وأعقدها وأبرزها. كما تعد كل مدينة بؤرة حضرية تجتمع حولها وترتبط بها الأنماط العمرانية الأخرى فضلا عن أنها تسيطر على الناحية الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية للأقاليم التي تقع فيها[5].

وبالتالي فالمدينة كائن عضوي بعناصره الاجتماعية والاقتصادية والزمانية والمكانية والعمرانية كافة، وبإطاره الإقليمي. له أفعاله وردود أفعاله بالكل أو الجزء بهذا الوقت أو ذاك لهذا العامل أو غيره.

---

[1]. محمد عبد الستار عثمان: "المدينة الإسلامية" سلسلة عالم المعرفة، ع/128، الكويت:أوت1988، ص 16.

[2]. آدم ستز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (ط5)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص.ص 268. 269.

[3]. علي عبد الواحد وافي: المدينة الفاضلة للفارابي، نهضة مصر، القاهرة، ص.ص 27-28 .

[4]. ابن خلدون: المصدر السابق، (مج1)، ص.ص 69 . 70.

[5]. فواز عائد جاسم كركجة: جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها، مجلة كلية التربية الأساسية، (المجلد11)، ع/1، 2011م، ص.ص 311-312.

تغطي المدينة حيزا مكانيا له موقعه وبعده التاريخي الذي انعكست فيه وعليه انجازات معمارية شاخصة تعبر عن هوية المدينة وأنماطها وبنائها وخططها[1].

ووفق الفقه الإسلامي فالمدن تدرج في عملية أعمار الكون والاستخلاف في الأرض لتحقيق الهدف الأسمى من الخلق وهو عبادة الله، ومن هذا المنظور حثّ الإسلام على تعمير الأرض وإصلاحها[2]، حيث نشأت المدن الإسلامية خاضعة في كلياتها وجزئياتها لأحكام فقهية سواء منها المنصوص عليها والاجتهادية منها والتي كانت في تجدد مستمر حسب التطور المجتمعي[3].

فحسب الفارابي وابن خلدون أن الاجتماع هو الذي يحقق السعادة والتي لا تتأتى إلا بتعاون الأفراد؛ وهو ما أشار إليه الفارابي بقوله: "والمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان ... وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى, وفيها عضو واحد رئيس هو القلب, وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ... كذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات، وفيها إنسان هو رئيس..."[4]. فإذا كان الاجتماع يحتاج إلى مكان فكلاهما يحتاج إلى عمران، والعمران لا يستتب إلا بالنظام والأمن، لذلك كان من الضروري أن يحتكم الاجتماع الناجع إلى راع ومسؤول واحد حكيم فهو ما سماه الفارابي رئيس المدينة الفاضلة[5].

وقد جاءت المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده تجسيد لهذا الفكر العمراني؛ فكانت بحق المدينة الفاضلة التي ابتغاها الإسلام وعبَّر عنها الفارابي في كتاباته، ثم تطورت الديانة واتسعت مع المحافظة على الخطة الأساسية في إقامة المدينة الأولى في الإسلام[6].

كما اعتبر التشريع الإسلامي الدستور الأساسي المنظم لحركة حياة المجتمع, حيث أعطى قواعد صالحة لكل زمان ومكان. فتناسبت الأحكام الإسلامية مع النظرة الإنسانية التي تكيفت معها في سهولة ويسر وتدرج، وانعكس ذلك على المدينة الإسلامية باعتبار المدينة هي الحضارة[7].ثم تبلورت الرؤى في الفكر الإسلامي بالنسبة

[1].الأشعب خالص الحسني: التوثيق ومفهوم مراحل نمو المدينة العربية، مجلة التراث والحضارة، ع/9، المكتبة الوطنية، بغداد:1987م، ص19.

[2]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 50.

[3]. عبد الرزاق ووراقية: الموقع السابق.

[4]. علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 41.

[5]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص52.

[6]. نفسه، ص52.

[7]. محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص6.

لتخطيط المدن و أعمارها من قبل مفكرين إسلاميين، فحددوا الضوابط الواجب مراعاتها عند إنشاء المدن وفقا لشروط دقيقة ومن أشهر هؤلاء المفكرين[1]:

⋆. **ابن خلدون** الذي يرى أن شروط اختيار المدن هي كالآتي :

* الحماية من المضار بإحاطتها بسور؛
* توضُّع المدينة في مكان ممتنع على هضبة متوعّرة أو باستدارة بحر أو نهر؛
* طيب الهواء للسلامة من الأمراض؛
* توفر الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزاء عيون عذبة؛
* طيب المراعي لسائمة الساكنة وقربها منهم؛
* توفر المزارع وقربها من البلد.

وما يزيد من مصداقية الشروط التي أوردها ابن خلدون عرضه لحال المدن التي اختطها المسلمون في أول الإسلام بالعراق وإفريقية؛ ولم يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء والملح؛ غافلين عن وفرة الماء والمزارع والحطب والمراعي كالبصرة والكوفة والقيروان ولهذا كانت أقرب إلى الخراب[2].

⋆. **ابن الربيع** الذي حدد الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم في إنشاء مدينة ما، وقد ذكرها في كتابه " سلوك المالك في تدبير الممالك" وأهم هذه الأسس :

*. أن يسوق إليها الماء العذب للشرب؛
*. أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق؛
*. أن يبنى في وسطها جامعا للصلاة؛
*. أن يقدر أسواقها بكفايتها؛
*. أن يميز قبائل ساكنيها؛
*. إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها؛
*. أن يحوطها بسور؛
*. أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها[3].

ويمكن أن ندرك أن المدينة الإسلامية يراعى في اختطاطها مجموعة من القيم إلهية كانت أم إنسانية أم بيئية؛ وهي القيم التي تحقق الأمن والاستقرار والحماية من العوامل البيئية لساكنيها؛ مما يمكن الإنسان من القيام

---

[1]. محمد احمد سلام المدحجي: أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مجلة العلوم والتكنولوجيا، (المجلد15)، ع/2، 2010، ص10.

[2]. ابن خلدون: المصدر السابق، (مج1) ص . ص 617 – 620 .

[3]. محمد احمد سلام المدحجي: المرجع السابق، ص 11 .

بوظيفته الاستخلافية في الأرض وعمارتها. وصفوة القول أن المدينة هي ذلك المجمّع الحضري من بنايات وساحات والذي يلبي احتياجات ومتطلبات السكان من المأوى والعمل والراحة والخدمات[1].

- **التكوين المعماري للمدن العربية الإسلامية:**

إن المدن العربية الإسلامية تضم منشآت ومرافق تعتبر ركيزة أساسية في التكوين المعماري لها, حيث تنوعت أغراض هذه المنشآت والمرافق, فمنها ما أنشئت لأغراض دينية ومنها ما كانت لأغراض مدنية. حتى أن هذه المنشآت اختلفت وتنوعت من مدينة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر لتفي بحاجات الناس الخاصة والعامة[2].

إن هذه المنشآت الدينية والمدنية تعكس جانبا من جوانب الترابط الاجتماعي لسكان المدينة, حيث أن الأحياء تقوم على أساس الانتماء القبلي أو الديني أو العقائدي لا على أساس المستوى المادي والاقتصادي مما يقلل من مظاهر الحيف والتفرقة والتوتر الاجتماعي، فنجد في كل حي الفقير والغني والجاهل والعالم، وهذا من شأنه تحقيق الروابط بين الناس وإكساب الأفراد شعورا بالثقة بالنفس ومن ثمّ الاندماج والانسجام مع الآخرين[3].

لقد نشأت المدن العربية الإسلامية تضم العناصر التخطيطية التي تعتبر محاور رئيسية في تخطيط المدينة العربية الإسلامية تمثلت هذه المحاور في :

*. **الاستعمال السكني**: شغل الاستعمال السكني في المدينة العربية الإسلامية مساحة تصل إلى 70% من مساحة المدينة بما فيها المحلاّت؛

*. **الشوارع**: تعد الشوارع في المدينة العربية الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال، كما أنها تؤدي خدمات حضرية متعددة كممارسة الأنشطة التجارية، خاصة في الشوارع القريبة من النقطة المركزية؛

*. **دار الإمارة**: كان بناء دار الإمارة مجاوراً للمسجد ( بني بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ملاصقا للمسجد ) ثم أصبحت هذه الظاهرة المعمارية تتلاشى، وأصبحت دار الإمارة بعيدا عن مساكن العامة ربطت بها شوارع تتسع لموكب الخلفاء والولاة أثناء خروجهم للصلاة[4]؛

*. **المسجد الجامع**: يعتبر المسجد المركز الروحي والثقافي للمدينة، حَازَ على أفضل مواقعها متخذا من مركزها موقعا له, كان له في صدر الإسلام المكانة الأولى حيث ارتبط ببعض الفعاليات مثل الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية إضافة إلى وظيفته الأساسية باعتباره مصدر التعاليم الإسلامية وملتقى الحاكم بتجمعات السكان[5]؛

---

[1]. محمد احمد سلام المدحجي: المرجع السابق، ص 3.

[2]. محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 209.

[3]. كامل الكناني: تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية، ع/15، 2006، ص 7.

[4]. فواز عائد جاسم كركجة: المرجع السابق ،ص. ص 316 – 317 .

[5]. عبد الباقي إبراهيم: التراث الحضاري في المدينة العربية الإسلامية، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر، ص 46 .

*. **الساحات العامة:** ترتبط المساجد وخاصة المساجد الجامعة بالساحات العامة, حيث كانت الوظيفة الأساسية للساحات العامة للمدن على مر العصور هي ممارسة الأنشطة الجماعية للجماهير سواء منها الدينية أو الاجتماعية أو التجارية أو السياسية[1].

ومما لاشك فيه أن المدينة الإسلامية نشأت لتلبية مطالب الإنسان وإشباع حاجاته النفسية الروحية والمادية. وكانت تشيد وتتطور وفق خطّة معيّنة تراعي تقديم الخدمات للإنسان كالتعليم والصحة والمرافق العامة:

*. **الخدمات التعليمية** : يعتبر المسجد النواة الأولى لتقديم خدمات التعليم في المدينة الإسلامية ثم المدرسة فالجامعة الإسلامية؛

*. **الخدمات الصحية** : تمثلت في البيمارستانات التي كانت تقدم الخدمة المجانية من العلاج والدواء والغذاء ومساعدة أسر المرضى المعوزين؛

*. **المرافق** : أقام الخلفاء الحمامات العامة ومطاعم الفقراء وخانات المسافرين على الطرق العامة؛ و لاسيما طرق القوافل التجارية العالمية وطرق الحج؛ وإنشاء بيوت الأرامل واليتامى والفقراء وأبناء السبيل، وأقيمت الأسبلة لتزويد المارة بمياه الشرب في الشوارع[2].

**ثانيا: العمران الصحراوي (منطقة توات أنموذجا):**

**1. المدن الصحراوية:**

تخضع المدن الصحراوية إلى مناخ قاحل وعزلة في مساحات خالية مما أكسبها مميزات خاصة؛ فكانت عبارة عن مخططات ذات طابع عمراني خاص؛ تقع في محاور كبيرة تربط بين مناطق عبور القوافل التجارية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، حيث كانت تقضي فترة الراحة في أماكن توفر المياه الجوفية وواحات النخيل فأنشئت بذلك تجمعات سكانية سميت بالقصر[3].

لقد تشاركت عدة عوامل في ظهور المدن الصحراوية ( القصور ) أهمها :

[1]. عبد الباقي إبراهيم: تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة العربية الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر، ص 35.

[2]. محمد علي الكحلوت: قراءة تقييميه للمدينة العربية الإسلامية وأسس تخطيطها، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة الإسلامية، غزة:2010م، ص. ص 12-13، بحث منشور في الموقع www.Fichier-pdf.Fr، تاريخ النشر2014/07/08، تاريخ التحميل2014/07/13.

[3].منتدى التسيير والتقنيات الحضرية، مصطلحات ومفاهيم خاصة بالتوسع العمراني والتنمية المستدامة، ص 90 ، متاح على الموقع www.ingdz.net، تاريخ النشر2009/09/09، تاريخ الرفع2014/07/13.

⋆. **عامل المياه:** يتمثل أساسا في الوديان المؤقتة التي تمول المدن، وكذلك الآبار التي تعتبر مصدراً لاستخراج المياه الجوفية[1]، ضف إلى ذلك المياه الجوفية المستخرجة عن طريق تقنية الفقاقير والتي تعد أهم مصدر لتمويل العديد من القصور بالماء خاصة في المنطقة التواتية.

⋆. **العامل الدفاعي:** يظهر هذا العامل من خلال التصميم الخارجي للمدن الصحراوية ( القصور ) المتمثل في الأسوار والأبواب[2] والخنادق المحيطة بها خاصة في القصور المتواجدة في الإقليم التواتي .

⋆ . **العامل التجاري:** والذي لعب دورا هاما في نشأة المدن الصحراوية ويتجلى ذلك من خلال التبادل التجاري للرحل في هذه المناطق[3].

السؤال الذي يجب أن يطرح في هذا الصدد هو: من الذي كان له الفضل في تأسيس القصور التواتية ؟ خاصة وأن المناطق التي شهدت هذا التجمع السكاني وعبر مراحل زمنية مختلفة تعاني من قساوة المناخ وصعوبة العيش في هذه الظروف الصحراوية الاستثنائية .

للإجابة عن هذا السؤال كان لزاما أن نتتبع مراحل الاستيطان البشري في الإقليم التواتي والظروف التي أدت إلى هذا التجمع السكاني في هذه البيئة الصحراوية القاسية.

⋆. **مرحلة الاستيطان المبكر:**

قليلة هي الدراسات التي تعرضت لهاته الفترة الزمنية لتاريخ إقليم توات؛ والتي كانت في مجملها تقارير وأبحاث قام بها مستكشفون وضباط فرنسيون وألمان؛ بهدف استكشاف المكان تحضيرا للغزو العسكري.

ذكر برنارد صافروي (Bernard Saffroy) أن عمارة توات بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد. ولقد أظهرت البقايا الأثرية للمستحثات و اللقي العظمية أن النباتات والحيوانات ترعرعت في مساحات شاسعة؛ تمتد من الأطلس الصحراوي وباتجاه الجنوب في مناطق تشبه السفانا الإفريقية الحالية، والدليل على ذلك هو تلك الأنهار والأودية والبحيرات التي تواجدت بالإقليم في تلك الفترات والتي جفت وتحجرت في الأزمنة المتأخرة[4].

تتميز هذه المرحلة بظهور حضارة الإنسان الحجرية والتي بدأت بالعصر الحجري القديم الأسفل، حيث أثبتت الأبحاث الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية[5] أن المنطقة عرفت حضارة الحصى فظهرت الصناعات الحجرية البدائية. وقد تم العثور على أدوات هذه الفترة في ناحية أولف منها الشظايا و المكاشط والمحكات[6].

---

[1]. مصطلحات ومفاهيم خاصة بالتوسع العمراني والتنمية المستدامة: الموقع السابق، ص 10.

[2]. نفسه، ص 10.

[3].نفسه، ص 10.

[4]. محمد طاهر العدواني: الجزائر منذ نشأة الحضارة، (ج1)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1984، ص 234.

[5]. قام بهذه الأبحاث ايجو "Hugo" سنة 1955.

[6].N,(Sauodi):la préhistoire, revue de préhistoire et d'Anthologie culturelle, N01,Alger, p14.

وفي العصر الحجري الأوسط الذي يلي الفترة السابقة فقد شهدت المنطقة الحضارة العاترية، حيث عثر على أدوات هذه الفترة؛ والتي تميزت بظهور تقنية العنق على بعضها في مواقع بشمال مدينة أدرار باتجاه تيميمون[1].

أما الفترة الأكثر تطورا خلال هذه المرحلة فقد تجلت خلال العصر الحجري الحديث، حيث تغير نمط معيشة الإنسان، فبدل الصيد والجمع في الفترة السابقة اكتشف الزراعة واستأنس الحيوان وترك آثاره في أماكن عديدة والتي إن دلت على شيء إنما تدل على مدة التمركز الحضاري للإنسان، وقد عثر على أدوات حجرية تعود لهذه الفترة في منطقة تنزروفت، من بين هذه الأدوات المطاحن وكسر فخارية ورؤوس سهام وفؤوس يدوية وحلقات صغيرة من قشور بيض النعام. عُرف هذا العصر بالعصر النيوليتي الصحراوي[2].

وتأتي مرحلة فجر التاريخ وهي مرحلة متأخرة من سلسلة زمن ما قبل التاريخ, فيها عبّر الإنسان عن بيئته ووسطه المعيشي وحياته اليومية من خلال ما تركه من نقوش صخرية، لتتوج هذه المرحلة فيما بعد بظهور كتابة التيفيناغ, وقد عثر على موقع هام يعبّر عن هذه الفترة التاريخية للإقليم في منطقة شمال مدينة أولف[3].

و تشير بعض الدراسات إلى أن قرطاجة سيطرت على المجال الصحراوي أثناء تجارتها مع الجنوب لتتحكم في طريق المعدن النفيس، كما أن الرومان قد عرفوا بعض الطرق الرئيسية نحو الجنوب أثناء تجارتهم مع بلاد السودان، هذا فضلا عن قبائل الجيتول التي استقرت بالإقليم، حيث لعبت هذه القبائل دورا حاسما أثناء السيطرة الرومانية على منطقة شمال إفريقيا[4].

***. مرحلة استيطان القبائل الزناتية :**

استقرت بإقليم توات قبائل بربرية من الزناتة، نزحت في فترات متفاوتة بحثاً عن الأمن والأمان ، فرارا من القتل و الاضطهاد الذي تعرضت له في مواطنها أو بحثاً عن أسواق لترويج سلعهم وبالمقابل اقتناء ما يلزمهم من بضائع صحراوية .

[1] محمد بن السويسي:العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا (من القرن 6 هـ / إلى القرن 13 هـ / 12 م – 19 م)، دراسة تاريخية، أثرية، عمرانية، معمارية، إشراف الأستاذ عبد العزيز محمود لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر:2007-2008م، ص18.

[2].Malika hachid: les pierres écrites de l'Atlas Saharien, (Tome I).E.N.A.G Edition, Alger:1992,p159.

[3]. محمد بن سويسي:المرجع السابق، ص 18.

[4]. نفسه، ص20.

منذ فترة قديمة ارتبط اسم زناتة باسم قبائل الجيتول الأولى ، حيث كانت قبائل الزناتة تعيش على أطراف الوديان الصحراوية ، وفي القرن الخامس الميلادي التقت هذه القبائل مع قبائل أخرى مختلفة الأعراق منها جماعات يهودية بتمنطيط[1] .

لقد استمرت الهجرات البشرية من الشمال نحو مناطق الجنوب وفي فترات متباعدة، وكانت قبائل البربر منذ عهد الرومان تهاجر هربا من التعسف وثقل الضرائب[2]. ثم توالت في القرون اللاحقة هجرات القبائل الزناتية تحت طائلة الظروف القاسية التي اعترضتهم، حيث أشار إلى ذلك سيدي محمد بن عبد الحق التمنطيطي، فذكر أنه " في القرن الرابع الهجري ( 10 م) فرّت قبائل زناتية من سجلماسة بعدما أنهكتهم الحروب واتخذوا جهة القبلة وجهة لهم، فلما تمّت لهم ثلاث عشرة مرحلة من مقدمهم وصلوا أرض بودة فتفاجؤوا بجفاف وادي ڤير إلا أنهم أدركوا عودته مرة أخرى. كما استأنسوا الموضع نظراً لصلاحيته للزراعة وللمرعى. ومع مرور الوقت جالوا صحراء توات شرقاً وغرباً فبنوا القصور وأقاموا البساتين على أطراف وادي مسعود قبل أن يهتدوا لحفر الفقاقير، لقد ظهرت قصور عديدة على أيدي قبائل زناتة منها قصور: وَجّي، ودرار، بموسى، مكرة، غرميانو، بوحفص، أزقور[3]... " وغيرها. ويضيف المؤرخ التواتي سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي أنه " منتصف القرن الخامس الهجري ( 11 م ) سقط حكم زناتة في المغرب على يد اللمتون وقتل أميرهم مسعود بن واند المغراوي، ففرَّ الناجون إلى الصحراء حيث نزلوا بالقرارة وواد الحنة و ملؤوا أرض توات*. وقد استمرّت القبائل الزناتية بمختلف بطونها في التوافد على أرض توات طيلة القرنين 6 ه /12 م و 7ه /13 م[4]، حيث أصبحت توات قبلة للنازحين من بقايا دولة المرابطين. وبعد زوالها على يد الموحدين وتعقبهم للفرع الزناتي، دفع أعدادا كبيرة من الزناتة إلى اللجوء إلى الصحراء التي كانت بمنأى عن مسرح النزاعات والحروب التي شهدها المغرب العربي[5]. ويشير ابن خلدون ( ت 808 ه – 1406 م ) إلى أن عرب المعقل لما وصلوا إلى الصحراء ملكوا القصور التي اختطتها زناتة فيقول" فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن ..." إلى أن يقول :" قام هؤلاء المعقل في القِفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له ، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالفَقْر مثل

[1]. محمد بن سويسي:المرجع السابق، ص 21.

[2]. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص 194.

[3]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار، ص . ص 5 . 6.

*. القبائل التي لجأت إلى أرض توات هي: قبيلة ذكوان ،أولاد أحسين و أولاد سليمان، أولاد خير الله ، أولاد بن عبد الجليل، أولاد عياش، سيدي وعلي البلبالي، أولاد بن يَدَّرْ، الشرفاء الحموديون، قبيلة أخروم، أولاد عليش، أولاد عثمان، أولاد علي، المحاجيب، أولاد الصابون، البرامكة، أولاد احمد عزي، أولاد عبو.

[4]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص . ص 6-7.

[5]. فرج محمود فرج: إقليم توات بين القرنين 18و 19 الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2007م، ص 5.

قصور السوس غرباً، ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت، ثم و اركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل و أنهار وأكثر سكانها من زناتة ..."[1] .

ثم يضيف عن قصور تيكورارين قائلا " وفي شرقي تسابيت إلى ما يلي الجنوب، قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد ، ينحدر من المغرب إلى المشرق، وفيها أمم من قبائل زناتة[2]".

وفي معرض آخر يذكر ابن خلدون اسم بعض القبائل الزناتية التي سكنت قصور تيكورارين؛ وأبدى بعض صفاتهم المتمثلة في كثرة عددهم وقوة بأسهم وشجاعتهم وعدم رضوخهم للسلطة، كما ذكر أن معاشهم التمر. و يمارس البعض منهم التّجارة إلى بلاد السودان فيقول : ومن هذه القصور قبلة تلمسان، وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين وهي كثيرة تقارب المائة... وأكثر سكان هذه القصور الغربية في الصحراء بنو يامدس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر مثل ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد وبني مرين، و هم أهل عدد وعدّة و بُعْدٍ عن هضمة الأحكام و ذلّ المغارم، وفيهم الرجّالة والخيّالة وأكثر معاشهم من بلح النخل، وفيهم التجار إلى بلاد السودان...[3] ".

وكما أسلفنا الذكر فبعد أن تمكنت القبائل الزناتية من الاستقرار والاستيطان في توات اهتموا بالتعمير والعمران فَبَنَوْا القصور وحفروا الفقاقير ومارسوا حياتهم بشكل عادي وسط الأمن والسلام اللذان وفروهما.

اهتمت القبائل الزناتية بالطرق التجارية حيث حفروا الآبار على الطرق الواقعة في مضاربهم ووفروا الأمن والسلام للقوافل العابرة، مما سهل في تأمين حركة الانتقال بين شمال الصحراء وجنوبها، كما أدى إلى زيادة النشاط التجاري عبر هاته الطرق وهذا ما ساهم بحظ وافر في وصول الدعوة الإسلامية إلى أقصى جنوب الصحراء وإلى بلاد السودان[4].

لازالت قصور الزناتة قائمة إلى اليوم خاصة بتينجورارين كقصر أولاد عيسى.

***. مرحلة استيطان القبائل العربية :**

أثبتت الدراسة التاريخية التي أجريت حول إقليم توات الذي ينتمي إلى صحراء شمال إفريقيا على أن سكانه برابرة، تَمَّ تعريبهم على يد العرب الذين استقروا بالإقليم إثر هجرات متتالية أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وعَقِبَهُ .

---

[1]. عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون): (مج6 )، المصدر السابق، ص. ص 77 – 78 .

[2]. نفسه، ص 134 .

[3]. عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون): المصدر السابق، (مج7 )، ص 77.

[4]. محمد عبد العال احمد: مملكة أودغست الإسلامية ، بحث مقدم للمشاركة في ملتقى الدراسات الإسلامية والغربية بأدرار، في الفترة ما بين 27 و 30 نوفمبر 1987، ص 6.

فبعد أن تمَّ فتح مصر اتجهت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد المغرب، وتمكنت من السيطرة على برقة و زويلة و فزّان، أين استقر بعض الجند يدعون البربر إلى الإسلام، وفي سنة27هـ/647م قام العرب بأول حملة حقيقية على إفريقية بقيادة عبد الله بن أبي السرح، والتي كانت تضم جنوداً من مختلف القبائل العربية التي تقطن حول المدينة[1].

لقد شهد المغرب هجرة القبائل الهلالية، هاته الأخيرة كانت خليطا من القبائل العربية بينهم "سليم " أقوى عناصر الهلالية وأعرقها وأغناها و" هلال " الذي غلب اسمه على مجموع هاته القبائل والبطون فيما بعد[2].

أما عن دخول هذه القبائل إلى بلاد المغرب فقد فصَّل في ذلك ابن خلدون فذكر أن بطون هلال وسليم من مضر؛ بنو سليم مما يلي المدينة؛ و بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، كانوا يغيرون على الضواحي وربما أغار بنو سليم على الحجاج في موسم الحج، وعند ظهور القرامطة تحيّزوا لهم وأصبحوا جنداً لهم بالبحرين وعمان، ولما سيطر الفاطميون على بلاد مصر والشام أخرجوا القرامطة منها وردّهم العزيز على أعقابهم إلى البحرين، أما أحلافهم العرب من بني هلال وسليم فأنزلهم بالصعيد و بالعدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك، وقد عاثوا في الأرض فساداً[3]. أما قبائل زغبة ورياح اللتان انضمتا إليهم فهما قبيلتان من العرب كانتا تقيمان على حدود مصر الغربية في إقليم برقة وكانت بينهما حرب وعداوة[4].

في خلافة الظاهر لدين الله الفاطمي(359 ـ 427هـ /1005ـ 1036م) انتقل حكم صنهاجة في افريقية إلى المعز بن باديس سنة 408هـ وكان ذو ثمان سنين وقد تربّى على مذاهب أهل السنة، وفي سنة 427هـ/1035م هلك الظاهر وخلفه ابنه المستنصر بالله (427 – 487هـ/1035 -1094م )[5]، وأثناء حكمه حدث خلاف بين وزيره وأبو محمد الحسن بن اليازودي والمعز بن باديس الذي خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر، فسعى الوزير إلى الانتقام من المعز حيث أشار على المستنصر بالله بأن يرسلوا العرب إلى افريقية[6].

---

[1]. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية: 1982م، ص 31.

[2]. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق، ص 59 .

[3]. عبد الرحمن ابن خلدون: ( مج 6): المصدر السابق، ص 18 .

[4]. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق ، ص 59 .

[5]. عبد الرحمن ابن خلدون: (مج 6): المصدر السابق، ص 18 .

[6]. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير: فهارس الكامل في التاريخ، إعداد إبراهيم شمس الدين، (ج8 )، (ط4)، دار الكتب العلمية، بيروت: 2003، ص 295 .

أصلح الوزير بين زغبة ورياح وأغراهم بالمال ومعهم بنو هلال و سليم وأمدهم بالمدد والعدد وأمرهم بقصد القيروان. وقد انضم عرب المعقل إلى الهلاليين وكان عددهم قليلا يقال أنهم لم يبلغوا المائتين[1].

دخلت العرب افريقية فقطعوا السبل والحقوا الضرر بالبلاد واتجهوا نحو القيروان أين اشتبكوا مع المعز بن باديس في عدة معارك انتهت بانهزام المعز وانسحابه من القيروان سنة 449هـ/1057م ليستولي عليها العرب وينهبوها[2].

اقتسم العرب بلاد افريقية واستقرت زغبة ورياح في برقة و طرابلس كما استقرت بنو هلال و سليم في منطقة تونس وما يليها غرباً، فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب[3] أما المعقل فقد نزلوا بآخر مواطن الهلاليين مما يلي ملوية ورمال تافلات[4]، بينما انحصر سلطان الدولة الزيرية في المنطقة الساحلية المحيطة بعاصمتهم المهدية، ثم امتد نفوذ العرب إلى قبائل زناتة البربرية وإخضاعهم.

يقول ابن خلدون "فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الأمصار والمدن، قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصر السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تامنطيط ثم واركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا ... فحاز عرب المعقل هؤلاء الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الإتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وكانوا من تلك السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطوائل و يسمونها حمل الربيع، وكان لهم الخيار في تعيينها"[5].

من بين القبائل العربية التي توافدت على الإقليم التواتي ذكر المؤرخ الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: أولاد محمد، الخنافسة، المحارزة، وغيرهم ممن نزل بها من عرب الساحل[6] وغيره*.

انتشر بنو هلال في جميع أنحاء المغرب وتعايشوا مع قبائل البربر مثلما فعل سابقوهم الفاتحون العرب الذين نشروا الإسلام بادئ ذي بدء، وعرّبوا سكان المنطقة قبل أن يتزاوجوا معهم متمكنين في آخر المطاف من نشر العادات والتقاليد العربية بين البربر[7] .انتشر الهلاليون في المغرب وزاولوا نشاطاتهم التي ألفوها في المكان الذي قدموا

---

[1]. ابن الأثير: المصدر السابق، ص 295 .

[2]. عبد الرحمن ابن خلدون:( مج 7)،ا لمصدر السابق، ص 77 .

[3]. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق، ص 61 .

[4]. عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، (مج 7)، ص 77 .

[5]. نفسه، ص. ص 77 – 78 .

[6]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص 8 .

* . أولاد طلحة، أولاد يعيش، أولاد بحم، أولاد عمر ملوك، أولاد ملوك، أولاد غانم، أولاد دريم، أولاد احريز، أولاد منصور، وكافة أولاد أقدوع وأولاد زنان وغيرهم من عرب المعقل كأولاد الحاج وأولاد عائد.

[7]. محمود احمد أبو صوة: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات ELGA: 1997، ص 198.

قدموا منه إلى جانب البربر مما أنجرّ عنه علاقة تأثير وتأثر بين الطرفين في المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية و الثقافية والاقتصادية .

لعل أول أثر سياسي تركه بنو هلال وبنو سليم بعد دخولهم إفريقية هو تشكيل إمارة عربية بمدينة قابس والتي أقامت علاقات تجارية مع جيرانها[1]، وغيرها من الإمارات العربية الأخرى، إلا أنه بعد فتح إفريقية من طرف الموحدين انتهى عهد هذه الإمارات وقضي على استقلالها[2] .

ولقد أدى دخول الهلاليين بلاد المغرب الإسلامي إلى انقسام هاته الأخيرة إلى طوائف على نحو ما حدث في الأندلس، فقد استوى بنو هلال على مناطق الداخل من قابس إلى الغرب، وظل بنو زيري يحتفظون بالمهدية و ما يليها، واستقر بنو حماد في بجاية وحمو بنو سليل البرغواطي في صفاقس وابن خراسان في تونس وموسى بن يحي في قابس، أما المنصور الموحدي فقد سلك سياسة المهادنة والملاطفة مع بني هلال وبني سليم إدراكاً منه لِمَ لهؤلاء من تأثير على دولته[3]. إن أكبر أثر تركه بنو هلال وبنو سليم في بلاد المغرب تمثل في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي، فكانوا عنصراً فعالاً في قيام الدويلات المغاربية وفي سقوطها كذلك[4].

لقد ظهر الدور السياسي والعسكري للعرب الهلاليين في الدولة الموحدية وفي الدولة الحفصية وفي دولة بني عبد الواد و الدولة المرينية والدولة الزيانية وغيرها، ما بين حلفاء للأمراء المغاربة أحياناً أو أعداء لهم أحيانا أخرى وهذا حسب ما تقتضيه المصلحة[5].

لقد شارك العرب الهلاليون في حروب المسلمين بالأندلس؛ بعدما استنجد بهم الموحدون للدفاع عن إخوانهم مسلمي الأندلس إبان عصر الطوائف، وقد أبلوا في الجهاد بلاء حسنا، كما استعان الأمراء الموحدون بقبائل بني رياح على المرينيين في عدّة جولات ما بين منتصر ومنهزم، كما أن دعامة الجيش المريني كانت من القبائل العربية، ضِف إلى أنه إبان عهد الدولة الحفصية استنهض أبو زكرياء الهلاليين معه في الزحف للاستيلاء على تلمسان وقد تمكنوا من ذلك، كما أن بني عبد الواد بني زيان استعملوا الهلاليين في استعادة ملكهم بتلمسان والحفاظ عليه أواسط القرن الثامن الهجري ونتيجة لذلك قامت الدولة الزيانية من جديد[6].

---

[1]. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الشروق، بيروت: 1980، ص 57 .

[2].عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر: 2007، ص 177 .

[3]. نفسه، ص 178 .

[4]. عز الدين احمد موسى: النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت: 1983، ص 93 .

[5]. عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص. ص 178 – 182.

[6]. نفسه، ص 264 .

أما عن الأثر الاجتماعي لبني هلال في المغرب الإسلامي فقد تمثل في امتزاجهم بقبائل البربر ومصاهرتهم لهم مما نتج عنه أجيال أقوى شكيمة و أشد مراساً من أجدادهم، كما تطور مفهوم القبيلة العربية بالمغرب فيما يختص بالزواج والحلف والجوار والطعام[1].

ومع مرور الوقت كان التمازج الاجتماعي بين البربر والعرب يزداد عمقا وأضحت المدن تعيش في سلام وفي تعاون اجتماعي راقي نتج ذلك عن بساطة الحياة الاجتماعية التي يتميز بها سكان المغرب الإسلامي والتي تشبه إلى حد كبير بساطة عيش بنو هلال، وهذا ما سهل من ذوبان المغاربة في العرب وجعلت منهم مجتمعا واحدا يتقاسم البيئة المغربية ويعمل من أجل استمرار الحياة في هذه البقعة الشاسعة من العالم الإسلامي[2].

لقد نتج عن التزاوج الهلالي المغربي أن ترسّخَت اللغة العربية في المنطقة وعمت الأخلاق العربية وانتشرت، ومازال المغاربة يستعربون حتى اندمج الكثير منهم في الكتلة العربية وأصبح من العسير التفريق بين العربي والمغربي[3]. أما الأثر الذي تركه الهلاليون على الجانب الاقتصادي لبلاد المغرب الإسلامي فقد تمثل في التكيف مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة بالمنطقة والبناء والمساهمة النشطة في بعث الحياة الاقتصادية[4].

لعب الهلاليون دورا اقتصاديا متميزا في المغرب، فكان نشاطهم دائبا في جباية الضرائب وفي الاهتمام بالزراعة وبتربية الحيوانات خاصة الخيول، كما سيطروا على الطرق التجارية والتي أحسنوا استغلالها وأضحوا يراقبونها. لكن ابن خلدون يرى أن عرب بني هلال وبني سليم لما دخلوا افريقية والمغرب منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاث مائة وخمسين من السنين قد عادت بسائطه خرابا كلها، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمنذر..."[5]

إلا أن الإدريسي أعطى أدق وصف لمدن المغرب بعد وصول الهجرة الهلالية إليها؛ حيث قام بعرض حالة المدن الغربية ما بين مدينة خربها المهاجرون العرب وأخرى تآلفوا مع سكانها و شاركوهم نشاطاتهم اليومية.

من المدن التي خرّبها العرب ذكر الإدريسي " قابس، الفوارة، آبار خبت، قصر صبرة وطرابلس... وكل هذه المنازل التي ذكرناها... خلاء بلقع قد أتت العرب على عمارتها وطمست آثارها و أخربت عشارها وأفنت خيراتها فليس بها الآن أنيس قاطن ولا حليف ساكن وهي مستباحة لقبيلة من العرب تسمى مرداس ورياح..."[6].

---

[1]. مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص 264 .

[2]. عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 189 .

[3]. عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 194 .

[4]. نفسه، ص 190 .

[5]. عبد الرحمن ابن خلدون: (مج1)، المصدر السابق، ص 265 .

[6]. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مج1)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 2002، ص 297 .

أما المدن التي ظلت على عمارتها ولم تخرب أورد الإدريسي "والمنستير قصور ثلاثة يسكنها قوم متعبدون والأعراب لا تضرهم في شيء من شجرهم ولا من عمارتهم ..."[1].

وقال أيضا عن مدينة تونس:"... وهي مدينة حسنة يحيط بها من جميع جهاتها فحوص ومزارع للحنطة والشعير وهي أكبر غلاتها، وجل معاملاتها مع ثقات العرب وأمرائها وهي الآن... معمورة موفورة الخيرات يلجأ إليها القريب والبعيد..."[2].

وعن قسنطينة قال: "ومدينة القسنطينة عامرة و بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار والحنطة..."[3].

ما نخلص إليه من كل ما ورد هو ما تَوَصَّل إليه الأستاذ عبد الحميد خالدي حين قال: "لاشك أن انتقال القبائل الهلالية وعملية استقرارها وما نتج عن ذلك من تفاعل ( حروب – مصادمات ) أظهر دورها المفسد لاقتصاديات بلاد المغرب، ولكن في المقابل لا يمكن إنكار دورهم الايجابي والفعال في حياة المغرب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية[4].

## 2. نمط العمران الصحراوي:

إن البيئة الصحراوية وما تمتاز به من قساوة المناخ وعدم خصوبة التربة أجبرت الإنسان التواتي على حفر الفقاقير وممارسة الزراعة لتأمين قوته، إلى جانب اتخاذه مساكن طينية ليأوي إليها، فانتشرت القصور والقصبات على شكل تجمعات سكنية منغلقة على نفسها ليتحول البعض منها نتيجة لعدة عوامل اجتماعية واقتصادية إلى حواضر كبرى شكلت مركز إشعاع ثقافي واقتصادي وسياسي، برز دوره الكبير في مختلف مجالات الحياة خاصة العلمية منها, ويظهر ذلك جليا فيما زخرت به المنطقة من علماء ومشايخ زوايا تركوا بصماتهم النيرة في المنطقة من خلال ما أسسوا من زوايا وما ألفوا من كتب في مختلف مجالات العلوم تاركين إرثا علميا أثرى الساحة التواتية وما جاورها خاصة السودان الغربي، وخير دليل على ذلك خزائن المخطوطات التي تزخر بها المنطقتين[5].

من المعروف أن النسيج العمراني لأي بلد يقوم وفق التقاليد الحضارية السائدة فيه؛ والتي تنتج من خلال تفاعلات كثيرة؛ أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية و الاستجابة للشروط الحضارية التي يسير عليها ذلك المجتمع حيث نجد الدين والعرف يتصدران تلك الشروط[6].

---

[1]. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالإدريسي: المصدر السابق ، ص 282 .

[2]. نفسه، ص 285 .

[3]. نفسه، ص 265.

[4]. عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 203

[5]. مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ، (ط1)، دار السبيل، الجزائر: 2009م، ص. ص 50. 51.

[6]. عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر: 2000، ص 36.

لهذا اختلفت في الكثير من الأحيان تسميات الأشياء من قطر إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، كما هو الحال في مصطلحي القصر والقصبة حيث نلمح الاختلاف الواضح في هذا الشأن بين المناطق الشمالية للجزائر والمناطق الجنوبية منها[1].

ففي هاته الأخيرة تعد القصور والقصبات اللبنة الأولى والأساسية في عمران الصحراء عامة والمناطق التواتية خاصة، حيث ظلت هاته المناطق محافظة على هندستها المعمارية للقصر والقصبة في خضم التطورات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية والسياسية التي تشهدها، وإن حدث تغيرا في بنية المواد المستعملة في عملية البناء إلا أن التصور العام للقصر ظل محافظا على تصميماته وتكويناته المعمارية.

كثيرا ما يحدث الخلط بين مفهوم القصر والقصبة، إلا أنه لكل منهما دلالة معينة تختلف عن الأخرى و إن كان هناك تداخل بينهما في الكثير من الصفات.

- **.مفهوم القصر في عمران الصحراء:**

أما عن مفهوم القصر فقد وردت له عدة تعريفات في المصادر اللغوية فقيل:" بأنه الحبس لأنك إذا بلغت الغاية حَبَسَتْكَ"، وقيل أيضا: "ما شُيِّد من المنازل و عَلا وجمعه قصور"[2].

وورد في لسان العرب أن القصر هو الحبس قال الله تعالى:"...حور مقصورات في الخيام[3]..." أي محبوسات[4].

والقصْر من البناء هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر قرشيّة، سمى بذلك لأنه تُقصر فيه الحُرَمُ. أي تُحْبَسُ وجمعه قصور[5]. قال الله تعالى : "ويجعل لك قصوراً[6] "

والملاحظ من خلال هذه التعاريف اللغوية لمصطلح القصر أنها اتفقت على معنى: الحبس أو المنعة وهو ما يتطابق مع الخصائص المعمارية للقصر، كما أن هذا المفهوم يقترب من المصطلح المتداول والشائع في المصادر التاريخية حيث يقصد بالقصر : مقر الخليفة وأفراد عائلته وحاشيته[7].

وهذا المعنى الأخير هو المتعارف عليه في المفهوم العام للقصر حيث تعتبر القصور بناءات مخصصة للحاكم أو السلطان باعتبارها أماكن أكابر القوم وأغنيائهم، امتازت بفخامة وحسن تخطيطها وروعة زخرفتها

---

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 56 .

[2]. المنجد في اللغة والأعلام: المعجم السابق، ص 633 .

[3]. الآية 72 من سورة الرحمن

[4]. ابن منظور: (مج 5)، المعجم السابق، ص99.

[5]. نفسه، ص 100.

[6]. الآية 10 من سورة الفرقان.

[7]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 55 .

وذلك لما كان يوليه الحكام من اهتمام بها وتنافس فيما بينهم[1]. فاتخذوا القصور العالية ذات الأبواب الضخمة والزخارف البديعة والحدائق الغنّاء.كما تعدّدت مهام تلك القصور، فكان منها ما خصّص للراحة والاستجمام، وقد اتخذت لها المواقع الخاصة بها داخل وخارج المدن[2].

القصر في العمارة البربرية يعني القرية المحاطة بسور، وهو ما يشبه المجمع السكني أو القرية السكنية المخصصة لأعضائها من السكان[3].

القصر هو نمط خاص للعمارة البربرية الصحراوية، حيث مازالت هذه الكلمة تطلق على كثير من القرى المنتشرة في الصحراء[4].

أما في مناطق الأطلس الصحراوي وجميع المناطق الصحراوية تعني تسمية "القصر" أو "لَقْصَرْ" تلك المجموعات السكنية التي تشغل أحيانا مساحات صغيرة و أخرى كبيرة؛ وتكون محصّنة أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة؛ بالإضافة إلى قربها من الأودية والواحات. ومن ثمّ فالقصر وجمعه قصور هو موضع ( مدينة ) محصّن محاط بأسوار؛ ساحاته تتوفر على مخازن ومتاجر للقبائل الرحل التي تحفظ فيها الحبوب كلما ذهبوا بعيدا بحثا عن الكلأ لقطعانهم[5].

أما في عمارة إقليم توات فيمكن تحديد مصطلح القصر بأنه المكان المأهول بالسكان والمبني على هضبات مرتفعة من سطح الأرض، به مجموعة من المساكن والمنازل الموحدة الشكل واللون، محاط بسور مرتفع[6] ذو أبراج عالية معدة للعملية الأمنية وللحراسة المستمرة[7]، يحكمه عامة باب خارجي كبير، كما تأتي معظم هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية[8] – وأحيانا تخلو تماما من مثل هذه العناصر الدفاعية[9]، هاته التحصينات الدفاعية في إنشاء العمارة التواتية تمتد جذورها كبقية المدن الإسلامية من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة

[1]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص36.

[2]. نور الدين بن عبد الله: العمارة التقليدية بإقليم توات، مجلة كان التاريخية الالكترونية، ع/ 15، دار ناشري، السنة الخامسة: مارس 2012، ص 122.

[3]. لطف الله قاري: الموقع السابق.

[4]. نفسه.

[5]. منى دحمون: قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: علي علي حملاوي، معهد الآثار، جامعة الجزائر: 2004-2005، ص 12 .

[6]. محمد بيدي: قصور منطقة عين الصفراء ( قصر مغرار الفوقاني نموذجا)، دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في في الآثار الإسلامية، إشراف: صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر: 2010، ص 13.

[7]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 57 .

[8]. احمد جعفري: العمارة الإسلامية في أقاليم توات، تاريخها ونمط أشكالها، هندستها ومواد بنائها وأبعادها القيمية، مجلة تراث، ع/115، أبوظبي( الإمارات العربية المتحدة)، مارس 2009م، ص 3.

[9]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 13.

المنورة, وما قام به من حفر للخندق بها من الجهة الشمالية جهة الخطر، وكذلك طبيعة البيئة الصحراوية التي وجدت فيها هاته القصور والتي كانت في مجملها بيئة حربية يغزو فيها القوي الضعيف[1].

كما أن القصر هو عبارة عن شكل من أشكال التجمعات البشرية وهو يمثل نموذجا حيويا لمجموعة من التقاليد السائدة بين سكان الإقليم، فهو نسيج عمراني متجانس يميزه ثراء معماري متميز[2].

هاته العوامل وغيرها هي التي تفسر كون القصر في حد ذاته مصنف ضمن السكن القروي التقليدي المنغلق, إذ أنه يتوفر على مدخل واحد يعرف باسم "فم القصر"، وفي بعض القصور نجد مدخلا أو بابا ثانويا بالإضافة إلى الوسائل الدفاعية[3].

فالقصر يتكيف مع الظروف البيئية للمنطقة والظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية لها والتي تتوافق مع طبيعة المناخ الصحراوي، مما ساهم في بناء معمار يتلاءم مع الخصوصيات المناخية والحاجات الاجتماعية التي سادت خلال قرون، و يستعمل زيادة على ذلك مواد موجودة في البيئة المحيطة به تتيح للقصور أن تندمج جماليا في محيطها[4].

- **مفهوم القصبة في عمران الصحراء:**

أما القصبة فقد ورد لها على غرار القصر عدة تعريفات لغوية نذكر منها ما ورد في لسان العرب: القصبُ كل نبات ذي أنابيب، واحدتها قصبة، وكل نبات كان ساقه أنابيب وكعوبا فهو قصب[5].

والقَصَبَة جوف القصر، وقيل القصر، وقصبة البلد: مدينته، وقيل معظمه. وقَصَبة السواد: مدينتها. والقصبة: جوف الحصن، يُبنى فيه بناء، هو أوسطه، وقصبة البلاد: مدينتها، والقصبة القرية . وقصبة القرية: وسطها[6].

يلاحظ من خلال التعريف اللغوي لمصطلح القصبة أنه يتناسب مع المميزات العمرانية للقصبة والتي تتوافق مع معنى جوف الشيء ( القصر – الحصن)، كما أن هذا المفهوم يقترب من القصبة الذي أورده الأستاذ آدم ستز في كتاب الحضارة الإسلامية حيث يقصد بالقصبة "عاصمة الإقليم"[7].

---

[1]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص03 .

[2]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 56.

[3]. نفسه، ص 57 .

[4]. كمال محمد: مفهوم أغرم ( القصر ) وهندسته وظروف انتشار هذا البناء وأهم وظائفه في واحة تودغة، تاريخ النشر 2012/08/26، متاح على الموقع contact@boomalne-dades-inf، تاريخ التحميل 2013/02/07.

[5]. ابن منظور: (مج5)، المعجم السابق، ص 674.

[6]. نفسه، ص. ص 676 – 677.

[7]. آدم ستز: المرجع السابق، ص 268.

أما عن مفهوم القصبة في إقليم توات فهي عبارة عن قلعة يحيطها سور، تشيد بطريقة دفاعية لتستعمل كمأوى للسكان عند نشوب حرب أو غزوة من قبائل خارجية، فالقصبة هي الجزء الأهم في المدينة والقلب النابض لها، وتمثل إقامة القبائل أو العائلات، يحيط بها سور خارجي، أقيمت في أركانه أبراج للمراقبة والحراسة أوقات الخطر، يحيط السور خندق عميق يسمى "أحفير"، و به مدخل واحد يفتح عند الفجر ويغلق ليلا، ولا تخلو القصبة من مسجد وكتّاب[1]، وبئر للشرب كما أن مساكنها بنيت بنفس طريقة بيوت القصر وبنفس تصميمها وتكوينها العام والخاص، إلا أن للقصبة طريق واحد من المدخل باتجاه جميع مرافق القصبة ثم العودة فيه ويدعى "ساير داير".

بالنسبة لقصبات توات الوسطى عموما فكانت تتخذ سكنا لعائلة أو مجموعة من العائلات ميسورة الحال، بينما يبقى القصر سكنا للطبقات المتوسطة والكادحة في المجتمع على عكس قصبات منطقة ڤورارة والتي كانت تستعمل مخازن لتخزين المحصول خوفا من نهب قطاع الطرق وغيرهم، كما تمت تهيئتها للظروف الاستثنائية (تعرض القصر لهجوم خارجي ) نظرا لاحتوائها على جميع مقومات الحياة (منازل، بئر، مسجد )[2].

يمكن اعتبار القصبة هي النواة الأولى لأعمار تلك المناطق الصحراوية معتمدين في ذلك على الهجرات البشرية التي عرفتها تلك المناطق من إقليم توات؛ فقد لجأت أقوام إلى هاته الصحاري البعيدة بحثا عن الأمن المفقود في أوطانها الأصلية، ومنهم تكوّن النسيج الاجتماعي للقصور ( بربر، يهود، عرب، أفارقة )، وبالرغم من بعد المسافة عن الموطن الأصلي إلا أن هاجس الخوف من المجهول أو من تكرار المآسي السابقة ظل مسيطرا عليها، وهو ما دفعهم إلى بناء مساكنهم بشكل الحصون، كما أن الحروب والفتن التي قامت بين تلك الأقوام للسيطرة على المكان كان لها دورا في ظهور القصبة بشكلها الدفاعي، وبعد استقرار الأوضاع الأمنية وتزايد عدد السكان, كان لزاما عليهم الخروج من تلك القصبات ليعمروا بجانب بساتينهم فكان ما يعرف الآن بعمارة القصب التي جاءت على هيئة القرى الزراعية، وبهذا يكون عمران القصبة أسبق من عمران القصر[3].

مع العلم أن كل قصر يحتوي على قصبة أو أكثر[4] وقد تكون داخل القصر أو خارجه؛ لكن حسب الزيارات الميدانية فمعظم القصبات تتموقع داخل القصور*. وفوق مرتفعات لدواعي أمنية وقريبة من مجاري المياه شأنها في ذلك شأن القصر. أما عن شكل هاته القصبات فهي إما مربعة أو مستطيلة الشكل أو ذات شكل دائري، قد تكون ذات طابق أرضي فقط أو ذات طابقين.

---

[1]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 37.

[2]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص. ص 117-119 .

[3]. نفسه، ص 117.

[4]. قد يبلغ عدد القصبات في القصر الواحد ثلاثة ويمكن أكثر.

* .القصبة القديمة والقصبة الجديدة والقصبة السفلانية تقع داخل قصر أدغاغ بينما قصبة القايد تقع خارج هذا القصر بل بعيدة عنه حوالي3 كم.

**ثالثا: القصور التواتية:**

تعتبر القصور الركيزة الأساسية للحضارة التواتية، التي يمكن تسميتها بحضارة القصور, حيث أن المجتمع التواتي لم يستطع إقامة تجمعات سكانية كبيرة, بل على العكس من ذلك كان السكان غالبا ما يلجؤون إلى الهجرة والترحال من التجمعات السكانية الكبيرة لاختطاط القصور الجديدة في أماكن يتواجد بها الماء والتربة الجيدة الصالحة للزراعة. لأن التربة الصحراوية فقيرة وغير متجددة ويقل مردودها من سنة إلى أخرى[1].

لقد لعبت القصور الصحراوية خاصة التواتية – بما فيها القصبات – دورا حضاريا وثقافيا واجتماعيا، فحين كانت قائمة بذاتها متناسقة في أدوارها أنتجت الثقافة القصورية ذات المشارب المتفاوتة، كما أن تقدم القصور التواتية كان لوجود صنائعها وحرفييها وقدرة نظامها على المسايرة والتعايش وديمومة الإنتاج والتناسق الاجتماعي, وعمرانها لم يكن في حاجة إلى صناعة متطورة بقدر ما كان في حاجة إلى الصناعة الحاجية، وكان وجود الصناعة البسيطة التي تطلبها العمران البدوي كالتجارة والحدادة والحياكة والخياطة والجزازة استرعى اعتمادها على القوة الإنسانية اليدوية والتي لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها ثابتة على البداوة وصناعتهم ثابتة على صنائعها وتابعة لها[2].

**1. وصف القصور التواتية و مميزاتها:**

إن المتتبع لتاريخ القصور الصحراوية من خلال المصادر التاريخية يذكر أن هاته المصادر لم تأتِ على وصف النسيج العمراني لتلك القصور؛ إلا إذا استثنينا كتابات بعض الفرنسيين كإشالييه ( Echallier) و بيترو (Pietro. Laureaux) ) اللذان قدما وصفا يمكّن من تصور شكل تلك القصور. ويبدو أن إغفال الرحالة الجغرافيين الإسلاميين الذين أتوا على ذكر القصور التواتية في مؤلفاتهم وصف المنشآت المعمارية التواتية مرده إلى افتقار هاته الأخيرة لمعالم تشد انتباه الزائرين، كالجوامع الكبيرة والبنايات الفخمة، فضلا عن هذا وجود تلك المناطق على محور القوافل، لم يجعلها مناطق استقرار للمؤرخين والرحالة، حتى يتمكنوا من وصف منشآتها المعمارية. وصفا دقيقا وهو ما يتضح من أوصافهم التي تتسم بالعمومية، كما أن غياب السلطان فيها كان من بين أسباب إهمال وصف معالمها[3].

4. Abdrahman salka ," Notice sur le Touat : population,çofs ksours,lègendes, commerce, jindustie , agriculture, èlvage,mœurs, et coutumes", Bulletin de la Sociétè de gèographie d2.'Alger:1922, PP 526-527.

[2]. مقدم مبروك: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، (ج1)، دار هومة، الجزائر: 2008، ص، ص32 ،34.

[3]. بن عبد الله نور الدين: المرجع السابق، ص. ص76 – 77 .

أما عن عدد قصور توات خلال فترة الدراسة فقد تعددت الروايات حول ذلك واختلفت مشاربها. وقد ورد في مخطوط العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي المعنون بـ "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: " وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصراً...[1]".

وحسب التقييد المسمى بـ: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى*, بلغ عدد قصور إقليم توات في القرن 12هـ/18م حوالي 280 قصرا** تقريبا . ونفس العدد صرّح به العلامة ابن خلدون قائلا: " وطن توات به قصور عديدة تناهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق...[2]"

تمتاز عمارة القصور التواتية عامة بعدة خصائص طبيعية ووظيفية وعمرانية نذكر منها :

. وقوعها فوق قممم الجبال أو على سفوحه أو على هضاب صخرية صلبة لتسهيل عملية التحصين والدفاع[3] والاستطلاع والكشف[4]؛

. تموقع البيوت والدور في بناء جامع داخل سور محاط بخندق وبأبراج في كل أركانه وهو الذي تسميه الجماعة بالقصر أو القصبة[5]؛

. بناء القصر وسط أو بالقرب من مجاري المياه[6] سواء كانت سطحية كالوديان أو باطنية كالفقارة؛

. ارتباط عمارة القصور بالجانب الفلاحي حيث تقع بالقرب من الأراضي الزراعية, فمعظم القصور التواتية تحيط بها البساتين الخضراء وواحات النخيل الخلابة ( الجنة أو الجنان ) حيث شكلت مصدر رزق للسكان وحاجزا منيعا للتقليل من حدة الرياح والعواصف الرملية الموسمية[7]؛

---

[1]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المخطوط السابق، ص01 .

*. هذا التقييد هو عبارة عن وثائق منقولة من أحد الكنانيش المغربية: وهي مجلات حكومية كان الكتاب يقيدون بها ما يصدر عن السلاطين من ظهائر ورسائل؛ وما يرد عليهم من عمالهم وسائر ولاة أمرهم وأفراد رعيتهم. يرجع تاريخ الكناش إلى عهد السلطان مولاي الحسن، وقد تضمن مجموعة من الوثائق عن إقليم توات، تاريخ أولها 23 محرم 1111هـ وتاريخ آخرها جمادى الثاني عام1309 هـ.

**. لم يرد هذا العدد في التقييد وإنما قمنا بعد القصور المذكورة فيه والتي كانت مرتبة جغرافيا من تبلكوزة إلى عين صالح، مع العلم أن هناك أخطاء في كتابة العديد من أسماء هاته القصور.

[2]. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، (مج7)، (ط1)، دار الكتب العلمية، لبنان: 1992م، ص، ص 68 ،86.

[3]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 14.

[4]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 7.

[5]. نفسه، ص 7.

[6]. نفسه، ص 3.

[7]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 14.

. تقارب القصور لدرجة انضواء مجموعة من القصور تحت مسمى جامع فنجد مثلا تمنطيط وتضم كما قال المؤرخون ثلاثمائة وستة وستين قصرا متصلة ببعضها البعض[1]؛

. تلاصق العمران[2] وفق نمط متضام. فتظهر البيوت وكأنها خلية نحل بحيث لا يمكن أن نميز بين المساكن إلا من خلال أسطحها[3]. وهذا ما ساعد على ربط أواصر المحبة والألفة بين أبناء القصر؛

. اتخاذ المسجد وسط القصر كنقطة ارتكاز رئيسية وأساسية لكل بناء ومن حوله بقية الدور[4]؛

. وجود قصبة أو أكثر بالقصر أو بالقرب منه[5]؛

. خلو العمارة التواتية من الزخرفة وكافة الأشكال الهندسية إلا نادرا أو في بعض المساجد[6]؛

. تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في ضرورة احترام حرمة الجار من خلال انسجام الأبنية مع بعضها البعض من وجهة الارتفاع تحديدا[7]. وفق قاعدة لا ضرر ولا ضرار؛

. خلو البنايات التواتية من الحدائق المنزلية، لوجود مساحات كبرى خارجية تعرف"بالجَنَّة"[8](البساتين )؛

. الحرص على حق الطريق ونظافتها[9]؛

. تسميات القصور والقصبات متنوعة كأن تنسب إلى شخص أو الولي الصالح الذي كانت له مكانة علمية وسط القبيلة التي كان يعيش فيها وكان له الفضل في لم شملهم وتعليمهم، أو ينسب إلى القبيلة التي تسكن فيه كقصبة أولاد عايد، وقد يكتسب تسميته من الواجهات الجغرافية التي تحدد موقعه مثل القبلي (الجنوبي) أو الظهراني ( الشمالي) كما ينسب أحيانا إلى المكان الذي تقع فيه ( التحتاني – الفوقاني ) أو إلى قدمه أو حداثته ( القديم – الجديد) أو إلى كبره أو صغره ( الكبير, الصغير)[10].

---

[1]. أحمد جعفري: المرجع السابق، ص 2.

[2]. نفسه، ص 7 .

[3]. نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص 91 .

[4]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 7 .

[5]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 15.

[6]. أحمد جعفري: المرجع السابق ، ص 7.

[7]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 7.

[8]. نفسه، ص 7.

[9]. نفسه، ص 8.

[10] محمد بيدي: المرجع السابق، ص 15.

. الاعتماد على العناصر البيئية في تشييد المباني حيث استغل المهندس المحلي ما يحيط به من طين ورمل ومكونات النخلة للقيام بعملية البناء التي تمت بتسخير ما جادت به الطبيعة ووفقا للظروف المناخية والاجتماعية والاقتصادية للساكنة[1]؛

. سعت العمارة التواتية إلى تحقيق مبدأ التعاون والتشاور فيما بين السكان؛ وتوفير الراحة الجسدية والنفسية للمارة من خلال طريقة تصميم الشوارع والأزقة ( التعرج والضيق والتسقيف ) وكذا إقامة عتبات ( الدَّكَّانَة ) على طرف جدران الأزقة والشوارع[2].

لقد شكلت العمارة التواتية طابعا إقليميا مميزا؛ ناتجا عن بروز جملة من المؤثرات الدينية والبيئية والاجتماعية المحلية التي تتحكم فيها؛ وإلى أبعد حد البيئة والمناخ والعادات والتقاليد[3] والأعراف والتركيبة البشرية ( ( عرب، بربر).

ولعل أهم ما يلاحظ على هذه العمارة أنها جاءت في هندستها وتخطيطها مراعية لمبادئ الشريعة الإسلامية والتي تتجلى من خلال :

1. الدعوة إلى إكرام الضيف، ولهذا خصصت العمارة الإسلامية التواتية حجرة مستقلة في واجهة البيت وأحيانا تكون بجميع مرافقها، كما أن بابها غالبا يكون دون قفل لتسهيل عملية خروج ودخول الضيف؛

2. الفصل بين مجمع الرجال ومجمع النساء، وهو ما نجده مجسدا في تقسيم البيوت إلى واجهتين (السقيفة ، الصحن )؛

3. الفصل بين الأبناء الذكور والإناث في المضاجع ولهذا جاءت هذه البنايات في غرف متعددة بين الثلاثة والأربعة غرف غالبا ( غرفة الضيوف–غرفة الوالدين–غرفة الأبناء الإناث–غرفة الأبناء الذكور). أما في البيت الثلاثي فتكون غرفة الضيوف هي نفسها غرفة الأبناء الذكور.

4. نهلت العمارة الإسلامية التواتية هندستها العامة من تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة وبعض المدن الإسلامية الأخرى وهذا ما نجده في :

. بناء المسجد كمرتكز أساسي؛

. الاعتماد على العمارة الدفاعية في بناء القصبات والقصور (الخنادق، الأسوار، الأبراج...)؛

. بناء الشوارع الرئيسية الكبرى لتتفرع منها الأزقة والدروب أسوة بما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكوفة والبصرة حيث أمره أن تكون الشوارع الرئيسية 60 ذراعا وما سواها 30 ذراعا والأزقة 7 أذرع؛

---

[1]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص8.

[2]. نفسه، ص8.

[3]. نفسه، ص 8.

. مراعاة حرمة الجار في ارتفاع الأبنية بعضا عن بعض كما نص على ذلك الشرع[1].

انفردت العمارة الصحراوية عامة والتواتية خاصة بعدة خصائص طبيعية ووظيفية وعمرانية؛ فالخصائص الطبيعية تمثلت في اختيار مكان منيع لتشييدها مع قربه من واحات النخيل ومن مصادر المياه. كما استخدمت البيئة المحيطة به في استخراج المواد اللازمة لعملية البناء والتشييد من رمل وطين وأخشاب. أما الخصائص العمرانية فتتمثل في تقارب القصور مع إمكانية اتحاد مجموعة من القصور تحت مسمى جامع، و كذا تلاصق العمران حتى لا تكاد تميز بينه إلا من خلال الأسطح.

**2. طبيعة العمارة التواتية:**

العمارة بكل أشكالها هي أحد الرموز الثقافية والمادية التي تعكس تعاقب التاريخ بتطوراته وتغيراته التكنولوجية والبيئية. فالعمارة هي أكثر الوثائق التي يمكن اعتمادها في إعادة بناء تصورنا عن الماضي فهي صورة مباشرة عن المعاني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة في المكان والزمان[2].

منذ القِدم تفاعل الإنسان بتوافق مع البيئة الطبيعية المحيطة به. فلقد استخدم مواهبه في إيجاد تقنيات لاستيفاء حاجاته سواء من الغذاء أو المسكن، فكانت مبتكراته في الإنتاج طبيعية و نفذت بالمواد التي قدمتها له البيئة[3]. وعلى هذا الأساس حَدّدت جغرافية المكان نمط مادة البناء المعتمدة في تشييد المباني، كما مثل المناخ العامل الأكثر تحكما في عملية الإنشاء وكان له الدور الفاعل في عملية بناء المدن الإسلامية على مر العصور[4]. لذلك عمل معماريو القصور التواتية على اختيار المواد الأولية لإقامة مبانيهم، مراعين في ذلك ملاءمتها للبيئة والمناخ، فجاءت بذلك موادهم على النحو الآتي :

**. الطين:** يُعد الطين من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان منذ ما يقارب عشرة آلاف سنة، فالطبيعة أوحت للإنسان استخدام هذه المادة والتي بُني بها برج بابل في القرن 7ق م؛ واعتمدتها كمادة أساسية في البناء، كذلك حضارات مصر وبلاد الرافدين والحضارة العربية الإسلامية وحضارات متنوعة في الهند والمكسيك وفي إفريقيا[5].

---

[1]. احمد جعفري، المرجع السابق، ص8.

[2]. شهوان محمد: العمارة الطينية ... عمارة الفقراء: عودة للتراث ... ومحاكاة للبيئة، تاريخ النشر 2013/04/17، متاح على الموقع: hhttp://andalusiat.com، تاريخ التحميل 2014/01/01.

[3]. نورا عبد عبود: العمارة العربية الإسلامية والبيئة، تاريخ النشر 2014/11/24، متاح على الموقع ww.ecomena.org، تاريخ التحميل/2014/12.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص . ص202 – 203 .

[5]. نورا عبد عبود، الموقع السابق.

ولا تزال البلاد العربية تحتفظ بشواهد رائعة عدة لأولى المدن التاريخية؛ التي بنيت كاملة بالطين كمدينتي شبام و صعدة باليمن؛ ومدينة مراكش بالمغرب وغدامس بليبيا وحلب في سوريا وأريحا بفلسطين ومنطقة توات بالجزائر[1].

هاته الأخيرة استعملت فيها الطين كمادة أساسية في تشييد عماراتها. فقد اعتمد بناة القصور على ما تجيد به البيئة من حولهم في تشكيل بناياتهم حيث كانت الطين المادة الأكثر تواجدا في المنطقة.

أما بخصوص أماكن استخراج مادة الطين فكانت غير بعيدة من محيط القصور، وكان لون الطين المستعمل في البناء يأخذ دائما اللون الأمغر أو الأحمر أو لونا يميل إلى الاصفرار وهذا بحسب مكان استخراج الطين[2].

تتم عملية التحضير في الهواء الطلق بعد أن تختار المادة الطينية, خاصة أن طبيعة المنطقة تجعل مادة الطين متوفرة مع اختلاف نوعيتها ولونها, ويتم تشكيل الطوب ( اللبن ) محليا على النحو الآتي:

بعد أن تنقل الطين إلى مكان الإعداد توضع على أرض مسطحة ويضاف لها الرمل بقدر معلوم؛ وكذلك الماء 50% وتبدأ عملية الخلط والتي تتم عادة بواسطة الأرجل من أجل الحصول على تماسك جيد للطين ويُضاف إليها أحيانا مواد أخرى كالتبن لتقوية تماسك الطوب. لنحصل بعد ذلك على عجينة, حينها تحضر قوالب من الخشب مستطيلة الشكل دون قاعدة ولا غطاء (30*12*10سم), لتوضع على الأرض وتملأ بالعجينة ويتم تسويتها باليد وفي الأخير ينزع القالب ببطء لنتحصل على اللبنة، يترك اللبن تحت أشعة الشمس ليجف لمدة 4 أيام أو خمسة خلال فصل الصيف ومن 15 يوما الى 20 يوما خلال فصل الشتاء[3] ليصبح بعد ذلك جاهزا للبناء.

كما تستعمل الطين أيضا كَمِلَاطٍ لكسوة الجدران الداخلية والخارجية للمنازل؛ ولتلبيس الأسطح منعا لتسرب الماء، أما طريقة الحصول على المِلَاطِ فتتمثل في ترك كمية من الطين في الماء لمدة طويلة تتجاوز الأسبوع حتى تصبح سائلا لزجا بعدها يضاف لها الرمل. ثم يستعمل الخليط لتلبيس جدران الطوب برميه على الجدران؛ ومن ثَمَّ تمرر عليه راحة اليد ليُملّس وفي بعض الأحيان توضع عليه زخارف بالأصابع وهي عبارة عن خطوط أو أشكال هندسية[4].

---

[1]. نورا عبد عبود، الموقع السابق..

[2]. بن السويسي محمد: المرجع السابق، ص 145.

[3]. نفسه، ص 149.

[4]. نفسه، ص 151.

لقد كان لمادة الطين بصماتها المتميزة على العمارة الصحراوية عامة والتواتية خاصة من خلال امتلاكها خصائص تضاهي في تشكيلها الإسمنت[1]. كما أن العمارة الطينية تسمح بتحقيق عدة ايجابيات نجملها في ما يلي:

*. إن الطين كمادة طبيعية ومتوفرة في معظم المناطق جعلت السكان المحليين يقبلون عليها خاصة وإنها بسيطة في التصنيع لا تحتاج إلى تقنيات وآليات في استخدامها؛

*. العمارة الطينية ذات مناخ صحي معتدل فهي باردة صيفا ودافئة شتاء؛

*. إن مادة الطين تخزن الحرارة والبرودة والرطوبة وهذا ما يؤدي إلى تحسين المناخ, وبإضافة مواد رابطة وبنسب مدروسة تتحقق المتانة والعزل اللازمين في البناء؛

*. الطين من أفضل المواد البيئية التي لا تشكل أي تلوث للبيئة أثناء التصنيع أو التنفيذ أو التعديل أو في حالة هدم المبنى وإعادة بنائه؛

*. الطين يوفر الطاقة المستخدمة في التصنيع حيث يحتاج إلى 1% من الطاقة اللازمة لإنتاج الإسمنت الذي يحتاج إلى الأوكسجين وينتج مواد مضرة؛

*. لوحظ بالتجربة أن الجدران الخارجية المصممة السميكة تحقق أكبر قدر من التأخير الزمني في الناقلية الحرارية وحيث أن جدران الطين بسماكة 40 سم تؤخر الحرارة 15 ساعة في حين أن جدران الأسمنت بسمك 20 سم لا تؤخر الحرارة سوى 5 ساعات و 6 دقائق[2]. ومن خلال تجربة في ريف دمشق بمقارنة مبنى طيني مع مبنى إسمنتي تحققت نسبة توفير اقتصادية 36 % عما يحتاج إليه البيت الإسمنتي؛

*. هذا النوع من العمارة يستطيع التحرر من قيود المركزية البيروقراطية والاحتكار؛

*. إن مادة الطين توفر إنتاجا مباشرا وسريعا؛

*. إن اعتماد عمارة الطين يعيد العلاقة الحميمة بين الإنسان والبيئة[3].

إن العمارة الطينية تقدم عمارة الشكل في متعة مليئة بالحيوية. جذورها الأرض المحلية والطبيعة بشكل عام, وتتلون في إيقاع كوني عميق في الحيز الملائم الطبيعي, وفي انعكاسات الشمس وتجوالها في المبنى تصبح العمارة جزء من المحيط البيئي[4]. كما أن الاستخدام الجديد لمادة الطين وتجفيفها الجيد تحت أشعة الشمس؛ إلى

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص. ص161 -162.

[2]. شهوان محمد: الموقع السابق.

[3]. نفسه.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 164.

جانب احترام السمك المناسب لجدران المباني والحرص على أن توضع الأسس متينة من الحجارة عند الإنشاء ينتج عنه بناء يقاوم لفترة طويلة؛ وبإمكانه أن يصمد أمام كل الظروف المناخية الشديدة القساوة[1].

**. الحجارة:** تعد الحجارة من أهم مواد البناء التي استخدمت في العمارة على مر العصور، كما تم استخدامها في تشييد مختلف أنواع العمائر الإسلامية، حيث يعد البناء الحجري من مظاهر الترف كما يقول ابن خلدون: "وكذا حال أهل المدينة الواحدة، فمنهم من يتخذ القصور المشتملة على عدة دور، ...، ويؤسس جدرانها من الحجارة".

أما في عمارة القصور التواتية فقد استخدمت الحجارة في بناء أساسات الأبراج و الأسوار وجدران البيوت؛ ومع ذلك فإن استعمال الحجارة في عملية البناء في منطقة توات قليلا جدا بالمقارنة مع مادة الطين؛ ذلك أن الحصول عليها صعب وكذلك ارتفاع تكاليفها مع البطء في عملية التنفيذ[2].

**. الجص[3] (الجبس):** يعتبر استخدامه من المعالجات البيئية المهمة في بعض مناطق العالم الإسلامي وبالخصوص منها التي يتميز مناخها بالرطوبة العالية. فالجبس مادة رخوة هشة، قابلة لامتصاص رطوبة الهواء، حيث يتكون من كبريتات الكالسيوم المحتوية على الماء، يستخدم على الخصوص في طلاء المباني لأن اللون الأبيض يعكس أشعة الشمس، مما يخفف الأحمال الحرارية على المبنى[4].

إن التسمية التي تطلق على الجص ( الجبس ) في توات هي الجير، ويستعمل في عملية تبييض الأضرحة وكذلك يخلط بالرمل ليوضع كطبقة عازلة فوق الأسطح، وبالنسبة لطلاء الجدران فلا يستخدم إلا بعد حرقه في درجة حرارة معينة[5].

**. الخشب:** تعتبر النخلة مصدرا أساسيا لمادة الخشب لدى سكان الصحراء منذ أقدم العصور، فهي الظل الوارف الحامي من قيظ الشمس وهي الغذاء للإنسان والحيوان، ومنها يرد الجريد والسعف والكرب والليف و الجذع. وقد عرفت منذ القديم وبَجَّلتها الحضارات القديمة، فالنخلة وأجزاؤها مادة رئيسية في البناء وجزء من منظومة العمارة الإسلامية[6].

إن خشب النخيل من المواد الأكثر استخداما في عملية البناء في القصور التواتية، فكل مكونات النخلة تستعمل في التسقيف وصناعة الأبواب كالآتي[7]:

---

[1]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 148.

[2]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص. ص 164 -165.

[3]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 151.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 167.

[5]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 152.

[6]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 166.

[7]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 152.

⋆. **جذع النخلة:** يستخلص جذع النخلة التي أشرفت على الهلاك، فتقسم طوليا إلى جزأين أو أربعة، وبعد أن تيبس تستعمل في عملية التسقيف كعوارض تتركز على الجدران الجانبية[1]؛

⋆. **الجريد ( الخوص):** تتكون الجريدة من العصي التي يتفرع منها السعف، يتم فصل السعف عن العصي عندما تكون خضراء ولينة وتستخدم لعدّة أغراض بنائية منها عمل الأقواس و التسقيف؛

⋆. **الكرب:** يسمى في اللهجة التواتية "الكرنافة" وتمثل الجزء السفلي من الجريدة والذي يبقى ملتصقا بالجذع بعد قطع الجريدة، وتبلغ مقامات الكرنافة بحجمها العادي ما بين 20 إلى 25 سم، يتم فصلها عن الجذع وتترك لتجف فترة من الزمن[2]. لتستعمل في سد الفراغات بين العوارض الجذعية المرتكزة على طول أو عرض جدران الغرفة؛

⋆. **الليف:** يطلق عليه محليا "الَفْدَامْ" وهو عبارة عن شبكة من الألياف تحيط بالنخلة تتمركز بين الجذع والكرناف, يستعمل في غلق المساحات الصغيرة والفراغات التي تبقى دون سد بعد وضع الكرناف وذلك بعد تبليله، لذلك يعتبر استخدام هذا العنصر في السقف ضروري لغلق كل الفراغات والثغرات الصغيرة قبل وضع الطين[3] .

إضافة إلى هذا يستخدم خشب النخيل في المنطقة التواتية في صناعة الأبواب والنوافذ والأقفال والميازيب دعامات السلالم[4]. فبالنسبة لصناعة الأبواب تهيأ القطعة الخشبية بعناية فائقة من قبل الحرفيين، ثم تلصق بمسامير تكبر وتصغر حسب طول وعرض الباب، لتلتحم تلك المسامير بعوارض خشبية وضعت خلف الأخشاب الرئيسية للباب بشكل حرف (ح) .

أما الأقفال فهي خشبية الصنع كذلك وهي عبارة عن قطعة خشبية مربعة الشكل، تثقب بعناية في وسطها لتدخل أخرى مستطيلة الشكل واقل حجما بشكل أفقي، وبذلك تستطيع القطعة المستطيلة أن تسحب من خلال الثقب الأول معطية في الأخير القفل المحلي المسمى بـ "أفكر"[5].

**. الحديد:** لم يتوفر في المنطقة التواتية بل كان يستورد من المغرب والموسى[6]، وقد استعملت هذه المادة في في عملية البناء في صنع المسامير لتثبيت الأبواب الخشبية وكذلك لصنع أقفال من الحديد إلى جانب قفل الخشب أفكر[7].

---

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 166.

[2]. بن السويسي محمد: المرجع السابق، ص 153.

[3]. نفسه، ص154.

[4]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 154.

[5]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 103.

[6]. محمد حوتية: توات و الأزواد, (ج 1), دار الكتاب العربي, الجزائر: 2007، ص 137 .

[7]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 154.

بدراسة النسيج العمراني للقصر نجد أنه بُني وفق تقاليد معمارية نابعة من الدين الإسلامي مبنية على احترام حرمات الآخرين وعلى النظافة والتعاون والتماسك فيما بين السكان مصداقا لقوله تعالى: (... واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا[1] ...) وقوله أيضا (... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[2] ...)[3]. ...)[3].

وكذلك ضرورة المحافظة على البيئة. مما نتج عنه تفاعل العمران الإسلامي مع البيئة، وخصوصا عناصرها الرئيسة ( الماء، التراب، الشمس). ومن ثَمّ ظهرت لنا عمارة القصور كنموذج لهذا النوع من العمارة التي ينشدها الإسلام والتي تسعى لتوفير الراحة والطمأنينة للبشر.

لقد استطاع المعماري المحلي التكيف مع واقعه، فتمكن من استغلال المواد الطبيعية المتوفرة في بيئته في عملية البناء ( الطين، الخشب، الرمل)، فمن هاته المواد البيئية الأكثر انتشارا بني القصر[4] التواتي.

يتشكل القصر التواتي من سور خارجي عام يحتضن مساكن فردية ويحكمه باب خارجي كبير، محاط بخنادق دفاعية وبأبراج متعددة بحسب شكل السور.

هذه التحصينات الدفاعية في إنشاء العمارة التواتية تعود إلى طبيعة البيئة الصحراوية التي وجدت بها هاته القصور؛ والتي كانت في مجملها بيئة حربية يغزو فيها القوي الضعيف.

كما تعتبر اقتداء بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وما قام به من حفر لخندق يحميها من الجهة الشمالية جهة الخطر[5].

يتكون القصر التواتي من الداخل من مجموعة بنايات عمومية وخاصة، دينية ومدنية موزعة على كل مساحات القصر. بنيت بشكل التضامن والتراص وكأنها كتلة واحدة[6].

وفي العموم تتشكل هذه البنايات العامة في هندستها من مكونات أساسية مرتبة من الخارج والداخل هي:

⋆. **الخندق**: يحيط بالسور، يملأ أحيانا بالماء لدفع العدو كما يكون أحيانا أخرى بدون ماء؛

⋆. **القنطرة** ( الجسر): وهي المعبر الخارجي الذي يقطع الخندق إلى مدخل القصر، تصنع من جذوع النخل المتينة المشدودة ببعضها بحبال غليظة من ألياف النخل، تنصبُ فجرا للدخول والخروج وترفع بعد العصر أو قبيل المغرب خوفا من الأعداء؛

---

[1] .الآية103 من سورة آل عمران.

[2] . الآية20 من سورة المائدة.

[3]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 16.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص . ص190 . 191.

[5]. احمد جعفري: المرجع السابق ، ص 3.

[6]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 16.

*. **السور الخارجي**: يكون سمكه بعرض 50 سنتيمترا تقريبا أو مزدوجا أحيانا لعزل الحرارة الخارجية وكسرها, كما توضع على شرفاته حجارة كبيرة مشدودة بحبال غليظة من ألياف النخل تستعمل في دفع الأعداء المتسلقين الجدران[1]؛

*. **أبراج المراقبة**: تبنى في زوايا القصر على حسب عدد الزوايا وهي رباعية التصميم عالية الطول؛ فارغة الوسط؛ مهمتها الحراسة والمراقبة؛

*. **المدخل الرئيسي**: يعرف محليا بفم القصر، له باب خارجي كبير يتخذ من جذوع النخل وبعض القطع الحديدية لمسكها؛

*. **الشوارع الرئيسة والأزقة**: الشوارع الرئيسة عبارة عن ممرات عامة كبرى تتقاطع داخل القصر وتربط بين مرتكزاته الأساسية[2] كالمداخل والرحبات والسوق والمسجد الجامع[3].

أما الأزقة فهي عبارة عن ممرات ضيقة ومتعرجة[4] مغلقة النهاية[5] تربط الدور بالشوارع الرئيسة[6]. وغالبا ما ما تكون هذه الأزقة مسقوفة لتوفير الظل للمارة[7] كما يتخلل السقف فتحات للتهوية ودخول النور.

غالبا ما تكون الأزقة محاطة الجانب بعتبات في شكل مقاعد على طول الزقاق تستغلها الجماعة في الحديث والمؤانسة. كما قد تستغلها النساء أيضا للمسامرة أثناء قيامهن ببعض الصناعات التقليدية الجماعية[8] أو الفردية.

أما الهدف من كون الأزقة ضيقة ومتعرجة فمرده إلى عاملين : أولهما دفاعي وثانيهما مناخي. فالعامل الدفاعي يظهر في إعاقة المتسلل إليها بنية الهجوم أو السرقة. وبهذا تكون حركة الغريب عن القصر بطيئة حتى أنه قد يدخل إلى أحد البيوت ظنا منه أنه في شارع. أما العامل المناخي فيكمن في كسر التيارات الهوائية، سواء كانت الحارة صيفا أو الباردة شتاء وبذلك ينتفي ضررها على ساكنة القصور[9].

---

[1]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 3.

[2]. نفسه، ص 4.

[3]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 17.

[4]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 4.

[5]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 17.

[6]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 4.

[7]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 92.

[8]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 5.

[9]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 92.

بالإضافة إلى أن شكل هذه الأزقة والشوارع (ملتوية، ضيقة) جاء لتحقيق جميع المتطلبات الأمنية والجمالية للإنسان فجمالية الطرق المتعرجة تكمن في مفاجئتها المارين بما وراء منعطفاتها فتسليهم وتنسيهم مشقة السير, وهي عمليا تحقق الاتصال بين البيوت والأسواق والمساجد دون عناء أو وسائط انتقال؛

⋆. **المسجد ومصلى العيد:** حوت جل قصور منطقة توات مساجد ومدارس قرآنية وفي بعضها زوايا، فبلغت هذه الأماكن على مدار العصور دورا هاما في ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي، ومما تجدر الإشارة إليه ببساطة تلك العمائر من ناحية التصميمات والزخرفة مترجمة بذلك بساطة أهل القصور[1].

تمتاز الأزقة بالضيق والتعرج بالإضافة إلى تسقيف العديد منها هذا فضلا عن اختلاف مقاساتها؛ ويبدو أن انتشار هذه الميزة في جل قصور إقليم توات مرده إلى الحرص في التحصين، إذ تلعب الشوارع والأزقة بهذا الشكل دور التمويه إضافة إلى توفير قسط وافر من الظل في فصل الحر وقسط من الدفء في فصل القر، كما تساعد التعرجات على كسر الهواء سواء في الشتاء أو الصيف، وبهذا تتم عملية تصفية الهواء الداخل للقصر[2].

كما أن تلك المساجد كانت ذات هندسة خاصة عمادها الأروقة المفصولة بالأقواس، هاته الأخيرة تعدادها يكون تبعا لطول الأروقة أم عدد الأروقة فيكون تبعا لمساحة المسجد داخل القصر، وفي مقدمة المسجد يكون المنبر في شكل فتحة نصف دائرية في الجدار القبلي للمسجد وبقطر متر ونصف تقريبا[3].

أما مصلى العيد فهو عبارة عن فضاء مفتوح وغير معين المكان تتخذه الجماعة لصلاة العيدين والاستماع للخطبة وهو خال من كل أشكال البناء إلا من المنبر النصف الدائري الذي يتوسط جهة القبلة[4]؛

⋆. **المساكن:** قال الله تعالى:"والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين[5] ".

فالمسكن حسب المفهوم الإسلامي ومن خلال الآية هو المكان الذي يلجأ إليه الإنسان بعد شقاء، ليجد الطمأنينة وراحة البال.

لقد حقق البيت أو المسكن في القصور التواتية مبدأ التوازن الذي ينشده الإنسان؛ وذلك من خلال تحقيق الراحة الطبيعية بيولوجيا ونفسيا؛ وقد كان للمناخ السائد في تلك المناطق دورا[6] مهما في شكل البيوت، فتفاديا لنوع المكان السائد في المنطقة (حرارة، برد، رياح)؛ لجأ السكان في تشييد بيوتهم إلى طريقة التراص

---

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 126.

[2]. نفسه، ص 121.

[3]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 5.

[4]. نفسه، ص 6.

[5]. الآية 80 من سورة النحل.

[6]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص . ص 93-94.

والانضمام إلى بعضها البعض، ظهرا إلى ظهر وجنبا إلى جنب، فبهذا يكون كل جدار في المبنى عنصر ترابط وتوازن لبقية الجدران.

كما أن التخطيط العام للبيوت التواتية جاء متشابها, وهو في الغالب إما مستطيلا أو مربعا, وفي بعض الأحيان يأخذ شكلا غير منتظم ويتكون من طابق واحد، كما يلاحظ أثر التشريع الإسلامي في هاته العمائر السكنية, ويظهر ذلك في واجهاتها وفي علاقاتها ببعضها من خلال تجاورها، وفي توزيع وحدات المنزل والعلاقة بين هذه الوحدات. إضافة إلى كل هذا نجدها تمتثل للقواعد العامة في البناء الإسلامي مثل قاعدة لا ضرر ولا ضرار، واجتناب ضرر الكشف و هذا ما يفسر أحد أسباب لجوء المعماري المسلم لاستخدام وسائل الإضاءة العلوية التي تسمح بدخول النور والمواد للمبنى[1].

وقليلة هي المراجع التي تحدثت عن مساكن منطقة إقليم توات باستثناء ما ورد في كتابات بعض الفرنسيين أمثال إشالييه( Echallier) ، و بالرغم من قلة معلوماتها إلا أنها قدمت لنا بعض الإشارات الموجهة ومنها :

أن المساكن في توات في عمومها تتكون من صحن يتوسط البيت[2] يكون مكشوفا على السماء، يؤمن عنصر الإضاءة والتهوية لكل غرف البيت كما يساعد على تنظيم الحرارة داخل المسكن حيث أن تجمع الهواء البارد طول الليل يؤدي إلى توفير قدر من البرودة أثناء النهار كما أنه سبيل أهل البيت على الفضاء الخارجي فينعمون بنسمات الهواء أثناء الصيف وبأشعة الشمس خلال فصل الشتاء[3]. تتحلق حول الصحن عددا من الغرف لا تتعدى الثلاثة، وهي تفتقر في الغالب إلى الباب.

أما غرفة الضيوف فيفتح لها مدخل خارج البيوت بجانب المدخل الرئيسي وفي بعض الأحيان يكون بابها في السقيفة التي تفتح على المدخل الرئيسي مقابل السلم المؤدي إلى السطح. هذا الأخير الذي يعتبر ملاذ أهل البيت في فصل الصيف ليلا. حين يشتد الحر فينتشر الإنسان فوق الأسطح[4]. أما السلالم فتعمل على الربط بين الصحن والسطح في حين يستغل أسفلها كمنطقة تخزين لبعض المحصول الاستهلاكي اليومي أو لجمع بعض الحطب[5]، وفي الغالب يستغل كحمام؛

⋆. **المدخل**: يمثل المدخل نقطة الانتقال بين عالمين منفصلين ( الخارج والداخل)؛ لذلك حظيت المداخل باهتمام كبير في تصميمها فقد تأثر المعماري المحلي بالفكر الإسلامي وعمل على تنكيب* المداخل معطيا بذلك المدخل المنكسر؛ حيث لا يسمح بكشف داخل الدار فيترك الباب مفتوحا طوال النهار لخلق تيار هوائي بينه

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 95.

[2]. نفسه، ص 96.

[3]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 4.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 102.

[5]. نفسه، ص 104.

* . عدم مواجهة أبواب المنازل بعضها ببعض.

وبين الفناء. وهذه المداخل المنكسرة قد أوجدت فضاء معماريا يعرف بالسقيفة والتي تعد المرحلة الفاصلة بين الشارع والبيت، وبذلك فهي فضاء انتقالي يمكن أهل البيت من الاستعداد لاستقبال ضيفهم، أو للزائر حتى يلتقط أنفاسه، ريثما يأذن أهل البيت باستقباله أو رفضه[1].

يهتم أهل البيت بنظافته وذلك بتغيير التراب الذي يكسو أرضيته كلما دعت الضرورة[2] خاصة في أيام المواسم الاحتفالية و الأعياد؛

⋆. **المراحيض**:يحتوي كل بيت على مرحاض تقليدي والذي يعد المرافق الضرورية في حياة الأهالي لا من الناحية البيولوجية فحسب؛ بل كون ناتجه يستعمل كسماد طبيعي في الزراعة وبذلك يتحقق مبدأ الدورة الزراعية ( من الإنسان واليه ) [3].

المرحاض عبارة عن غرفة صغيرة مربعة الشكل أو مستطيلة ذات ارتفاع اقل من ارتفاع سقف المنزل، مسطحة مع ترك ثقبتين أو ثلاثة للقيام بعملية التغوط حيث تتجمع الفضلات في الأسفل.

تستعمل في المرحاض الحجارة أو الطوب للإستبراء بعيدا عن الماء الذي لا يتلاءم مع طبيعة البناية الطوبية. كما تغطى الفضلات فيه من حين لآخر بالتراب منعا لانتشار الرائحة الكريهة وتسهيلا لعملية صرف الفضلات بعد تحللها بنقلها بعد إخراجها عن طريق الدواب[4]؛

⋆. **المجاري المائية**: تتمثل المجاري المائية بمنطقة توات في الفقارات والآبار.

فالفقارة تستعمل للشرب وللسقي وهي عبارة عن مجموعة من الآبار المتسلسلة والمتصلة بعضها ببعض بطريقة تصاعدية تمر بجانب القصر ( خارجه ) وتصب في البساتين وفق نظام سقي عجيب ودقيق جدا. أما البئر فيكون احتياطا لأوقات الغزو التي يغلق فيها باب القصر ( فم القصر ) لمدة قد تطول وقد تقصر بحسب ظروف الحرب. ومن ثم وجب أخذ الاحتياط من المياه عن طريق هذا البئر الذي يتوسط القصر[5]؛

⋆. **بيت الحيوانات**: وهو عبارة عن بناية صغيرة على جانب البيت تتشكل من فسحتين أساسيتين الأولى مغطاة والثانية معراة. تتخذ مأوى للحيوانات الأليفة التي تعيش مع الإنسان الصحراوي لينتفع مما توفره له من لحم وحليب وبيض وصوف ووبر وجلد وغير ذلك[6]؛

---

[1]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص. ص 98 – 99 .

[2]. نفسه، ص 97.

[3]. نفسه، ص 102.

[4]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 4.

[5]. نفسه، ص 5.

[6]. نفسه، ص 5 .

⋆. **النوافذ:** تتميز البيوت الصحراوية بانغلاقها على نفسها، ولهذا نجد واجهاتها صماء إلا من بعض الفتحات الصغيرة التي تعمل على إدخال النور والهواء، في حين نجد النوافذ تفتح على الصحن. وهذه الظاهرة مردها إلى تأثيرات العوامل الطبيعية ( المناخ، الرياح )[1]؛

⋆. **الأسواق:** كانت الأسواق مخصصة لعرض السلع المحلية حيث كانت تقام أسبوعيا خارج الأسوار حفاظا على الحرمة والأسرار، أما السوق اليومية فكانت خاصة لأصحاب الأحياء، تعرض بها منتوجات الفلاحين وسلع الصناع المحليين يتزود منها سكان القصر بالحاجات الضرورية اليومية لمعيشتهم[2].

أما الأسواق الخارجية فكانت تقام في القصور الكبرى فقط كتمنطيط وغيرها حيث كانت تعتبر هذه الأسواق كحلقة وصل بينها وبين أسواق مدن شمال إفريقيا كالجزائر وتونس والمغرب وليبيا. وفي جنبها كمدن كانو وشنقيط وأروان وغيرها. وفي ذلك يتحدث العياشي في رحلته عن سبب طول إقامته في إقليم توات "... وسبب إقامتنا في هذه البلاد هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلالت أخروا الصرف إلى توات، فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكتو ومن بلاد أقدز من أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع و السلع التي تجلب من هناك شيء كثير..."[3]؛

⋆. **الساحات:** تعرف في المنطقة تحت مسمى الرحبات، وتعتبر نقطة التقاء الأزقة؛ وهي الفراغ الذي تتنفس منه الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها خلال الممرات؛ وتزود الأزقة المغطاة بأشعة الشمس؛ وهي أيضا المجال الملائم لكل النشاطات الاجتماعية كالأفراح وإحياء المناسبات المختلفة وحل النزاعات التي تقع بين سكان القصر[4]؛

⋆. **المقابر والأضرحة:** اشتملت قصور المنطقة على مقابر لدفن الموتى شأنها شأن جميع البلدان الإسلامية، وهي غالبا ما تكون على مقربة من القصر، لما في قرب الجَبَّانَة من يسر وسهولة في قبر الموتى وزيارتهم من حين لآخر[5]. كما يجب أن يكون موقعها مخالفا لاتجاه الرياح لما في ذلك من فائدة صحية[6].

يتخذ القبر شكل بناء أرضي مرتفع بين 10 إلى 20 سنتيمترا من الأرض بالنسبة للقبور العادية وبين 4 م إلى 5 بالنسبة لأضرحة العلماء والأولياء، وتوضع حجرتين متفاوتتين في الطول على طرفي القبر حيث توضع

[1] نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 66 .
[2] محمد بيدي: المرجع السابق، ص 17.
[3]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 6.
[4]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 17.
[5]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 201.
[6]. نفسه، ص 201.

الكبرى على رأس الميت وجهة الجنوب والصغرى عند رجليه جهة الشمال وهذا كله انطلاقا من وجهة القبلة الشرقية[1].

أما الأضرحة فهي أبنية على شكل قباب تتفاوت طرق بنائها وهندستها من منطقة إلى أخرى، وتعتبر الأضرحة احد أهم أنواع العمارة التي اعتنى ببنائها التواتيون تقديسا منهم لساكنيها الموتى من العلماء والأولياء.

وتختلف هذه الأضرحة في تصاميمها من منطقة إلى أخرى داخل الإقليم الواحد؛ إلا أن لها طابعا عاما يوحدها غالبا من بناء عام مقبب في شكل مربع أو دائري له مدخل صغير, كما تزين هذه الأضرحة أو القباب بنتوءات خارجة متصاعدة من حجارة صغيرة تساعد على الصعود إلى أعلى القبة قصد الصيانة والترميم وغيرها[2].

احتوت بعض القصور على مبان واسعة مزودة بغرفة أو أكثر؛ واصطبلات لاستقبال عابري السبيل وهي بذلك تشبه الفنادق المعروفة بالمدن الإسلامية مع اختلاف كبير في المكونات المعمارية هي ما يعرف باسم " قصور الوكالات التجارية الصحراوية"[3].

أما مواطن الاختلاف بين عمران القصر و عمران المدينة فتكمن في أن المدينة بنيت لاحتواء كل طبقات المجتمع من المسلمين بينما القصر فقد قصر على طبقة معينة من الناس تربط بينهم روابط قرابة أو ولاء، كما أن المدن وما تحتويه من هياكل عظيمة هي نتيجة لحدوث الترف والتمكين لأمة من الأمم، لكن القصر فكان لضرورة اجتماعية ونفسية, ودليل ذلك هو تطور المدن وبقاء عمران القصور على ما كان عليه رغم وجود جل القصور التواتية على طريق القوافل التجارية ( تجارة الذهب )، كما أن بساطة عمران القصر تجسد لنا رؤية دينية مفادها الزهد في عمارة الدنيا، على غرار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

## المبحث الثاني: إقليم توات الجغرافية والسكان:

شهد إقليم توات عبر العصور أدوارا تاريخية ذات أهمية، حيث شكل موقعه الاستراتيجي في الصحراء الجزائرية . مهيمنا على الواحات وعيون المياه المتناثرة هنا وهناك . مركزا محوريا يربط بين حواضر المغرب الإسلامي الواقعة شمالا وحواضر بلاد السودان الغربي الواقعة جنوبا مما أهل الإقليم ليتبوأ مكانة علمية واقتصادية جعلته محل أنظار ثم استقطاب من ربوع الجانبين المحاذيين له.

كما أن موقعه في هذا المجال الصحراوي المتميز بموارده المائية السطحية والباطنية جعل الغطاء النباتي للإقليم خاص جدا أهله لأن يتبوأ مكانة اقتصادية بين الحواضر المجاورة.

---

[1]. احمد جعفري: المرجع السابق، ص 6.

[2]. نفسه، ص 6.

[3]. محمد بيدي: المرجع السابق، ص 18.

[4]. نور الدين بن عبد الله: المرجع السابق، ص 66.

**أولا: جغرافية الإقليم**

**1. الموقع والتضاريس والمناخ:**

- **الموقع:**

يقع إقليم توات* في الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء الجزائرية يحده شمالا العرق الغربي الكبير ووادي امقيدن، وجنوبا صحراء تنزروفت و واد قاريت وجبال مويديرا، أما شرقا فيحده العرق الشرقي الكبير المحاذي لواد الماية كما يحده غربا واد الساورة وواد المسعود. تغطي مساحته المقدرة بحوالي ألفي ميل مربع[1] ولاية أدرار ( من غير صحراء تنزروفت) وجزء من ولاية تمنراست الحالية**.

يتوزع بين ثناياها عددا من الواحات التي سمحت بإقامة تجمعات سكانية متناثرة هنا وهناك شبيهة بأرخبيل من الجزر في البحر تتخذ شكل هلال عرفت باسم القصور[2].

يتربع إقليم توات على مساحة واسعة في أقصى الجنوب الغربي الجزائري بين دائرتي عرض 26° _ 30° شمالا وبين خطي طول 1° شرقا و4° غربا[3]، هذا الامتداد جعل الإقليم يطل على دولتي مالي وموريتانيا من السودان الغربي مما أكسبه موقعا استراتيجيا داخل الصحراء الإفريقية الكبرى أهَّله لأن يكون نقطة عبور بين الشمال والجنوب[4]. كما مكَّنه من الانشطار إلى ثلاث مناطق متباينة، هي منطقة قُورارة في الشمال ومنطقة تيديكلت في الجنوب؛ وبينهما منطقة توات التي اصطلح على تسميتها في القرن العشرين بتوات الوسطى لتوسط موقعها بين قُورارة وتيديكلت.

ظلت هاته التقسيمات معروفة طيلة القرنين 17م . 18م، ومع مطلع القرن 20 م بدأت تظهر ملامح إدارية جديدة على إقليم توات وذلك عقب الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

ففي سنة 1900 تشكلت قوة فرنسية جديدة في القليعة لتغادرها يوم 8 يناير وتدخل تيميمون يوم 26 من نفس الشهر أين تم اتخاذ الإجراءات اللازمة للزحف نحو توات من طرف قائد الحملة الجنرال سيرفيار ( Sérviére )، لتنطلق حملتان في نفس الوقت، الأولى من تيميمون بقيادة سيرفيار والثانية من تيديكلت على

* . تبعد أقرب نقطة منه عن الجزائر العاصمة بـ 1500 كم.

[1]. فرج محمود فرج: إقليم توات بين القرنين 18و 19 الملاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2007، ص 13.

** . أدرار: قُورارة– توات الوسطى – تيديكلت (قصور أولف)، تمنراست: تيديكلت (قصور عين صالح).

[2]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص19.

[3]. محمد حوتية: توات والأزواد، (ج1)، دار الفكر العربي، الجزائر: 2007، ص 28.

[4]. عبد الله مقلاتي وجعفري مبارك: معجم أعلام توات، ص . ص12 _13.

أن يلتقي الجانبان بتيمي*. يوم 30 يناير وصلت الحملة الأولى إلى قصر أدغاغ ( القصر الرئيسي بتيمي ) و يوم 10 فبراير تقوم بتأسيس معسكر لها شمال القصر. ثم تلحق بها الفرقة الثانية القادمة من تيديكلت.

يوم 12 فبراير تتجه القوات الفرنسية لإخضاع قصر المنصور ببودة، ويوم 17 فبراير تنزل بقصر بن دراعو ببودة، وفي 20 فبراير تتجه لإخضاع قصور تمنطيط[1].

في مارس من سنة 1900 أطلقت القوات الفرنسية اسم ادرار[2] على المكان الذي أنشأت فيه مقرها العسكري والذي يقع في فضاء واسع شمال قصر أدغاغ حيث اختارت له اسم القصر الأقرب له مسافة بعد تحريفه من أدغاغ إلى أدرار.

سعت فرنسا لإخضاع الإقليم التواتي بنية خدمة مخططاتها الاستعمارية[3]، فعملت على تنظيم الواحات الصحراوية.

بعد انتهاء العمليات العسكرية، قدمت كل العروش ولاءاتها للقائد الفرنسي، ونظمت البلاد إداريا كالآتي:

قسم إقليم توات إلى ثلاث ملحقات مستقلة عن بعضها، تخضع كل واحدة مباشرة لقيادة الجنرال قائد مجموعة العاصمة، هاته الملحقات هي:

- ملحقة القورارة ومقرها تيميمون وتأسست يوم 25 ماي 1900.
- ملحقة تيديكلت ومقرها عين صالح، تأسست في أوت 1900.
- ملحقة توات ومقرها أدرار، تأسست في يناير 1901.

وفي سنة 1902 وضعت الملحقات الثلاثة تحت السلطة السامية للقائد العسكري للواحات، ومقر إقامته تيميمون، لتتحول بعدها إلى ادرار تيمي[4].

---

*. لمعرفة المزيد من المعلومات والتفاصيل عن عرش تيمي: انظر ص 69 وما بعدها.

1. تواتي دحمان، مقلاتي عبد الله و رموم محفوظ: الثورة التحريرية في إقليم توات 1956 – 1962م، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي، 2004، ص 24.

2. تواتي دحمان، مقلاتي عبد الله و رموم محفوظ، المرجع السابق، ص 24.

3. نفسه، ص 24.

4. Martin(A.G.P): Quatre Siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1904,au Maroc de 1894 à 1912, paris: Félix Alcan, 1923, pp : 363 – 364 .

في سبتمر 1947 صدر القانون الخاص بالجزائر مقررا إلغاء النظام الخاص بمناطق الصحراء، وجعلها مثل عمالات الجزائر أي وحدة إدارية متميزة، لها ميزانيتها الخاصة وممثلوها في المجلس الجزائري والمقدر عددهم بستة نواب من جملة 120 نائبا، وفي سنة 1957 وبعد مناقشات تم تنظيم الصحراء إداريا في عمالتين:

- عمالة الساورة ومقرها بشار وتضم أقاليم الجزء الجنوبي الغربي بما فيها إقليم توات.
- عمالة الواحات ومقرها الأغواط وتضم أقاليم الجزء الجنوبي الشرقي.

وكلا العمالتان تنتميان إلى ما يسمى التنظيم الموحد للمناطق الصحراوية؛ وهو التنظيم الذي كان يجمع صحراء الجزائر والأقاليم الفرنسية في افريقيا الغربية (**A.E.F**) وإفريقيا الشرقية (**A.O.F**)؛ والذي يضم كلا من النيجر وتشاد وموريطانيا[1]. وقد ظل الأمر هكذا إلى غاية الاستقلال.

- **التضاريس والمناخ:**

تؤثر العوامل الطبيعية من مناخ وتضاريس وموارد مائية وكذا الثروة النباتية والحيوانية في المجتمعات الإنسانية، وبالتالي ظهور معايير ومعطيات إقليمية اجتماعية واقتصادية وسياسية؛ تمكننا من تفسير الظواهر التاريخية وفق بيئتها الأصلية وتبعا للظروف المحيطة بها.

من ثم كان لابد من دراسة تضاريس ومناخ الإقليم، حتى نتمكن من استنطاق تاريخه وتحليل الشواهد التاريخية لربط أحداثها وفق تسلسلها الزماني ووقوعها المكاني.

بالنسبة للمميزات الجيولوجية للإقليم فلقد كان لعاملي المياه والرياح دورا أساسيا في تكوين الأشكال المختلفة للسطح، وفي تكوين المظاهر الجيولوجية الكبرى. حيث نجد أن هذا الإقليم مر بمراحل الأزمنة الجيولوجية المعروفة، ففي الزمن الجيولوجي الأول تكونت قاعدة صلبة عميقة غير نافذة مشكلة أراضي رسوبية من العصر الكمبري: تتمثل في الحجر الرملي والصخور البركانية، بالإضافة إلى الطين والجير، أما الزمن الجيولوجي الرابع فقد غطت طبقته أراضي الزمن الأول، والتي تمثلت في الكثبان الرملية والعروق الكبيرة كالعرق الغربي الكبير وعرق شاش. كما عرفت المنطقة في هذا الزمن سقوط كميات غزيرة من الأمطار امتصتها الطبقات الحجرية الرملية واختزنتها في جيوب واسعة لا علاقة لها بالمياه البحرية أو النهرية[2].

إن مراحل الأزمنة الجيولوجية التي مر بها إقليم توات أعطته تضاريس ذات صبغة صحراوية.

وصف سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي في مخطوطه "درة الأقلام" توات قائلا: "توات هي صحراء في أعلى المغرب..."[3]، وعليه تقع توات في نطاق الصحراء الجزائرية في ناحيتها الجنوبية الغربية.

---

[1]. تواتي دحمان وآخرون: المرجع السابق، ص21.

[2]. عربية موساوي: الفقارات بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية أثرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف: لعرج عبد العزيز، معهد الآثار، جامعة الجزائر: 2007، ص 43.

[3]. محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص 01.

أما مولاي أحمد الطاهري الإدريسي فقد أورد في مخطوطه "نسيم النفحات" معظم مظاهر مناخ وتضاريس إقليم توات قائلا: "توات أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها..."[1].

من خلال الفقرة يمكن أن نستنتج أهم المظاهر المناخية والتضاريسية العامة لإقليم توات، من حرارة ورياح ورمال وجبال وسباخ وحتى الغطاء النباتي.

يسود إقليم توات مناخ صحراوي جاف، شديد الحرارة صيفا[2]، حيث تصل درجة الحرارة القصوى في شهر جويلية 50° درجة مئوية والمتوسطة 40° درجة مئوية[3]. وشديد البرودة شتاء مع قلة تساقط الأمطار مما ينتج عنه جفافا طول أيام السنة. كما يتعرض الإقليم لزوابع رملية قوية ابتداء من شهر فبراير تستمر إلى غاية فصل الصيف حيث تصل سرعتها أحيانا إلى 100 كم/ سا. ونظرا لعدم وجود حواجز طبيعية تصد التيارات الهوائية عن الإقليم فإن هذا الأخير عرضة للتيارات الباردة القادمة من الشمال في الشتاء والتيارات الحارة القادمة من الجنوب في الصيف[4].

تضاريس الإقليم التواتي هي كذلك ذات طابع صحراوي تتميز بالتنوع، من أهم مظاهرها: العروق والرقوق، السباخ والحمادات، الهضاب والأودية.

فالعرق عبارة عن سلسلة من الكثبان الرملية العالية القادرة على التنقل من مكان إلى آخر بفعل الرياح[5]. تمتد بشكل واسع في القسم الشمالي لتوات من الغرب إلى الشرق[6].

يصل ارتفاع قمم بعضها إلى حوالي 200 م أهم هذه العروق: العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، عرق شاش وعرق ايقدي[7].

---

[1]. مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات من أخبار توات وما بها من الصالحين والعلماء والثقات، نسخ شاري الطيب بن عبد الله، خزانة كوسام، بلدية تيمي، ولاية ادرار، ص 12.

[2]. مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، (ط1)، دار السبيل، الجزائر: 2009، ص 34.

[3]. ريحة عليق نابت: قصر ملوكة دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية،، معهد الآثار، جامعة الجزائر :2001 – 2002م، ص 13.

[4]. مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 34.

[5]. محمد الهادي لعروق: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر: 1994، ص12.

[6]. أحمد العماري: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب 1850 . 1902، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المملكة المغربية، 1988م، ص 13.

[7]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 7.

أما الرقوق (مفردها رق) فهي مناطق مستوية السطح، تغطيها الحصى[1] والرمال الخشنة. تشغل مساحات شاسعة من إقليم توات، تمتد من هضبة تدمايت شرقا إلى عرق شاش غربا. تعتبر الرقوق من أشهر المناطق الصحراوية الخالية من عناصر الحياة، ومن أهم رقوق الإقليم رق تنزروفت ورق انطوط[2].

السباخ هي بحيرات تتبخر مياهها في الصيف لتستحيل إلى ضاية من الملح تسمى الشط أو السبخة أو زاغر، وفي الأصل السبخات عبارة عن منخفضات ناتجة عن هزات أرضية[3].

تتركز سباخ الإقليم في منخفض تيديكلت، أين تصب العديد من الأودية.أهمها سبخة مكرغان جنوب اقبلي وسبخة أزل ماتي إلى الجنوب الشرقي من رقان وتيمي، وسبخة تمنطيط. وشمال الإقليم نجد سبخة تينجورارين[4].

أما الحمادة فهي أرض يابسة ومرتفعة. مظهرها العام عبارة عن سطوح صخرية تكونت نتيجة الحت القوي والمستمر للرياح[5]، وهي أرض صعبة يصعب على الجمل السير فيها بسهولة، كما أن مصادرها المائية محدودة محدودة فالآبار بها قليلة وبعيدة الغور[6].

لقد صنفت الهضاب من أهم التضاريس المكونة لأرض توات، وتعتبر هضبة تادميت ذات المساحة الواسعة من أكبر هضاب الإقليم التواتي وحتى الجزائر، تم تكوينها بسب تآكل الطبقات التحتية.

يبلغ مدى هضبة تادميت من الجنوب إلى الشمال حوالي 220 كم من منخفض تيديكلت إلى امقيدن، وأكثر من 300 كم من الغرب إلى الشرق. وهي امتداد نحو الجنوب الغربي للتكوينات الكريتاسية لسبخة وادي ميزاب[7].

## 2. الموارد المائية و الغطاء النباتي:

يقع الإقليم التواتي في مجال صحراوي تجري فيه مياه سطحية وباطنية منذ ما قبل التاريخ[1]، وقد أثبتت أثبتت بعض الآثار أن الصحراء عموما وإقليم توات خصوصا كانت تتخلله بحيرات ومجاري مائية، ومن هذه الآثار

---

[1]. محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 14.

[2]. عربية موساوي: المرجع السابق، ص 44.

[3]. مجموعة باحثين: ادرار واحات الفن وقصور الأمان، نشر ولاية ادرار: 2013، ص 12.

[4]. مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 18.

[5]. محمد بن سويسي: المرجع السابق، ص 7.

[6]. الصديق ثياقة: النمط المعماري للمدينة الصحراوية (القصر) ووظيفته الاجتماعية مقاربة انثروبولوجية لقصر تمنطيط ادرار، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع (انثروبولوجيا الجزائر المعاصرة)، إشراف: حجيج الجنيد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران:2005 . 2006م، ص 55.

[7]. محمد بن سويسي: المرجع السابق، ص 6.

وجود أسماك وقواقع متحجرة وكذلك السباخ التي مازالت موجودة إلى الآن، كما اشتهرت بالإقليم وديان بعثت به الحياة[2].

وقد ورد في مخطوط نقل الرواة عمن أبدع قصور توات أن "...الصحراء هي البقعة التي أصلها بحر وجف ماؤها واستدلوا على ذلك بوجود حفريات حيوانية لا تعيش إلا في البحر..."، وعليه فإن الحياة التواتية منذ بدايتها قامت على مشارف الأودية وفي موطن تواجد مخزون هائل من المياه الجوفية[3].

فالأودية التي تصل إلى الإقليم التواتي تعتمد أساسا على مياه الأمطار التي تسقط على جبال مناطق الأطلس الصحراوي، هاته الأخيرة تنبع منها أودية كبيرة وأخرى صغيرة، ومن أهم هذه الأودية وادي الساورة الذي يصل إلى عمق الصحراء. كما يصل إلى الطرف الجنوبي الأقصى لجبال أوجرته بعدما يمر بمضيق فم الخنق. وتستمر معظم مياه النهر في السيران نحو الجنوب حتى تبلغ أعالي واحة توات[4].

تشتهر في إقليم توات ثلاثة أودية ذات منابع متباينة، حيث يغذي كل واد منها منطقة من مناطق الإقليم المختلفة، تتمثل هذه الأودية في: وادي امقيدن، وادي مسعود ووادي قاريت.

*.**واد امڤيدن***: يوجد في الشمال الغربي للإقليم التواتي[5]، مر به العياشي (ت 1090 هـ / 1679م) في رحلته وسماه وادي ايمكيدن حيث يقول: "...و أخذنا على طريق وادي ايمكيدن ..."[6].

وادي امڤيدن امتداد لوادي سفور الذي ينبع من المنيعة ثم يتحول إلى وادي شيدون حيث يستمر في سيره غربا لينتهي بمنطقة تينجورارين مكونا سبخة قورارة[7]. وهو امتداد شاسع تخترقه مجاري الوديان التي كانت

---

1. Martin(A.G.P): Quatre Siècles, op.cit ,P02.

2. الصديق ثياقة: المرجع السابق، ص 56.

3. محمد بن عمر بن المبروك الجعفري البوداوي: نقل الرواة عمن أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار، ص 3.

4. .إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 28.

* . امڤيدن: كلمة بربرية معربة وهي جمع مفردها أمڤيد وتعني بالبربرية المكان الرطب الذي توجد فيه المياه، انظر: رشيد بليل: قصور قورارة وأولياؤها الصالحون، تر عبد الحميد بورايو، CNRPAH، 2008، ص 35.

5. نفسه، ص 35.

6. .عبد الله بن محمد العياشي (أبو سالم): الرحلة العياشية 1661- 1663م( المعروفة بماء الموائد)، (ج1)، (ط1)، تحقيق و تقديم: الفاضلي وسليمان القريشي، دار السويدي، أبو ظبي: 2006م، ص 107.

7. فرج محمود فرج: المر جع السابق، ص . ص 13- 14.

تستعمل من قبل كفضاءات للرعي من قبل الرحل القادمين من الشمال والشمال الشرقي وحتى من الغرب (تافلالت) فيما بعد[1].

وصف العياشي وادي امقيدن بكثرة مواطن الماء به وكثرة التردد عليه للشرب؛ كما أن ماءه عذب غزير، إلا أن إحدى قبائل توات كانت تضطر أحيانا إلى دفن أغلب مناهله خوفا من استغلالها من طرف أعدائها أيام الغزو، يستشهد على ذلك بقول العياشي: "ومعاطن المياه كثيرة في هذا الوادي، قل ما يخلو يوم من منهل، وماؤه عذب غزير، وفيه يقول أعراب ذلك البلد:

واد امكيدن ما نعطش فيه كل يوم نجيء على ما

إلا أننا وجدنا غالب المناهل قد دفنها أولاد محمد عرب توات؛ خائفين من عدوهم من سعيد أن يغيروا عليهم؛ فطمسوا ما في طريقهم من الماء لأجل ذلك"[2].

*. **وادي مسعود**: ذكره ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م) في ديوانه تحت مسمى وادي كير(قير) متتبعا مسار رحلته من منبعه الأساسي جنوب المغرب الأقصى إلى موضع اختفائه في منطقة توات قائلا: " وأما نهر ملوية آخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى،... إلى أن يقول: ...وينبع من هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء، ويقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة؛ ثم بعدها إلى تمنطيت، ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها. ثم يمر إلى أن يصب القفار ويروغ* في قفارها ويغور في رمالها، وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى زَكَّانْ..."[3]

أما العياشي (ت 1090 هـ / 1679 م ) فقد تتبع هو الآخر رحلته من منبعه إلى منتهاه مع إطناب الوصف وإيجاز في تحديد مساره فقال: "...وادي جير...هو وادي كبير أَفْيَح، مُلْتف الأشجار، قليل الأحجار،كثير المرعى، غمض المسعى، يجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة... وابتداؤه من ناحية بلادنا... إلى أن يصل إلى وادي الأساور(الساورة) فتتصل قراه كذلك نحو من عشرة أيام إلى قريب من توات، فينعطف يمينا في رمال كثيرة..."[4].

كذلك فرج محمود فرج فقد رصد مسار وادي مسعود من منبعه إلى أن يغور في صحراء تنزروفت لكن بمزيد من التفاصيل والدقة في ذكر أسماء الأودية التي يتحول إليها الوادي الأصلي (وادي جير) إلى أن يسمى وادي مسعود في منطقة توات قائلا: " يتكون وادي مسعود أصلا من اتحاد وادي جير مع وادي زوسفانة في

---

[1]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص 35.

[2]. أبو سالم العياشي: (ج1)، المصدر السابق، ص 107

*. يروغ: مشتقة من رَاغ، يروغ رَوْغًا ورَوَغَانًا: حَاد ومَالَ. انظر: ابن منظور: (مج8)، المعجم السابق، ص 429.

[3]. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: (مج6)، المصدر السابق، ص134.

[4]. أبو سالم العياشي: (ج1)، المصدر السابق، ص76.

منطقة فقيق؛ ثم يتجه نحو الجنوب ليطلق عليه اسم وادي الساورة؛ وعندما يصل إلى منطقة كرزاز يغير اتجاهه نحو الغرب ثم يستعيد اتجاهه مرة ثانية نحو الجنوب، وهنا يطلق عليه اسم وادي مسعود وعندما يصل إلى مقاطعة تسفاوت يكون سبخة، وبعد اختراقه لهذه السبخة يتجه نحو مقاطعة رقان، حيث يضيع جنوبها في صحراء تنزروفت[1].

وفي القرن 18 م شهدت قصور عديدة حالات كثيرة من السيول والفيضانات والتي مصدرها وادي مسعود وقد وصلت إلي غاية قصور رڤان[2].

*. **وادي قاريت:** هو ثالث أودية إقليم توات وربما اقلها أهمية نظرا لعدم انتعاش الزراعة بالمناطق التي يمر بها. ينطلق وادي قاريت من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت ويتجه إلى الجنوب الغربي منها حتى يصل في نهايته بوادي مسعود ليصبح رافدا له[3].

على الرغم من تغذية كل منطقة من مناطق اقليم توات بمياه هاته الأودية الثلاثة إلا أن حاجة السكان للمياه الدائمة وشساعة الإقليم وطبيعة تضاريسه الصحراوية التي غالبا ما ينجر عنها جفاف مياه الوديان أو غورها في الرمال دون استفادة السكان التواتيين منها، اضطرهم إلى استخدام وسائل أخرى للحصول على المياه، فتمكنوا من حفر الفقاقير لجلب المياه الباطنية إلى أماكن استيطانهم. فما هي الفقارة ؟

أصل كلمة فقارة في المدلول اللغوي ثلاثة:

أ. من الفعل فَقَأَ فيقال فَقَأَ العين أي شَقَّ[4] .

ب. من الفعل فَجَّرَ فيقال فَجَّرَ يُفَجِّرُ تَفْجيرا بمعنى انبعث منه سائلا و اِنْبَجَسَ[5]، جعل الشيء يتفجر، الماء شق له طريقا ومنه قوله تعالى "...وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار...[6]" وقوله أيضا "... فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا...[7]" ويقال مضاجر الوادي أي روافده وفجرت الماء أفجره وأخرجه من العيون[8].

---

[1]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 2.

[2]. Bernard Safroy: chronique du Touat , Ghardaia : C-D-S, P13.

[3] .فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 2.

[4]. ابن منظور: المعجم السابق، (ج1)، ص 123.

[5] . نفسه، (ج5)، ص 45.

[6]. الآية 74 من سورة البقرة.

[7]. الآية 60 من سورة البقرة.

[8]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 84.

ت. من الفعل فَقَرَ فيقال فَقَرَ الأرض وفَقَّرَهَا: حفرها والفُقْرَة هي الحفرة، والفَقِير هي الآبار المتجمعة الثلاث فما زادت، وقيل هي آبار تحفر وينفذ بعضها إلى بعض، يقال فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها.[1]

فالفعل فَقَأَ يدل على الشق، و الفعل فَجَّرَ كذلك، والفعل فَقَرَ يدل على الحفر وله دلالة الشق؛ وكل هذه الأفعال تدل على الشق أو الحفر الذي ينتج عنه خروج السائل.

وبذلك يتضح أن كلمة فقارة ما هي إلا نطق تحول مع مرور الزمن عن أصله العربي الفصيح وتدرج للفظه العربي العامي[2].

أما اصطلاحا فالفقارة عبارة عن سلسلة من الآبار بين كل بئر وبئر مثل درجات السلم نفق يبدأ العمل فيها من مكان عالي ولا يزال ينحدر من أعلى إلى أسفل، وقد يوجد في عمق بعض الآبار ما يزيد عن 40 مترا ثم ينخفض العمق إلى أن تخرج على وجه الأرض، فهي غريبة في شكلها وفي تخطيطها وفي هندستها[3].

***.تاريخ إنشاء الفقارة ومراحل إنجازها:**

هناك دراسة للنقيب لو (lo) مفادها أن أحد ألأشخاص كان مطاردا من طرف أحد ملوك المغرب نهاية القرن الأول الهجري فنزل بقصر تمنطيط وحفر بها أول فقارة المسماة حاليا بـ "هنو". أما رأي مارتن يذهب إلى أنه بعد سقوط دولة العبيديين بمصر هاجر عدد منهم إلى إقليم توات وتمبكتو وأقاموا قصورا ونظموا السقي بأسلوب حفر الترع تحت ألأرض فأخرجوا المياه من باطن الأرض إلى سطحها فسموا هذه الطريقة بالفقارة. ورأي آخر يخلص إلى أن إحداث الفقارة يعود إلى البرامكة الذين فروا من بغداد بعد نكبتهم على يد هارون الرشيد حيث قدم بعضهم إلى قصور توات السفلى وواحة سالي فنقلوا طريقة حفر الفقاقير التي كانت مشابهة في هندستها إلى ما كان جاريا العمل به في إيران[4].

أما الشيخ محمد باي بلعالم ونقلا عن الشيخ عمر المهداوي الذي يرى أن الجالية اليهودية هم الذين اختطوا الفقاقير بعد أن نزحوا إلى إقليم توات إثر جلائهم عن المدينة المنورة التي كانت تحتوي على قنوات مياه تدعى الشراج مشابهة في هندستها للفقاقير[5].

ورد في مخطوط "نقل الرواة عمن أبدع قصور توات" أن "زناتة هم الذين اتخذوا خدمة الفقاقير وابتداعها بحرفة لم يسبقهم غيرهم إليها وحيث بلغوا من ذلك مقصدهم اصطلحوا على تسميتهم بالفقاقير[6]..." وهذا بعد نزوح زناتة إلى المنطقة خلال القرن العاشر ميلادي عندما سقطت دولتهم فنزلوا بأرض بودة فوجدوا مياه واد قير

[1] .ابن منظور: (ج5)، المعجم السابق، ص.36

[2] .محمد الصالح حوتية: توات والأزواد،(ج1)، المرجع السابق، ص84.

[3] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، (ج1)، دار هومة، الجزائر: 2005، ص88.

[4]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص88.

[5]. محمد باي بلعالم، (ج1)، المرجع السابق، ص71.

[6]. محمد بن عمر البوداوي الجعفري، المخطوط السابق، ص 14.

قد جفت فبدؤوا بالحفر والبحث عن الماء حتى تمكنوا من استخراج الماء واتخذوا من مجرى الوادي بساتين وجنات وحفروا الفقاقير وبنوا القصور.[1]

إن الدافع الرئيسي الذي أدى بالإنسان التواتي إلى حفر الفقاقير هو تراجع كميات مياه الينابيع التي كانت متوفرة في زمن قديم، حيث جفت تلك الينابيع في القرن العاشر ميلادي، ومنذ ذلك التاريخ بدأ سكان المنطقة في البحث عن الماء تحت الأرض وبطرق شتى لجلب المياه الجوفية المتوفرة وخاصة على حواف الجروف والهضبات، إلى أن اهتدى السكان إلى طريقة السقي بالفقارة.[2]

تمر عملية استخراج الماء من الفقارة بعدة مراحل وعبر أجزاء مختلفة، تمكن هذه الأخيرة من حصول المالك على نصيبه من الماء دون زيادة أو نقصان.

هذه الأجزاء هي بالتسلسل:

**الآبار**: التي يكون بعضها متصلا ببعض بواسطة قنوات تسمى النفاذ (أنفاذ)[3]؛

**القصري**: مصب واسع غالبا ما يكون على شكل شبه منحرف متساوي الساقين تتجمع فيه المياه بعد صعودها من الآبار و تتوزع منه على السواقي[*]؛

**الساقية**: مجرى المياه إلى البساتين؛

**الماجن (الماجل)** : الحوض الأخير الذي يتجمع فيه الماء للري الفلاحي[4]، ويكون موضعه بالبستان.

أول عمل يقوم به أهل الفقارة لإنجازها هو التخطيط للأرضية أو الممر الذي ستقام عليه الفقارة ويكون عادة بالاستعانة بأحد الخبراء الكبار من القصر أو من قصر مجاور تكون به فقاقير، ويعتمد العاملون بالفقارة على حسابات تقليدية بسيطة تمكن في الأخير من إنجاز الفقارة[5]، حيث تبدأ العملية أولا باختيار الأرض الصالحة للزراعة من طرف الخبير (العَرَّاف)ن بعدها يقيس من عشرين قامة إلى ثمانين أو مائة قامة ثم يبدأ بحفر أغوسرو باتجاه الشمال إلى أن يصل مقدار قامة (مترين) فيبدأ بحفر النفاد، وعندما يصل مقدار خمسة قامات أو أقل بقليل يحفر البئر الأول ليستمر في حفر الآبار الواحد تلو الآخر كل ما حفر في النفاد خمسة قامات إلى أن يصل إلى منبع الماء. وكلما استسقت البساتين زادوا عدد الآبار[6].

---

[1]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص88

[2]. نفسه، ص88.

[3]. عربية موساوي: المرجع السابق، ص 118.

[*]. هذا التعريف من خلال المعاينة.

[4]. عربية موساوي: المرجع السابق، ص 118.

[5]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص89 وما بعدها.

[6]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي، خبير في الفقارات وماسك زمامات فقارات أدغاغ وضواحيها، مقابلة معه ببيته بقصر أدغاغ يوم: 2014/02/12م

يستغل مياه الفقارة عن طريق البيع أو الكراء أو التمليك بين الفلاحين، وذلك وفق عملية تقنية تعرف بالتكييل، يتم بمقتضاها توزيع المياه بين الملاكين من طرف الكيال، الذي يستعمل آلة خاصة لتوزيع المياه مع حضور الشاهد، الذي يراقب العملية ويسجلها في زمام الفقارة الذي هو عبارة عن دفتر يتم فيه تسجيل كل عمليات التوزيع بحضور مجموعة من مالكي الفقارة خاصة كبار الملاكين الذين يتمتعون بثقة جميع سكان القصر[1].

يتواجد بإقليم توات عددا من الفقاقير بعضها حي والآخر ميت، أما الفقاقير الحية فعددها كالآتي:

* منطقة القورارة: بها 281 فقارة وتعطي منسوبا من المياه يقدر بـ 1.007م/ثا.

* منطقة توات الوسطى: بها 564 فقارة وتعطي منسوبا يقدر بـ 2.99م/ثا.

* منطقة تيديكلت: بها 64 فقارة وتعطي منسوبا يقدر بـ 1.580م/ثا.

ليكون مجموعها 909 فقارة بمنسوب يقدر بـ 13.686م/ثا، ويقدر طول قنوات الفقاقير بـ 1417كم وقد مات منها 211 فقارة ليبقى 698 فقارة حية.[2]

وحتى تستمر الفقارة في عطائها لابد من صيانتها باستمرار لضمان صحتها وسلامتها، لأن الحفاظ عليها يعني الحفاظ على البيئة وإذا ما أهملت فإن منسوب المياه يقل وحتى نوعية الماء يمكن أن تتغير.[3]

ولأهمية المياه ابتكر الإنسان التواتي نمطا جماعيا للتعاون على حل مشكل انهيار الفقارة وتدفق المياه، هذا العمل يعرف بالتويزة حيث يجد السكان أنفسهم مجبرين على العمل ليلا ونهارا أطفالا وشيوخا، نساء ورجالا أحرارا وعبيدا من أجل إعادة المياه إلى مجاريها، وبذلك فإن الفقارة بإقليم توات ساهمت في ربط أواصر الأخوة والتعاون بين جماعة القصر وحتى القصور المجاورة، بالإضافة إلى كونها مكسبا محليا ميَّز إقليم توات بميزة خاصة في تحديه للطبيعة القاسية نتيجة للروح الجماعية التي يتصف بها سكان الإقليم.[4]

- **. الغطاء النباتي:**

إن من بين عوامل الاستقرار البشري وبناء المدن كما أسلفت الذكر هو توفر عنصر الماء، الذي بفضله تنمو وتزدهر حياة الإنسان والحيوان والنبات، رغم ذلك تبقى الخصوصيات الجغرافية لكل منطقة تلعب دورا كبيرا وتؤثر سلبا أو إيجابا على هذا النمو و الازدهار.

[1]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 90 وما بعدها.

[2]. مقدم مبروك: تغير البنيات الزراعية في المجتمع التواتي، (ج3)، دار هومة، الجزائر: 2008، ص61.

[3]. عربية موساوي، المرجع السابق، ص191.

[4]. محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص101 وما بعدها.

يعرف الغطاء النباتي على أنه المسقط الراسي لظل النباتات أو مجموعها الخضري على سطح الأرض، معبرا عنها كنسبة مئوية من مساحة مرجعية... وهذا الغطاء كمقياس كمي يمكن عن طريقه تقييم ومقارنة كل أشكال حياة النباتات[1] بمختلف أنواعها.

فالواحات التواتية تتجمع في منطقة توات أقل فقرا من الماء بهذا المجال الصحراوي. حيث تتواجد في حوض هيدروغرافي يجري منذ فترات ما قبل التاريخ من الأطلس حتى النيجر أو على الأقل حتى حوض التاوديني[2]. إلا أن الغطاء النباتي في هاته المناطق خاص جدا نتيجة لعدة عوامل تمثلت في:

. خصوصية المنطقة الصحراوية من تضاريس ومناخ متطرفين جدا؛

. نوعية التربة؛ كونها تربة رملية والتي من مميزاتها أنها نفوذة لا تحتفظ بالماء مما يؤثر سلبا على حياة ونمو النباتات؛

. ملوحة التربة إذ أن معظم أراضي الإقليم سباخ وهي غير صالحة للزراعة؛

. افتقار التربة الرملية للمواد العضوية التي يحتاج إليها النبات لينمو طبيعيا؛

. انعدام الموانع والحواجز الطبيعية كالجبال والأشجار التي تعمل كسد يمنع هبوب الرياح وزحف الرمال على الأراضي الزراعية، هاتان الأخيرتان تؤثران سلبيا على حجم مساحة الأراضي وكذا جودة المحاصيل؛

. الحرارة المفرطة التي تعمل على جفاف المياه السطحية دون الاستفادة منها.

وقد أورد المؤرخون والرحالة الذين زاروا إقليم توات هذه العوامل عرضا في معرض تأريخهم ووصفهم للإقليم فهذا ابن بطوطة يصف أرض توات بتربتها الرملية في مناطق والمالحة في مناطق أخرى حيث يقول: " ثم وصلنا إلى بودة، وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ..."[3].

أما الحسن الوزان(ت 957هـ/1550م) فقد بين صلاحية أراضي تيكورارين الزراعية بشرط سقيها وتسميدها، وهو بذلك يوضح افتقار التربة للمواد العضوية التي من شأنها أن تعمل على نمو النباتات وإمكانية وفرة انتاجها وجودته، فقال في مستهل حديثه عن تيكورارين "تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا... لهذه البلاد أراض كثيرة صالحة للزراعة، لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسماد لأنها جافة وهزيلة جدا، ولذلك

[1]. عائشة بلامة مرزاية، الثقافة والصحة والاعشاب، دراسة سوسيولوجية بمنطقة توات (ولاية أدرار) دراسة ميدانية لعينة من سكان قصور توات الوسطى، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي، إشراف :محذاني نسيمة، قسم علم الاجتماع ،جامعة الجزائر 2: 2010 – 2011، ص 73.

[2]. Martin (A .G.P) :Quatre siècles, op.cit ,p02 .

[3]. محمد بن عبد الله (ابن بطوطة ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، المملكة المغربية: 1997م، ص 700.

يسكن أهل تيكورارين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصلوا على سماد الخيل و رجيع الناس حتى أن أكثر ما يسيء به الغريب لمضيفه تغوطه خارج بيته"[1].

وقد أضاف مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ثلاثة عوامل أخرى لها تأثير كبير على الغطاء النباتي وقدرته على الصمود في وجهها، تمثلت هذه العوامل في كثره الرياح التي تهب على الإقليم في أغلب الفصول، وشدة الحرارة المفرطة والتي لا ينأى عنها أي مناخ صحراوي، وكذا خلو الإقليم من حواجز طبيعية تمنع زحف الرمال وهبوب الرياح على المناطق الزراعية، فقال: " توات أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح، لا يحيطها جبال و لا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها..."[2].

وأما النباتات التي تنمو بالإقليم فتتمثل في النخيل وبعض الأشجار كما أورد مولاي أحمد الطاهري الإدريسي والحبوب والخضر والفواكه والحناء والتبغ.

*.**النخيل**: النخلة نبات صحراوي، تعتبر زراعتها أقدم وأشهر أنواع الزراعة بإقليم توات، وتمرها أهم مورد غذائي ومصدر رزق للسكان، ذلك أنه يؤكل رطبا أثناء فترة جنيه في فصل الصيف حتى إلى نهاية الخريف، وبعد أن ييبس ويجف يدخر للأيام المقبلة.

تكيفت النخلة مع بيئتها الصحراوية القاسية بفضل توغل جذورها الطويلة في التربة إلى أن تصل إلى طبقة المياه الجوفية أو على الأقل تقترب منها. كما أنها لا تحتاج إلى عناية خاصة لتعطي إنتاجا جيدا و وفيرا لذلك لا تخل بساتين وواحات المنطقة من هذا النوع من النباتات وبأعداد كثيرة جدا[3].

أما عن أشهر أصناف التمور المنتَجة بإقليم توات؛ فقد أحصاها مارتان في كتابه الواحات الصحراوية وصنفها حسب جودتها وقيمتها التجارية.

وعن أجود أنواع التمور التواتية فقد عد مارتان ستة أنواع هي: تينقور، تينهود، أحرطان، تيليمسو ( الحميرة )، أدكلي و تقربوش. أما النوع الثاني وهو الأكثر انتشارا في الواحات التواتية ويخصص للتصدير فهو ستة أنواع أيضا هي: تيليمسو؛ تيناصر؛ تيمليحة؛ تزرزاي و لَدْهَم. ضف إلى ذلك أربعة أنواع أخرى تتميز بها منطقة

[1]. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ( ليون الإفريقي): وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، (ج2)، ( ط2)، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص 133.

[2]. مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: المخطوط السابق، ص 12.

[3]. البركة بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني، مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/10.

تيديكلت هي: الورقلية، الدقلة، لفقير علي و لشدخ. هذه الأنواع الستة عشر* هي الأكثر شهرة والأكبر أهمية من بين الأصناف العديدة من التمور في الواحات التواتية[1].

كما أحصى أكثر من مائة وثلاثين نوعا آخر موزعة في أنحاء واحات الإقليم التواتي. وتحت ظلال النخيل زرع التواتيون مزروعات أخرى، ويستفيدون منها في غذائهم اليومي ومن هذه المزروعات نجد الحبوب والخضراوات وبعض الفواكه والحناء والتبغ.[2]

***.زراعة الحبوب:**

تحتل زراعة القمح المرتبة الثانية بعد غرس النخيل, يزرع ما بين النخيل في فصل الشتاء مع إعطاء هذه الزراعة أهمية كبرى في منطقة ڤورارة وقصور أولف وعين صالح وتوات العليا، أما المناطق الغنية بإنتاج الحبوب فهي توات السفلى (بودة). وعموما تزرع الحبوب خاصة القمح والشعير في جميع مناطق الإقليم وذلك لتحقيق الاكتفاء الذاتي من هذه المادة خاصة وأنها الغذاء الأساسي للسكان، وقد قدر إنتاج القمح و الشعير في بداية القرن العشرين بسبعة عشر ألف قنطار في توات الوسطى وثلاثة وعشرون ألف قنطار في ڤورارة أما في تيديكلت فقد قدر الإنتاج بحوالي ثمانية آلاف قنطار.[3]

لقد أشتهر القمح التواتي بجودته و صلابته, وكان البعض يبيعونه في الأسواق الخارجية بأثمان مرتفعة ويشترون أنواعا أخرى أقل جودة؛ وبذلك يستفيدون من فارق السعر.[4] وبعد موسم الحصاد في فصل الصيف تزرع الذرة والدخن الموجهين للاستخدام المحلي فقط، وقد قدر إنتاجها باثنين وثلاثين ألف قنطار.[5]

***.الخضر والفواكه:**

عرف إقليم توات زراعة العديد من الخضر والتي كانت تزرع في فصل الشتاء حيث تبدأ بتهيئة الأرض لزراعتها مع حلول فصل الخريف؛ وتتمثل هذه الخضر في البصل واللفت والجزر والطماطم؛[6] والقرع والفول

---

*. في الحقيقة خمسة عشر نوعا وليس ستة عشر والذي يظهر أنه عد نوع تيليمسو مرتين، مرة مع المجموعة الأولى و مرة مع المجموعة الثانية.

1. Martin (A.G.P): les oasis Sahariennes, Gourara, Touat, Tidikelt, challamel, paris: 1908, p –p 298 – 299 .

2. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.

3. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص116.

4. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.

5. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص116.

6. نفسه، ص120.

والعدس والحمص؛ والفول السوداني(الماتقة) والقرنبيط[1]، وقد كانت هذه الخضر و البقوليات موجهة للاستهلاك المحلي[2]. كما كان يزرع بالإقليم بعض الفواكه كالبطيخ و الدلاع والرمان والتين والعنب.[3]

*.**الحناء:**

تنتج بمنطقة توات السفلى وبالضبط في المنطقة المعروفة بتوات الحنة، ترتفع أشجار الحناء عن الأرض بحوالي أربعين إلى خمسين سنتيمترا و في بعض الأحيان أكثر من ذلك؛ وتزرع على حواف المجرى الرئيسي للماء في البستان، أوراقها صغيرة خضراء لامعة، تحصد مرتين في السنة، تستعمل كدواء شافي للكثير من الأمراض أو للزينة، حيث يتم تجفيفها ثم سحق أوراقها ليضاف لها الماء لتصبح عجينة وتوضع على الشعر لترطيبه وتزيينه أو على راحة اليد والقدم للزينة أو تستعمل كدواء للجروح، يطلبها التجار بكثرة[4].

*.**التبغ:**

يتمثل في مادتي الشمة والأفيون، أما الشمة فتنتج بالمنطقة المعروفة بتوات الشمة، وتنتشر زراعتها في المناطق الجنوبية الغربية للإقليم، في قصور سالي وخاصة: باحو؛ تينورت؛ وفي قصور أنزجمير في تيلولين؛ بوعلي؛ تيطاوين الشرفة و تيطاوين لخراص؛ وفي قصور رقان خاصة تيمادنين؛ وقصور زاوية كنتة وعلى الخصوص قصر أزوى وكذا قصور تامست في أغيل وتيطاف؛ غرميانو؛ الجديد و عنتر[5]؛ ويبقى سوقها المركزي بزاوية كنتة. إن هذه هذه المادة تزرع مرة في السنة ليعاد زراعتها في الموسم القادم وفي نفس المكان, وتترك مسافة بين الشجرة وأخرى تقدر بحوالي أربعين إلى خمسين سنتيمترا حيث تزرع في شكل دائرة؛ وفي شهر جوان عندما يصل طولها إلى 40 سم تحصد لتجمع في رزم يقدر وزن الرزمة الواحدة 800غ لتباع في الأسواق, أما استهلاكها فيتم بطريقة واحدة سواء بمنطقة توات أو إفريقيا؛ حيث تستعمل بعد تجفيفها وذلك بسحق شجرة الشمة بكامل أجزائها (الأوراق؛ السيقان؛ الجذور) لتصبح جاهزة للاستعمال عن طريق التدخين؛ أو توضع في الفم تحت الشفة السفلى لتمتص ويتم استهلاكها في توات أو تسوق نحو إفريقيا[6].

*.**نباتات أخرى:**

بالإضافة إلى نباتات وأعشاب أخرى منها ما يستخدم علفا للحيوانات ومنها ما يستخدم للتداوي؛ أهم النباتات العلفية الخزراف (الغسال)؛ تقسقاس؛ حشيش الفار؛ الزربيح (غبر ضهرو) ونبات الدرين الذي له فائدة

[1]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.
[2]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص120.
[3]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.
[4]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص، ص118، 119.
[5]. عائشة بلامة مرزاية: المرجع السابق، ص80.
[6]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص، ص 119 ، 120.

أخرى وهي تثبيت الرمال، ومن أهم النباتات الطبية :الحرمل؛ الحنظل(الحدجة)؛ البسباس؛ الخبيز؛ الغرام؛ العقاية؛ الهبالة؛ البتينة؛ هقرقر؛ الشيح ؛ الصانوج؛ الحلبة؛ الزعتر؛ القزبور و لحبق .

كما يتواجد بالإقليم بعض الأشجار الصحراوية كالأثل؛ السدر؛ الكداد؛ الخروع (شحم الشقوف)؛ العشر (الكرنكا) و الأرطى.

إن الغطاء النباتي للمنطقة يعمل على حماية التربة من التعرية والتصحر بفضل نظامه الجذري المتشعب؛ فيكون حاجزا طبيعيا للرمال المتنقلة عن طريق الرياح؛ كما تعتبر بعضها علفا للحيوانات وغيرها ذات منافع طبية ولها استعمالات أخرى كما أسلفنا الذكر.

***.الرعـي**

إن المناخ الصحراوي القاسي وما يترتب عنه من شح الأمطار نتج عنه عدم توفر المراعي؛ غير أن بعض المراعي توجد حيث تطفو بعض المياه الجوفية أو في مجاري الوديان بعد جفافها, ففي هذه الأماكن تنمو بعض الحشائش والشجيرات كالرقيق؛ الرتم ؛العزل؛ الحض؛ العاندة؛ الباقل؛ المرخ؛ القطف؛ الدردين؛ ومن ثمة تصبح أماكن صالحة لرعي الحيوانات، ومن المناطق التواتية التي اشتهرت بالرعي: منطقة تيديكلت حيث بها مراعي يطلق عليها الأهالي اسم الغابة[1] . ونظرا لقلة المراعي في المناطق التواتية عكف التواتيون على تربية أعداد قليلة من الماعز والأغنام. الماعز كانت تربيته قليلة[2] أما الأغنام فكانت من النوع الذي يسمى الدمان وهي تأتي من السودان الغربي حيث تعرف هناك باسم سيداون وتمتاز بذيلها الكبير وصوفها الرديء، إلا أن التواتيين استغلوا أصوافها في الغزل والنسيج وألبانها في عمل الزبدة والجبن و اللبن المخثر[3] الذي لم يكن يخل منه أي بيت تواتي حيث يتناول كوجبة رئيسية مع التمر.

جلود الحيوانات المذكورة كانت تستخدم بعد دبغها في الصناعات الجلدية كصناعة السروج[4] والأحذية والحقائب (أقراب)؛ و جلود الماعز كانت لها أهمية في المنطقة إذ تنظف بطريقة خاصة باستعمال الملح والدبغ (ثمرة نبات آقار) وذلك لعدة أيام حتى تصبح جاهزة للاستعمال، فتستعمل كحافظات للتمر المعجون المسمى عند سكان المنطقة بالبطانة، ولاستخراج الزبدة من اللبن (الشكوة) أو أواني لحفظ الماء و تبريده (القربة) المستعملة في الحل و الترحال.

[1]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.

[2]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص122.

[3]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص58.

[4]. نفسه، ص59.

**ثانيا: سكان الإقليم:**

**1. التركيبة السكانية:** السكان في إقليم توات يصنفون إلى طبقات عرقية مختلفة الأصل والنسب هي:

●.فئة الأشراف: تأتي في مقدمة الهرم الطبقي الاجتماعي. تنسب للبيت النبوي[1]، يلقب الرجل من هذه الطبقة بلقب مولاي أو سيدي ك "مولاي سليمان" أو " سيدي سليمان"، بينما المرأة تلقب بلقب لالة ك " لالة فاطمة".

وفد الأشراف على إقليم توات من شمال بلاد المغرب، وقد اتخذوا البساتين والحدائق التي عمل فيها الجواري والعبيد،ى وقد كان لهم نفوذ وسلطة قوية نظرا لنسبهم لآل البيت النبوي لذلك حرص بقية السكان على اكتساب رضاهم والتبرك برؤياهم[2]؛

●. فئة المرابطين: ويسمون أيضا الأحرار، ينتسبون إلى الصحابة رضوان الله عليهم فهم من نسل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعقبة بن نافع. تمثل طبقة الأحرار غالبية سكان الإقليم[3]؛

●. فئة الحراطين: ظهرت هذه الفئة نتيجة للتزاوج بين فئة الأحرار والجواري، وقد تزايدت أعدادهم مما أدى إلى تشكيل طبقة ثالثة في المجتمع بعد الشرفاء والمرابطين . إلا أن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل من مكانة الطبقتين المذكورتين وهذا ما جعل فرص العمل لأفراد هذه الطبقة تقل وبالتالي امتهانهم الأعمال التي يأنف أفراد طبقة الأشراف وطبقة الأحرار مزاولتها كدبغ الجل وبعض الحرف اليدوية[4].

●. طبقة العبيد: ظهرت هذه الفئة في الإقليم نتيجة للنشاط التجاري بينه وبين بلاد السودان، وقد استخدمت هذه الفئة في الأعمال الشاقة كبناء القصبات وحفر الفقاقير[5].

---

[2]. مولاي التهامي غيتاوي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات ANEP: 2005 ص60.

[2]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص34.

[3]. نفسه، ص 34.

[4]. نفسه، ص 34.

[5] . Abderrahmane salka ," Notice sur le Touat : population, çofs ksours, lègendes, commerce, jindustie , agriculture, èlvage,mœurs, et coutumes", Bulletin de la Sociétè de gèographie d2.'Alger:1922, p 524.

## 2.التوزيع الإقليمي للسكان:

كوَّن المجتمع القصوري التواتي منذ تاريخ تعميره بالمنطقة مجتمعات بشرية تحتضنها أسوار القصبات أو القصور، هاته الأسوار لم تكن حاجزا يمنع الفرد أو المجتمع القصوريين من الانتماء إلى بيئته الطبيعية والعمرانية والاقتصادية؛ والتي أدت إلى تقسيم الإقليم إلى مناطق ومقاطعات* شكل القصر وحدتها الأولى والأساسية.

بلغ عدد قصور إقليم توات في القرن 11هـ / 17 م حوالي 200 قصرا[1]، أما في القرن 13هـ / 19 م فبلغ عددها 300 قصر بداية من قصر تبلكوزة شمالا إلى فقارة الزوى في الجنوب الشرقي[2]، موزعة على ثلاثة مناطق متبانية جغرافيا وديموغرافيا وبنيويا**.

هي منطقة تينجورارين***ناحية الشمال، ومنطقة تيديكلت ناحية الجنوب الشرقي وتتوسطهما منطقة توات.

تتكون كل منطقة من عدد من المقاطعات****؛ حيث أن كل مقاطعة تضم مجموعة من القصور المتجاورة، وهي بذلك تشكل وحدة إدارية أكبر من القصر[3].

تتوزع هذه المناطق كالآتي:

أ. **منطقة قُورارة:** قُورارة هو الاسم الحديث للمنطقة وقد عرفت في تواريخ المؤرخين والرحالة المتقدمين باسم تيكورارين، تينجورارين وتيڤورارين، حيث وصفها العلامة ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م ) بقوله: " منطقة غاصة بالسكان، مستبحرة في العمران، قصورها كثيرة تقارب المائة، تسمى تيكورارين"[4].

أما الحسن الوزان ( ت 957 هـ / 1550 م) فيقول عنها: " تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسبت، حيث يوجد ما يقرب عن خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل"[1].

---

*. المقاطعة: سماها عبد الرحمن سلكة بالعرش.

[1]. محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص 10.

[2]. مؤلف مجهول: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381 هـ– 1962م، (الطبعة الملكية)، القصر الملكي العامر، الرباط: ص 2.

**. يقصد ببنيويا مجموع العلاقات التي تربط أبناء المجتمع الواحد من عادات وتقاليد ومعتقدات وفنون وأعراف وغيرها من الروابط الاجتماعية.

***. سماها الحسن الوزان بتيكرارين وهي كلمة بربرية تعني المعسكرات، عربت فقيل كرارة، انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي:المصدر السابق، (ج2)، ص 133.

****. سماها عبد الرحمن سلكة بالعرش.

[3]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 32.

[4]. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: (ج7)، المصدر السابق، ص 77.

والشيخ الفقيه محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة (1184 هـ/ 1770م) فيسميها بالقرارة و يقول : "...وأما النصف الأعلى فأمره وعِدَّتُه هو لأهل تممون (تيميمون) من أهل قرارة (قورارة)..."[2].

من خلال ما سبق يتضح أنه يوجد اختلاف كبير في تحديد عدد قصور منطقة تيكورارين لدى المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالة، والسبب في ذلك يعود للاختلاف في تحديد جغرافية كل منطقة من مناطق إقليم توات؛ مما يؤثر على إحصاء قصور كل منطقة زيادة ونقصانا في عددها.

فنجد أن العياشي يحدد توات من الناحية الشمالية بقصور تسابيت نافيا بذلك إنتماء قصور تسابيت إلى منطقة قورارة حيث يقول في رحلته: "...ثم دخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت..."[3] ونفس التحديد يشير إليه رشيد بليل في كتابه " قصور قورارة وأولياؤها الصالحون " حيث ينفي انتماء قصور تسابيت إلى منطقة قورارة[4].

بينما يفيد التقييد المخزني أن منطقة تيكورارين تبدأ من قصور تبلكوزة شمالا إلى قصور تسابيت جنوبا بما فيها قصور السبع[5] وهذا هو الراجح[6] وعليه يمكن تحديد جغرافية منطقة قورارة كما يلي:

تقع منطقة تيكورارين في الجهة الشمالية لإقليم توات، يحدها من الشمال العرق الغربي الكبير ومن الجنوب سفح هضبة تادمايت الشمالي وينتهي بها واد امقيدن مكونا سبخة كبيرة تعرف باسم سبخة قُورارة[7].

يتمييز سطح منطقة قورارة بالاستواء باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها قصور الجهة الشمالية. كما يوجد بالمنطقة سبخة القرارة الممتدة من الشمال إلى الجنوب، إلى جانب بعض الأودية الصحراوية الجافة التي تصب في الرمال؛ كوادي امقيدن ووادي صالح[8].

---

[1]. الحسن بن محمد الوزان الفاسي: (ج2)، المصدر السابق، ص 133.

[2]. ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، تابع الأطروحة، ص 24.

[3]. أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص 20.

[4]. رشيد بليل: قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر: 2008، ص 35.

[5]. تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من القصور، المصدر السابق، ص. ص 2- 6.

[6]. للمزيد ينظر: محمد حوتية: توات والأزواد، ص 31. و عبد الله عباس: الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي بين القرنين 9 و 10هـ / 15 – 16 م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بشار قويدر، جامعة الجزائر، 2000– 2001 م، ص 22 و فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 23.

[7]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 22.

[8]. أحمد العماري: المرجع السابق، ص 18.

تحتل منطقة ڤورارة موقعا استراتيجيا في العلاقات مابين شمال المغرب والساحل الإفريقي( السودان الغربي ) حيث تربط محاور القوافل ڤورارة بورڤلة مرورا بالمنيعة ومزاب. ويسمح طريق آخر يمر بواحات ڤورارة بالوصول إلى قصور الأطلس الصحراوي (مڤرار، بوسمغون، تيوت، شلالة...) ثم يتم عبور الهضاب العليا للوصول إلى تلمسان عاصمة الزيانيين الذين كانت لهم علاقات وطيدة مع هذا الجزء من الصحراء. ثم هناك طريق آخر ربط توات بتلمسان مرورا بسجلماسة عاصمة تافلالت، هاته الأخيرة التي استعملت ڤورارة كمعبر للتجارة مع بلاد السودان، والطريق الآخر الغربي للتجارة مع بلاد السودان يمر بآوداغوست للوصول إلى امبراطورية غانا القديمة الشهيرة بذهبها. أما القوافل القادمة من توات الوسطى فكانت تمر بڤورارة وصولا إلى مناطق الأطلس الصحراوي أو ميزاب. كان لهذا الأمر بدون شك دور في تطويق ڤورارة؛ ماسمح لها بالمحافظة على هويتها الثقافية البربرية الزناتية، بينما تعرَّبت بصفة متدرجة كل من توات وتيديكلت[1].

**قصور تيكورارين:**

يوجد بمنطقة تيكورارين قصور كثيرة العدد، تمثل تكتلات سكانية تربط بين أفرادها صلة الرحم أو القرابة أو الدم، تجمع بينهم علاقات اجتماعية تخضع لظروف البيئة التي يعيشون فيها[2]

تنضوي مجموعة من القصور المتقاربة جغرافيا واجتماعيا كما أشرت سالفا تحت مسمى العرش أو المقاطعة.وبالتالي فإن منطقة تيكورارين تتكون من العروش الآتية:

1. **عرش تينركوك:** يقع في الشمال الشرقي بمحاذاة العرق الغربي الكبير قريبا من وادي امقيدن، في القرن 17 م استقرت به قبيلة المحارزة العربية طاردة منها الزناتة الذين استوطنوها من قبل في مساكن محصنة[3].

من أهم قصوره: تعنطاست، أودغاغ، تازليزة، فاتيس، زاوية الدباغ، وتبلكوزة الذي يمثل آخر قصر في الشمال الشرقي لتينركوك وصولا إلى امقيدن عبر طريق غير معبدة تقطعه الجمال[4].

2. **عرش أولاد سعيد:** يقع شمال سبخة تيميمون هو الأكثر أهمية والأقدم في قورارة وقد كان ملجأ للعديد من الجماعات التي يعود أصلها إلى مختلف مناطق الصحراء والمغرب. وحتى من بقاع أبعد. يضم مجموعة

[1]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص 36.

[2] Deporter: la question du tuot au Sahara algérien , Alger , Fontana 1891, p23.

[3]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص38.

[4]. نفسه، ص، ص 192، 195.

من الحصون المسكونة من قبل جماعات من أصول مختلفة تتعايش في نفس الحيز[1].تنتمي إلى عرش أولاد سعيد عدة قصور أهمها: كالي، اجنتور، آغلاد[2].

3. **عرش تيميمون:** يظهر في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون، وهي أهم مجموعة من قصور تيكورارين[3].

وتعتبر مدينة تيميمون عاصمة قصور ڤورارة؛ حيث عبر عن ذلك عبد الرحمن بن ادريس التنيلاني في رحلته بقوله " أنها قاعدة قرى ڤورارة[4]". كما وصفها مولاي أحمد الطاهري الإدريسي بأنها "سوق كبير وتجارها كرماء،.....، وبها قبائل مختلفة الألسن"[5].

وقد بين الدكتور أبوالقاسم سعد الله سبب اختلاف ألسن سكانها فقال:"سكانها مزيج من أجناس مختلفة، فهناك البشرة البيضاء والحمراء والسوداء".

تنطلق من تيميمون العديد من المسالك بإتجاه المنيعة، أولاد سعيد، تسابيت، توات الحنة، وتيديكلت[6]. من أهم قصوره: الواجدة، ماسين، اولاد الحاج، بني مهلال، بني ملوك، تورسيت وغيرها[7].

**4. عرش شروين:** تقع قصوره على الضفة الغربية لسبخة تيميمون[8]. وأهم قصورها شروين، تاوريحت، تينكرم و تاجازي[9].

**5. عرش طلمين:** تقع قصوره على تخوم ڤورارة غرب سبخة تيميمون والهضبة الممتدة من حيحة إلى شروين، وسط الكثبان العرق الغربي لذلك تدعى بقصور العرق، من أهم قصوره: الساقية، تاغوزي، تعربين[10].

---

[1]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص 238.

[2]. مؤلف مجهول، تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381هـ– 1962م: المصدر السابق، ص5.

[3]. محمد الصالح حوتية: آل كنتة، (ط1)،دار الكتاب العربي، 2008، ص 34.

[4]. عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني: الرحلة من توات الى الجزائر، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، ص1.

[5]. مولاي أحمد الطاهري الادريسي: المخطوط السابق، ص 127.

[6]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 30.

[7]. مؤلف مجهول، تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381هـ– 1962م: المصدر السابق، ص 5.

[8]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 30.

[9]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص 387.

[10]. نفسه، ص 374.

**6. عرش أوڤروت:** تقع قصوره في منخفض وادي امڤيدن على خط واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب[1].وردت في رحلة العياشي تحت إسم أوكرت حيث وصفها بكثرة القرى وكثرة النخيل، فقال:"ونزلنا ببلاد أوكرت عشاء وهي قرى كثيرة ذات نخيل جم، وهي معدودة من بلاد تاجورارن"[2]. من أهم قصوره: توكي، باعبد الصمد، دلدول[3].

**7. عرش حيحة:** تقع قصوره في الضفة الشمالية لسبخة تيكورارين. هي فقيرة من ناحية النخيل ومياهها قريبة من السطح، أهم قصورها قصر حيحة الذي يقع وسط الكثبان الرملية[4].

**8. عرش الدغامشة:** تقع قصوره جنوب منطقة الڤورارة[5]، بمحاذاة قصور أوڤروت، وهي بلاد ذات ذات رمل[6] ، ومن أهم قصوره: أولاد علي، الساهلة، المطارفة، أولاد راشد[7].

**9. عرش تسابيت:** تقع قصوره على بعد 35 كم جنوب غرب قصور الدغامشة[8]. تمتد من جنوب غرب إلى شمال شرق على ضفاف وادي مسعود، بطول خمسة عشر كيلو متر وخمسين كيلو متر شمال ادرار[9]. مر بها العياشي اثناء رحلته إلى الحج ( 1661-1663م ) واعتبرها أول قصور توات حيث قال:"...ثم قال:"...ثم ارتحلنا منها ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت..."[10]وكذلك الشأن بالنسبة للحسن الوزان حيث يقول:"...تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسبت..."[11]، وتشتمل على عدة قصور أهمها : برينكان، المعيز، حماد، الهبلة.

---

[1]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 29.

[2]. أبو سالم العياشي: (ج1)، المصدر السابق، ص 79.

[3]. رشيد بليل: المرجع السابق، ص 395.

[4]. محمد الصالح حوتية: (ج1)، المرجع السابق، ص 30.

[5]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 31.

[6]. أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية باقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18 م، مذكرة مقدمة لنيل لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة ادرار، 2012/2011م، ص6.

[7]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 141.

[8]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 31.

[9]. عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 22.

[10]. عبد الله بن محمد العياشي: (ج1)، المصدر السابق، ص 79.

[11]. الحسن الوزان: (ج2)، المصدر السابق، ص 133.

10. **عرش اسبع**: تقع قصوره على بعد 50 كم جنوب قصر الهبلة، وتضم قصرين هما اسبع والقرارة اللذان يبعدان عن بعضهما بحوالي 5 كم[1].

تعتبر منطقة تينجورارين الجناح الشمالي للإقليم التواتي وهي ثاني المناطق التواتية ديموغرافيا وعمرانا و إنتاجا. بلغ عدد سكان المنطقة نهاية القرن 19 م حوالي ثمانين ألف نسمة، يرتكز معظمهم في قصور تيميمون نظرا لكثرتها أولا، وتوفرها على بعض الأراضي الصالحة للزراعة ثانيا وازدهار تجارتها ثالثا[2].

**قصور توات**: تسمى بتوات الوسطى لموقعها الوسط بين منطقة تيكورارين وتيديكلت.

وتعرف بتوات الأصلية أو تسوات[3]. تقع مابين نهاية منحدر الهضبة العليا للقرارة التي تكون الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له المسماة بالعرق الغربي.

تبدأ حدود توات من أعالي منطقة بودة ( توات العليا ) في البقعة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب، فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب، ليصل إلى مقاطعة رقان، ومن هنا ينخفض مستواه بسبب الكثبان الرملية، ومن رقان يتجه نحو الجنوب الغربي ليصب في منخفض عميق على شكل وادي متوسط، عرضه يقدر مابين مئتين إلى ثمانين كيلو مترا، أما طوله من بودة إلى رقان فيبلغ حوالي مائتي كيلومتر؛ وهو بذلك يغطي مساحة لاتقل عن ألف وستمائة كيلومتر[4].

ومن أهم قصور منطقة تسوات:

1. **عرش بودة**: تقع قصوره في أقصى قصور توات، تتركز في واد مواز لوادي مسعود، تبعد أربعين كيلومترا شرق قصور تيمي. تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية (العليا) وبودة التحتانية (السفلى) حيث تبعد المقاطعتان عن بعضهما بحوالي ثماني كيلومترات، مع العلم أن عدد قصور المقاطعات اثنا عشر قصرا؛ منها خمسة قصور في بودة التحتانية وسبعة قصور في بودة الفوقانية[5]. أهم قصورهما: ابنيلو، بن دراعو، المنصور و بني وازل.

وصفها ابن بطوطة في رحلته بقوله: "... وهي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب ولكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولازرع فيها ولا زبيب وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب"[6].

---

[1]. محمد الصالح حوتية: آل كنتة، المرجع السابق، ص 36.

[2]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 33 وما بعدها.

[3]. محمد الصالح حوتية: آل كنتة، المرجع السابق، ص 37.

[4]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 20.

[5]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد،(ج1)، المرجع السابق، ص 32.

[6]. محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطه:(ج4)، المصدر السابق، ص 279.

2. **عرش تيمي**: تقع قصوره شرق قصور بودة[1]. وسط توات الأصلية لذلك كانت تعتبر تيمي بمجموع واحاتها أهم منطقة و اعتاها في توات؛ بل كانت هي توات في الأصل ثم اتسع الاسم ليشمل المناطق المجاورة[2].

أصبحت تيمي في القرن 12هـ/18م محل العقد والربط و مجتمع السلم والحرب؛ لأنها كانت مقر القيادة، وهي المركز الكبير للحكم والتجارة والقضاء، وبها الكثير من الأولياء والصالحين، كما كان بها تنافس بين قيادتها وقيادة عين صالح و تيميمون[3].

معظم قصورها ذات شأن وباع منها تينيلان – أدغاغ (وهو القصر محل الدراسة والبحث) – أولاد اونقال، أولاد اوشن، أولاد علي ، أولاد ابراهيم، مهدية، بني تامر، كوسام، ملوكة[4].

3. **عرش تمنطيط**: تقع قصور تمنطيط جنوب عرش تيمي، تبعد عنه بحوالي 12 كم بينهما سبخة[5].

وقد حدد ابن خلدون ( 808 هـ – 1406 م ) موقعها بأنه آخر قصور توات من جهة الشرق. واعتبرها ذات عمران متطور وأنها محطة هامة وممرا رئيسيا للقوافل التجارية القادمة من وإلى بلاد السودان الغربي حيث يقول: "...وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه"[6].

شيدت تمنطيط على هضبة صخرية تكسوها طبقة من الرمال والحجارة، حيث تميل الهضبة تدريجيا من الشرق إلى الغرب نحو منخفض يحاذي السبخة. كما تحيط بقصور تمنطيط الواحات والبساتين التي تنحدر ناحية الجهة الشمالية[7].

أما ابن بابا حيدة (ت 1210 هـ / 1795 م) فقد وصف قصور تمنطيط بقوله: " فاعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع و التجارات والبضائع، وعاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات..."إلى أن يقول"... قيل وقصورها عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها

---

[1]. مولاي احمد الطاهري الإدريسي: المخطوط السابق، ص 161.

[2]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص7.

[3]. مولاي احمد الطاهري الادريسي: المخطوط السابق ، ص 161.

[4]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص7.

[5]. محمد الصالح حوتية: توات الأزواد، المرجع السابق، ص 33.

[6]. عبد الرحمن بن محمد( ابن خلدون): المصدر السابق، ج7، ص 77.

[7]. محمد بن السويسي: المرجع السابق، ص 31-32 .

الضيف سنة كل يوم في قصر"[1]. هذا الوصف يبرز لنا تمنطيط كانت حاضرة علمية ودينية واقتصادية استقطب الوافدين على توات على اختلاف مشاربهم كل حسب بغيته (مبتغاه)، كما كانت مقر الحكم والقادة. و الأكثر من ذلك أن عدد قصورها قد وصل إلى ثلاثمائة وستة وستون قصرا حسب عدد أيام السنة حتى أن الضيف فيها يمكث مدة يستضاف كل يوم في قصر.

من أهم قصور عرش تمنطيط: اولاد الحاج مامون، بالحاج، آنكير[2]، زاوية سيد البكري.

**4. عرش بوفادي:** تقع قصوره جنوب قصور عرش تمنطيط على بعد اثني عشر كيلومترا منها، في منخفض بمحاذاة وادي مسعود[3]، ومن أهم قصوره: توكي، ابنكور، نومناس[4].

**5. عرش فنوغيل:** يقع غرب قصور بوفادي، في منخفض واسع مواز لوادي مسعود، ينتمي له سبعة عشر قصرا، أهمها قصور تاسفاوت، المنصور، عباني[5].

**6. عرش تامست:** تظهر جنوب قصور فنوغيل في منخفض بموازرة وادي مسعود، تضم هذه المجموعة أربعة عشر قصرا أهمها من حيث التجارة والسكان قصري لحمر وتيطاف[6]. ومن حيث العراقة التاريخية قصر تماسخت الذي يحتوي على قلعة تماسخت*، والتي يعود تاريخ تأسيسها الى القرن 4 ق.م، بنيت فوق جبل صخري وهي ذات طابع عمراني دفاعي تداول على تعميرها البربر واليهود ثم العرب المسلمين[7].

**7. عرش زاوية كنته:** يقع جنوب قصور تامست على الحافة اليسرى لوادي مسعود، يضم سبعة عشر قصرا[8] أهمها: قصر زاوية كنتة الذي أسسه سيد أحمد الرقادي القادم من تمبكتو على أثر خلاف وقع بينه

---

[1]. ابن بابا حيدة: المرجع السابق، ص. ص 13-14.

[2]. مؤلف مجهول: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381 هـ- 1962م: المصدر السابق، ص7.

[3]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 33.

[4]. مؤلف مجهول: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381 هـ- 1962م، المصدر السابق،ص 6.

[5]. محمد الصالح حوتية، آل كنته، المرجع السابق، ص 40.

[6]. محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 34.

*. لازالت آثار القلعة شاهدة على عراقة تاريخ المنطقة، حيث مازال الجزء الأكبر من عمران القلعة متماسكا صامدا في وجه الزمن والطبيعة; دالا على قدرة عجيبة لإنسان استطاع بفكره أن يستغل ما تجود به البيئة ليقيم صرحا معلميا يعبر عن ثقافته وذوقه المعماري، ليصبح مقصد السياح من مختلف الجهات الداخلية والخارجية.

[7]. جمعية الأمل لترقية السياحة وحماية الآثار بقصر تماسخت: مطوية سياحية للتعريف بقلعة تماسخت.

[8]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 34.

وبين بعض أقاربه، و بنى زاويته التي أخذت اسم كنتة. وقصر بوعلي الذي سكنه البرامكة[1] الذين لجأوا إلى توات قادمين من سوريا سنة (1040م-432هـ)[2]، وكذلك قصر زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي.

**8. عرش انزجمير**: تسمى قصوره توات الحنة لإنتاجها الوفير لهذه المادة، تقع في المنخفض الأيسر لواد مسعود تفصلها عنه السبخة[3] من أهم قصورها: زاوية بلال، تيطاوين لخراص، تيدماين، الخلفي وتيلولين[4] القصر الكبير جغرافيا وديموغرافيا.

**9. عرش سالي**: تقع قصوره جنوب منطقة انزجمير على بعد 14 كلم منها في المنخفض الأيسر لوادي مسعود[5]. قال عنها صاحب نسيم النفحات « سالي عبارة عن عدة قصور متصلة تصل إلى اثني عشر قصرا و أقدم قصر هو قصر المنصور وسكانه من البرامكة القادمين من العراق بعدما شردهم هارون الرشيد فسكنوا توات – كسالي وبوعلي وغيرها-....وجدوا بها قبائل شتى من العرب وزناتة وصنهاجة من قبائل البربر... »[6]بالإضافة إلى قصر المنصور من أهم قصور سالي نجد: قصبة أولاد النجار، العلوشية، القصر الجديد، قصبة أبا بلة وقصبة بني هاشم وغيرها[7].

**10. عرش رڤان***: تقع قصوره جنوب قصور سالي في أقصى جنوب توات[8] حيث تعتبر آخر مقاطعات هذه الأخيرة[9].وردت في كناش التقييد تحت اسم "ركان"، تضم عددا من القصور أهمها: آيت المسعود،

---

[1]. لويس واتان: أصول شعوب توات حسب الروايات الشائعة في البلاد (نسخة مترجمة مازالت مخطوطة)، نشرة الجمعية الجغرافية، الجزائر وشمال إفريقيا، السنة 10، 1905م، الثلاثي الثاني، ص 24(الصفحة المترجمة).

[2] . Bernard Saffroy:op.cit, p3.

[3]. محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص 34.

[4].تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة...: المرجع السابق، ص 8.

[5]. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 34.

[6]. مولاي أحمد الطاهري الادريسي: المخطوط السابق، ص. ص 93. 94.

[7]. نفسه، ص. ص 95. 96.

*. رڤان: كلمة بربرية تعني باللغة العربية الجمل الكبير الراقد وفي هذا الموضع مات الجمل الذي كانت تمتطيه تينهنان ملكة العجم وسمي المكان بهذا الاسم انظر: محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص 15.

[8]. محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ص 34.

[9]. نعيمة طيب بوجمعة، الموقع الجغرافي لإقليم توات، الملتقى الوطني الأول : العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب المغرب الإسلامي، أيام 14 – 15 أفريل 2009م جامعة أدرا ر و جامعة تيارت، منشورات جامعة ادرار ، ص 15.

المسعود، تنولافت، تعرابت، انتهنت، تاوريرت[1] وقصر زاوية الرڤاني لمؤسسه مولاي عبد الله الرڤاني ( 1198 هـ/1735 م) في القرن 11 هـ[2].

تعتبر منطقة توات قلب الإقليم التواتي ومركز نشاطه؛ نظرا لموقعها الوسط بين منطقتي تينجورارين ناحية الشمال وتيديكلت ناحية الجنوب الشرقي، وكذلك نتيجة لتقدم عمرانها وازدهارها الاقتصادي بفضل موقع قصور المنطقة بمحاذاة وادي مسعود مما شجع السكان على الإقبال على الزراعة في مساحات كبيرة نسبيا، إلى جانب جودة محاصيلها الزراعية خاصة القمح والحناء[3].

وفي نهاية القرن 19 م بلغ عدد سكان منطقة توات حوالي مائة وعشرين ألف نسمة يتركز معظمهم بقصور تيمي وتمنطيط الكثيرة العدد الوافرة الخيرات[4].

**11. منطقة تيديكلت***: تتواجد منطقة تيديكلت بين منطقة توات غربا وهضبة تادميت شمالا وهضبة مويديرا جنوبا. يخترقها وادي أقربا الذي يصب في وادي مسعود نحو الجنوب الغربي بينما يتفرع من جهته الشرقية والشمالية الشرقية إلى عدد معتبر من الروافد والأودية، مما هيأ المنطقة لقيام عدد من الواحات والتي جعلت من المياه الارتوازية المرتكز الأساسي في مختلف النشاطات اليومية و الفلاحية[5].

تتوزع قصور منطقة تيديكلت بين ولايتين متجاورتين هما ادرار التي تنتمي لها قصور أولف وضواحيها وولاية تمنراست التي تضم قصور عين صالح وضواحيها.

تتميز المنطقة بمناخ صحراوي جد حار صيفا وبارد في فصل الشتاء، أما الرياح والزوابع الرملية فإنها تكثر خاصة في شهري فيفري ومارس[6].

---

[1]. مؤلف مجهول، تقيد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى1381 هـ– 1962م: المصدر السابق، ص 9.

[2] أحمد جعفري: محمد بن ابَّ المزمري1160هـ حياته وآثاره، (ط1) دار الكتاب العربي، الجزائر: 2004، ص 50.

[3]. فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 32 وما بعدها.

[4]. نفسه، ص 33.

*. تيديكلت كلمة بربرية (تارڤية) وتعني كف اليد ذلك أن قدامى أهالي أولف وعين صالح كانوا من التوارق، وإذا نظرنا إلى هاتين المدينتين من منظر علوي سوف يظهر شكلها على شكل راحة اليد حيث كانت هاتين المنطقتين قديما في شكل جزيرة يحيطها الماء من كل جانب وكانت اليابسة والنخيل يشكلان كف يد، للمزيد انظر: تاريخ منطقة تيديكلت، تاريخ النشر 2012/04/06،، متاح على الموقع tidi.ahlamontada.net، تاريخ التحميل 2013/05/10.

[5]. الحاج التومي سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، ISBN، 2005م، ص 18.

[6]. نفسه، ص 18.

تعتبر عين صالح عاصمة تيديكلت التاريخية ومركز استقطاب في المنطقة، فإليها كان يلجأ توارق الهقار وأهل توات وجانت في حالة الخطر، وهي كذلك الطريق الذي تمر منه القوافل التجارية المتجهة إلى تونس وطرابلس، ونقطة تجمع ومعبر للحجيج، ارتبطت منذ نشأتها من الجنوب إلى الشمال بطريقي تمنراست والمنيعة، ومن الشرق إلى الغرب بمسلكي تيمي ورقان[1].

من أهم قصور منطقة تيديكلت:

**1. قصور أولف***: تقع قصور أولف شمال شرق رقان بمسافة 90 كم، وجنوب شرق ادرار بمسافة 180 كم، وغرب عين صالح بمسافة 150 كم. وهي عبارة عن سهل يبدأ بانتهاء هضبة تادميت، أرضه مسطحة منبسطة قليلة التلال والمرتفعات كثيرة الكثبان الرملية عامرة بالنخيل تعرف لدى البعض بتيديكلت الغربية تميزا لها عن تيديكلت الشرقية التي تطلق على عين صالح وضواحيها[2].

من أهم قصورها: زاوية حينون، قصبة بلال، عمنات، قصبة ميخاف، الركينة، الجديد، تقراف، قصبة حبادات[3].

**2. قصور أقبلي**: تقع هذه القصور جنوب تيديكلت حيث تبعد عنها بحوالي خمس وثلاثين كيلو مترا، وتوجد بسهل منبسط وأشهر قصورها قصر بونعامة[4].

**3. قصور تيمقطن**: وصفها عبد الرحمن بن عمر التنيلاني بأنها أكبر مناطق تيديكلت من حيث عدد السكان وعدد القصور، كانت خلال القرن 12 هـ الممر الرئيسي لبلاد تيديكلت يعبر منه التجار والزوار والطلبة والحجاج[5]. من أهم قصورها: أولف الكبير، أخنوس، أولاد الحاج، زاوية مولاي هيبة، اينر، تيمقطن، قصبة الجنات، أولاد مولاي رشيد[6] وغيرها.

---

[1]. الحاج التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 18.

*. أولف: قيل أن اسمها مشتق من الألفة باعتبار أن من سكنها يألفها بسرعة وقيل أن أصله كلمة أقلف وهي كلمة بربرية تعني خلية النحل باعتبار أن المنطقة تجذب إليها السكان جذبا، كما تطلق أقلف على مكان بروز الجريد(أغصان النخلة) من النخلة لكونه مكانا جاذبا وأن الوقوع فيه ليس من السهل الخلاص منه، فأبدلت القاف واوا وأصبحت أقلف أولف وهذا الأخير هو القول الراجح عند محمد باي بلعالم. للإطلاع انظر: محمد باي بلعالم: (ج2)، المرجع السابق، ص 332.

[2]. نفسه، ص 332.

[3]. محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص 18.

[4]. محمد حوتية: توات والأزواد، (ج1)، المرجع السابق، ص 35.

[5]. عبد الرحمن بن عمر التنيلاني: رحلة حجية لعام 188 هـ، مخطوط بخزانة با عبد الله، تيمي، أدرار، ص 03.

[6]. محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص 18.

**4. قصور تيط:** تقع في الناحية الجنوبية الشرقية لقصور اينغر على حافة الهضبة السفلية لتادميت على بعد 100 كم من عين صالح، أسسها المرابطون من بني عزي الحاج الشيخ عبد الرحمن الذي جاء من منطقة الحجاز مع أخيه بلقاسم بعد أدائهما لفريضة الحج، و إستقر في تيط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر للميلاد، ومن أهم قصورها التي نالت شهرة واسعة بالإقليم قصبة الشرفاء[1] وتيط*.

**5. قصور إينغر:** توجد في منحدرات هضبة تادمايت على بعد ثلاثين كيلومتر عن قصر تيط وتضم سبعة قصور أهمها قصر الخال[2].

**6. قصور عين صالح:** تقع في منحدرات هضبة تادميت على بعد خمسين كيلومتر شرق إينغر، وثلاث مائة وثمانين كيلو متر جنوب غرب المنيعة، وستمائة وثلاثين كيلومتر من ورجلان، وقد قدرت هذه المسافات حسب مسالك الإبل، تضم قصور عين صالح اثني عشر قصرا؛ أهمها قصر العرب أو القصر الكبير الذي يقطنه أولاد باحمو[3].

**المبحث الثالث: قصر أدغاغ**

**أولا:التأسيس :**

قبل الحديث عن تأسيس قصر أدغاغ كان لزاما علي أن أعرج بلمحة تاريخية على عرش** تيمي، وهو الوحدة الجغرافية والإدارية التي كان قصر أدغاغ تابعا لها خلال فترة الدراسة.

**1.عرش تيمي:**

***. أصل التسمية :**

السائل عن معنى كلمة **تيمي** يجد له عدة تفسيرات. فقيل أن رجلا وأولاده استقر به المقام بمكان سمي أدغاغ؛ لكن أحد أبنائه رغب في الانتقال إلى مكان آخر بعيدا عن والده، وعند سؤال الأب عن ابنه كان يقول "**تيمني**" أي **بنيان ابني** ومع الوقت صارت تيمي[4]. وقيل أيضا أن **تيمي** كلمة أمازيغية تعريبها **الوسط** حيث أن موقع عرش تيمي يتوسط إقيم توات[5].

---

[1]. عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 34.

*. تيط: كلمة بربرية معناها العين عند قبائل الزناتة و عند الطوارق.

[2]. محمد حوتية: توات والأزواد،(ج1)، المرجع السابق، ص 36.

[3]. نفسه، ص 36.

**. هو وحدة جغرافية وإدارية غير محددة المساحة، تضم عدداً من القصور المتقاربة المسافة.

[4]. توفيق بوزناشة :دليل الجمهورية ولايات وبلديات، (ج1)، (ط1)، ناكسوس تي في،2013م ، ص 51.

[5]. نفسه، ص 51.

أما الشيخ محمد باي بلعالم فقال أنّ كلمة **تيمي** بربرية معرّبها **الجبهة**[1]. وقيل أن كلمة تيمي بربرية معرّبها **الحاجب**، واصطلاح هذا الاسم على هذا المكان يرجع الى موقعه الجغرافي من تسفاوت* إلى زاوية سيد البكري مروراً بكل قصور العرش في خطّ منحني مفتوح يحيط بعرش تمنطيط من جهة واحدة مشّكلا صورة **للعين** (**تمنطيط** ) و**الحاجب** (**تيمي**) [2].

من خلال عرض مختلف الروايات حول معنى كلمة تيمي حاولت الترجيح بينهما معتمدة في ذلك على معطيات جغرافية و ترجمات ومقاربات لغوية .

وبما أن القبائل البربرية التي استوطنت إقليم توات هي قبائل الزناتة في العقود الأولى وقبائل الطوارق** في العقود الأخيرة اتصلت بشخصين من العرقين للاستفادة من الترجمة ، وقد توصّلت إلى النتائج الآتية :

- الرأي القائل بأن أصل كلمة **تيمي** هو **تيمني** والتي تعني بالبربرية **بنيان ابني** : الأصل في كلمة **تيمني** أن تكون مركبة من ثلاث مقاطع هي :**تِينْ اَنْ اَمِّي** وهي كلمة زناتية تعريبها : **ملك ابني*** ونتيجة لاختلاط اللسان الزناتي باللسان العربي وكثرة تداول الكلمة اختصرت المقاطع الثلاث في مقطع واحد فصارت **تينمي**، ثم مع مرور الوقت أبدل مكان حرف الميم مع النون لتستحيل **تيمني** لاحقا أدغم حرف النون في الميم لتصير كلمة **تيمي** .

أما الرأي القائل بأن تعريب كلمة **تيمي** هو كلمة **الوسط** فهو مردود لأن كلمة الوسط باللهجة الزناتية حسب السيد أحمد عبد الكريم فهي **أماس** ، وباللهجة **التارڤية** حسب السيد لنصاري محمد لمين فترجمتها **أغيل** و شتّان ما بين كلمتي **أماس** و**أغيل** وكلمة **تيمي** .بينما تفسير كلمة **تيمّي** بالجبهة حسبما أورد الشيخ محمد باي

[1]. محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص 11.

* . تسفاوت من قصور عرش فنوغيل إلا أنها نظراً بقربها من عرش تيمي فقد كانت تحت سلطة قائد عرش تيمي إلى غاية 1945 حيت وقع خلاف بين قائد هذا العرش وسكان تسفاوت فتخلى القائد عن حماية هذا العرش ورفع سلطته عنه، وقد عضّدت هذه المعلومة من كتاب أربعة قرون لمارتن حيث ذكر أن قصر تسفاوت كان إداريا يتبع عرش تيمي.

[2]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي، باحث في تاريخ توات ومالك خزانة مخطوطات أدغاغ (خزانة مولاي سليمان بن علي)، مقابلة معه في بيته يوم 17 جويلية 2013 ،قصر أدغا، بلدية أدرار، ولاية أدرار.

** . ورد في كتاب محمد باي بلعالم أنه من القبائل التي قدمت إلى توات سنة 1110 ه قبائل التوارق ، للمزيد: انظر محمد باي بلعالم ،(ج1)، المرجع السابق، ص67.

***. أحمد عبد الكريم (82 سنة): زناتي من قصر الكرط بلدية أولاد عيسى ، دائرة شروين، ولاية أدرار، مكالمة هاتفية ، يوم 2013/7/10م.

بلعالم فممكن وذلك في قاموس اللهجة التارقية[1] ، لأن الجبهة بالكلمة الزناتية تترجم في كلمة **تينحت** وهذا المصطلح بعيدا جدا في تركيبه عن كلمة تيميّ .

إلا أنه بالنظر إلى موقع الجبهة في مقدمة الوجه وأسفل منها العين محاطة بالحاجب فأرى أن هذا التفسير فيه نظر ذلك أن الجبهة تعلو العينين، ولو كان تفسير كلمة **تمنطيط** بالجبهة والعينان[2] لقيل **تمنتطاوين** لأن مجموع كلمة **تيط** (العين) هو كلمة **تيطاوين**.* وبالتالي فإنني أرجح الرأي القائل بأن معنى كلمة تيمّي هو الحاجب ، و**تمنطيط** معناها حاجب العين وهو الأقرب إلى المنطق ، لأن ترجمة الحاجب باللهجة الزناتية هي **تامّي** [3] ومع كثرة التداول قلبت الألف ياء فصارت **تيميّ** وما يعضّد هذا الرأي هو التوضع الجغرافي لقصور عرش تيمي ذلك أن هاته القصور تتصل ببعضها عبر خط منحني مفتوح يحيط بقصور عرش تمنطيط في شكل يشبه العين (قصور تمنطيط) يعلوه الحاجب (قصور تيمي ).

***. الموقع والأهمية :**

يقع عرش تيمي وسط توات الأصلية ، وفي الأصل كانت تيمي هي توات ثم اتسع الاسم ليشمل المناطق المجاورة[4]، يحد قصور عرش تيمي من جهة القِبلة قصور عرش تمنطيط ومن الغرب عرش فنوغيل ومن الجنوب عرش بودة و من الشمال عرش اسبع[5] .

يعتبر عرش تيمي سُرَّة إقليم توات الممتد من تبلكوزة شمالا إلى عين صالح جنوبا ، هذا الموقع جعل قصور عرش تيمي محطّة حتمية لِركب الحجيج من الأقاليم المجاورة، وسوقا رائجة لسلع قوافل التجار القادمة من و إلى تمبكتو، أروان، غدامس، غات، سجلماسة، الجزائر وبجاية،[6] وقد ازدادت هذه الأهمية بعد انتقال الزعامة من عرش تمنطيط إليه عام 1014 هـ[7].

لقد وصف عدداً من المؤرخين المحليين والأجانب عرش تيمي ذاكرين أهميته السياسية و الاقتصادية والقضائية والروحية، من بين هؤلاء المؤرخين سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي الذي يقول في معرض حديثه عن توات "... وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصر أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط،

---

[1]. السيد لنصاري محمد لمين (تارڤي): أستاذ اللغة العربية في التعليم المتوسط (دائرة برج باجي مختار، ولاية أدرار) مكالمة هاتفية ، يوم 2013/05/02.

[2]. محمد باي بلعالم: (ج1)، المرجع السابق، ص12 .

* . حسب السيد لنصاري محمد لمين فإنه في اللهجة التارقية لا وجود للتثنية بل يوجد أما المفرد وإما الجمع.

[3]. أحمد عبد الكريم: المقابلة السابقة .

[4]. محمد باي بلعالم: (ج 1 )، المرجع السابق، ص 8 .

[5]. علي بن محمد سليماني: عرش تيمي، مجلة القصر، العدد الرابع، ص 7.

[6]. نفسه، ص 6.

[7]. محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم: المرجع السابق، ص 7 .

فهذه القصور قاعدة توات لم يزل سكنى قضاة الجماعات بأحد هذه القصور الثلاثة من لدن تقررت الأحكام الشرعية إلى هلم جرا، رؤساء هذه الواسطة أهل سياسة و قوة جأش وذكاء "[1].

لقد أكَّدَ صاحب كتاب نسيم النفحات الأهمية التي حظي بها عرش تيمي فقال:"وقرب تمنطيط قصور تيمي وبها أخلاط من الناس من الشرفاء والمرابطين والعرب، وكانت في القديم محل العقد والربط ومجتمع السلم والحرب لأن القيادة العظيمة كانت بها، وكان تنافس بين قيادة تيمي وعين صالح وتيميمون، وبها كثير من الأولياء والصالحين، ومن أبرزهم الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي والولي الصالح سيدي محمد الونقالي"[2].

أما الرحالة الفرنسي ألفرد جون بول مارتان (A.G.P.Martin ) فقد قال عن تيمي :"على بعد مسافة قليلة من مقاطعة بودة .....نجد تيمي وهي مقاطعة كبيرة تضم عشرين قصراً منها أدغاغ (520 ساكن)[3]".

بينما الضابط واتان ( Watin ) فقد أحصى عدد قصور توات مبيناً أصول الشعوب التي توافدت عليها من شتى الأقطار. ولقد عَد قصور عرش تيمي بأربع وعشرين قصراً [4] هي : زاوية سيد البكري ، بني تامرت تامرت ، اقبور ، أولاد بوحفص ، قصبة ابن ابّا ، قصبة أولاد احمد ، تاريدالت ، أولاد إبراهيم ، أولاد عيسى ، أولاد عروسة ، با عبد الله ، أولاد اوشن ، أولاد علي ، أولاد انقال ، أدغاغ ، تينيلان ، مهدية ، أوقديم ، بربع ، ملوكة ، بوزان ، كوسام ، ميمون ، واينة [5] .

سكان إقليم توات ودون اعتبار لأصولهم انقسموا فيما بينهم على معسكرين[6] يحمد وسفيان .و حسب المؤرخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي فإن أصل انشقاق ساكنة إقليم توات يعود إلى العصبية القبلية التي ألفتها أهواء زناتة الذين نزلوا أرض توات؛ فعندما استقّر بينهم عرب المعقل وأولاد أحمد وغيرهم؛ استعانوا بهم على بعضهم البعض فأضمرت نار الفتنة بينهم؛ وصالت العرب واستخفوا بعامل سلطان المغرب الذي كتب إلى السلطان يخبره أن أهل الصحراء اشتدت بينهم الفتن مثل الفتنة التي وقعت بين محمد صلى

[1]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص 01 .

[2]. مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: المخطوط السابق ، ص161 .

[3] .Martin (AGP) : Quatre siècles, op.cit,p8

[4]. حسب مارتن عدد قصور عرش تيمي 20 قصراً ، أنظر: :Martin (AGP) :quatre siècles, op.cit,p8

[5]. Watin Lewis (officier interprète): origines peuples Touat par les romans populaires dans le pays Géographique Society Bulletin, l'Algérie et l'Afrique du Nord, l'année 10,1905 m, triple-seconde, P, P 218, 220.

[6] .Abderrahmane salka , op.cit, p 528.

الله عليه وسلم و أبي سفيان فسمي ذلك يحمد وسفيان؛ وقيل يحمد تحريف ليحي وسفيان قبيلة من البربر تحارب يحي والأول أشبه فصارت عداوة يحمد وسفيان مختصة بالبلاد التواتية[1].

سكان عرش تيمي كانوا ينتمون لطائفة يحمد، هاته الأخيرة كان مقرها الأساسي قصر أدغاغ[2]، وقد جرى بينهم وبين أعدائهم من الطائفة الأخرى غالبا نزاعات و أحيانا تحالفات ومعاهدات سلم وصلح أحيانا أخرى.

كل فئة اتخذت حليفا من غير أهل توات؛ ففئة يحمد تحالفت مع عرب ذوي منيع والطوارق وفئة سفيان استنجدت بعرب لغنائمة والشعانبة؛ أما البرابر فتستعين بهم الفئتان؛ كل فئة تغريهم مرة على ضدها فهم بين الكل[3].

عاصمة عرش تيمي كانت أكبر قصورها وهي قصر أدغاغ وقد ظلت قصور عرش تيمي تحت سلطة وإدارة قائد قصر أدغاغ إلى غاية 1354هـ / 1945م حيث قسمّت الإدارة الفرنسية هذا العرش إلى جزأين هما تيمي التحتانية وعاصمتها قصر أولاد إبراهيم وتضم 12 قصراً وتيمي الفوقانية[4] وعاصمتها قصر أدغاغ وتضم هي الأخرى 12 قصراً مع بقاء الجزأين تحت قيادة موحدة بقصر أدغاغ[5].

وفي سنة 1952 قامت الإدارة الفرنسية بتسمية تيمي الفوقانية ببلدية أدرار تيمنا باسم أكبر قصورها وهو أدغاغ[6].

كما يعتبر القصر الأقرب مسافة لمدينة أدرار، بل أنه لا يفصل بينهما سوى طريق رئيسي حتى أن منازل الطرفين متصلة البنيان من جهة الشمال.

كانت الانطلاقة الفعلية لتأسيس مدينة أدرار عقِب الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات إذ قبل ذلك لم يكن هناك وجود لهذه المدينة في خريطة إقليم توات وكان مكانها الحالي عبارة عن فضاء واسع يحد قصر أدغاغ من جهة الشمال.

---

[1] .سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص 11.

[2] Abdurrahman salka :Op.cit , p 531 .

[3]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي : المخطوط السابق، ص 17.

[4]. ورد هذا التقسيم في مخطوط" درة الأقلام" تحت اسم : تيمي السفلانية وتيمي الفوقانية، للمزيد انظر: المخطوط نفسه، ص 59 .

[5]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ يوم 2014/05/22م.

[6]. لكبير بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: مسؤول الفرع البلدي لقصر أدغاغ ، مقابلة مقابلة معه في مقر الفرع البلدي ، يوم 24 / ماي / 2014.

بتاريخ 20 أوت 1958 تأسست بلدية أدرار إذ كانت من نتائج التقسيم الإداري الذي أقرته الإدارة الفرنسية تبعاً للمرسوم رقم 866/58[1] وكانت مقر الإقليم. وبعد الاستقلال وبموجب التقسيم الإداري لسنة 1974 والذي انبثقت عنه ولاية أدرار [2] اعتبرت بلدية أدرار مقر الولاية[3].

يحد بلدية أدرار من الشمال بلدية اسبع، ومن الغرب بلدية بودة ومن الجنوب بلدية أولاد احمد تيمي ومن الشرق بلدية تمنطيط[4]. تبلغ مساحة بلدية أدرار 633 كم$^2$ [5]، موزعة على ثمانية قصور وهي على التوالي : : أولاد علي ، أولاد اوشن ، أولاد أنقال ، أدغاغ ، أوقديم ، بربع ، مراڤن ، تينيلان[6].

## 2. قصر أدغاغ

### *.الموقع والأهمية

يقع قصر أدغاغ في قلب الإقليم التواتي*، يحده شمالا الفضاء الذي يفصل بينه وبين قصري تنيلان و امراڤن والذي أصبح يعرف بمدينة ادرار عقب الاحتلال الفرنسي للمنطقة سنة 1900م، أما جنوبا فيحده قصري بوزان وكوسام، ومن جهة الغرب يحده حريم فڤارة أوڤديم، ومن الناحية الشرقية تحده قصور أولاد عروسة؛ باعبد الله و أولاد انقال[7].

يتواجد قصر أدغاغ في موقع استراتيجي هام، فقد بني في موضع يتوفر على المياه الصالحة للشرب، والتي جلبت إليه عن طريق حفر عدد من الفقاقير . بلغ عددها ستة . والتي زودت الساكنة بالمياه الصالحة للشرب، وقد كانت منهلا مائيا لتزويد بساتين القصر بالمياه خاصة و أن الزراعة كانت مصدر رزق أساسي للسكان.

هذا الموقع المحاط بستة فقاقير جعل القصر يكتسب أهمية بالغة، تمثلت في عَدِّهِ محطة رئيسية للتجار القادمين من مختلف المناطق الشمالية كتجار احميان وبني امحمد والخنافسة، والجنوبية كتجار توات الحنة وتوات الشمة وتيديكلت و الأهڤار والسودان الغربي، وهذا ما جعل القصر يحظى بسوقين موسميين؛ سوق شتوي يقيمه تجار احميان وبني امحمد في المكان الذي عرف باسمهم " بَرَّتْ احميان"، وسوق صيفي يقيمه تجار الخنافسة في الموضع الذي سمي باسمهم أيضا " رحبة الخنافسة".

---

[1]. مكتب الدراسات صحراوي احميدة: دليل مدينة أدرار( التقسيم الحضري للمدينة )، وهران، ص 6 .

[2]. توفيق بوزناشة: المرجع السابق، ص 40 .

[3]. مكتب الدراسات صحراوي احميدة: المرجع السابق، ص 6 .

[4]. نفسه، ص 6 .

[5]. توفيق بوزناشة : المرجع السابق، ص 45 .

[6]. مكتب الدراسات صحراوي احميدة: المرجع السابق، ص 6 .

*. انظر المخطط في الملحق رقم 01 ص394.

[7]. لكبير بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي: المقابلة السابقة.

ضف إلى ذلك فإن موقع قصر أدغاغ في قلب إقليم توات جعله يتخذ معبرا وممرا ومحطة رئيسية لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال للقوافل القادمة من و إلى جميع مقاطعات مناطق الإقليم التواتي الثلاث: تينجورارين، توات الوسطى وتيديكلت[1].

***. أصل التسمية :**

أصل كلمة أدغاغ هو كلمة إضغاغن، وقد أطلق هذا الاسم على القصر في المرحلة الثالثة والأخيرة من التأسيس بعد مرحلتين سابقتين لم يُعرف لهما تاريخ[2] محدد، وقصّة ذلك أنه في المرّة الأولى وعلى الأرجح حسب رواية صاحب مخطوط "درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" أنه في القرن 4 هـ حينما انكسرت دولة زناتة بالمغرب نتيجة للحروب فروا هاربين باتجاه القبلة وبعد ثلاثة عشر رحلة من سلجماسة نزلوا بأرض بودة بمحاذاة مجرى وادي ڤير بعدما استأنسوا الموضع، ثم جالوا شرقاً وغرباً في الصحراء فبنوا وغرسوا وصفت قصورهم على شفير مجرى الوادي ذاهبين قبلة إلى تمنطيط، فابتدوا بنيان قصر وجّ وودرار وبموسى وأَزَقّور و..."[3]، وقد عدّ حوالي 38 قصراً.

سُمِّيَ القصر أول الأمر بأَزَقّور وهي كلمة بربرية تطلق على الخشب[4]، وقد أطلقت هذه التسمية على القصر لأن بيوته كانت مبنية من جذور أشجار النخيل، وقد بنيت هذه البيوت في مجرى الوادي، فحدث أن عادت المياهُ للوادي من جديد جارفة معها ما اعترض سبيلها من بيوت وبساتين مما حذا بالسكان المنكوبين أن أصلحوا ما أفسده السيل، ليغيّروا اسم المكان من أزقّور إلى بوصلاح*، لكن الواد جرفه للمرّة الثانية فاتفق السكان على بناء منازلهم في مكان حصبن بعيدا عن مجرى الوادي فاهتدوا إلى مكان مرتفع عن ضفّة الوادي، وقد كان عبارة عن مجموعة من الحجارة المجتمعة المتراصة فيما بينها والتي تسمّى بالبربرية إضغاغن فبنوا فوقها بيوتهم، وأطلقوا على المكان اسم إضغاغن[5]، وقد لم يُتمكّن من العثور على تاريخ إنشائها في هذه المرة أيضا، إلا أن زمام فقارة

---

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي: المقابلة السابقة.

[2]. عبد الله الهلالي: زبدة الأخبار في ذكر ما في القطر المبارك و آثاره ومن فيه من قبور الزيارة من واد صالح إلى عين صالح، مخطوط بخزانة أدغا، إلاّ أنه تعرض للتلف بصورة كبيرة مما اضطر صاحب الخزانة إلى إعادة تسجيله بخط اليد في سجل خاص، حرصاً منه على عدم ضياع معلومات مهمة عن تاريخ توات ، وقد نقلت هذه المعلومة من هذا السجل، انظر الورقة الأولى من المخطوط في الملحق رقم02 ص395.

[3]. سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المخطوط السابق، ص. ص 5-6 .

[4]. السيد احمد عبد الكريم: المكالمة السابقة .

* . لم أعثر على تاريخ لذلك، وقد أصبح هذا المكان يُعرف بالرّوِيَة نظراً لأن الناس والإبل كانت تقصده للارتواء من نبع الماء الذي انبثق عن فقارة ماسيني.

[5]. على بن سيدي محمد بن سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: المرجع السابق، ص 6 .

أدغاغ عُثر عليه مزمما بتاريخ عام 413هـ/1022م وهذا دليل على أن قصر أدغاغ كان موجوداً قبل هذا التاريخ[1].أما برنارد صافروي فقد أعطى تاريخاً آخراً لتأسيس القصر وهو سنة 451هـ/1059م[2].

إضغاغن كلمة بربرية متداولة في اللهجتين الزناتية [3] والميزابية[4] وهي جمع تعريبها الحجارة ومفردها أضغاغ .

بقي القصر يحمل اسم إِضْغاغن إلى غاية وصول وفود عربية إلى المنطقة واستقرارهم بها رفقة سكانها البربر، ومع اختلاط اللسانين العربي والبربري وكنوع من التخفيف أبدلت الضاد دالا فأصبحت الكلمة إدغاغن ليحذف الحرف الأخير منها في مرحلة لاحقة وتستحيل إلى أدغاغ[5]، وظّل الاسم متداولا إلى أن احتلّ الفرنسيون المنطقة سنة 1317هـ/1900م وبنوا معسكراً لهم شمال القصر في فضاء واسع وأطلقوا على المكان اسم أدرار بعد تحريفه من أدغاغ، وقيل أن السبب في هذا التحريف هو وجود مدينة أدغاغ في مالي، وقد كان البريد الوارد الى القوات الفرنسية المعسكرة في توات يختلط مع البريد الوارد إلى القوات الفرنسية في أدغاغ المالية مما جعل القائد الفرنسي يحرّف كلمة أدغاغ إلى أدرار منعاً للّبْس، ومع ذلك بقي القصر العتيق يحمل اسم أدغاغ، ومع مرور الوقت وكنوع من التخفيف استحال الاسم في القرن العشرين إلى أدغا[6] .

وحسب المؤرخ الفرنسي مارتان فإن أصل التسمية يرجع إلى البلد الأصلي للشيخ حجّو مؤسس قصر أدغاغ في المرحلة الأخيرة وقد أطلق عليها اسم بلده القادم منه من الأزواد وهو بلد أدغاغ[7].

## 2. التأسيس:

تعاقب على استيطان القصر وتوسيع رقعته الجغرافية وتعميره عددا من القبائل فقد ورد في كتاب الواحات الصحراوية لمارتن أن مرابطا قدم من أدغاغ من الأزواد يدعى الشيخ حجّو أسّس قصر أدغاغ التواتي وأعطاه اسم بلده الأصلي القادم منه[8].

وقد أرخ ذلك برنارد صافروي بسنة 415هـ/ 1024م[9].وفي نفس الفترة أسس الشيخ حجّو زاوية سمّاها سمّاها باسمه "زاوية الشيخ حجّو" بجوار القصر، وقد كان قصر أدغاغ ثالث قصر من قصور عرش تيمي من حيث

[1] . عبد الله الهلالي: المخطوط السابق.

[2] .Bornard safhay: op.cit, p 3.

[3] . السيد احمد عبد الكريم: المقابلة السابقة.

[4]. السيد رمضان كمال: مسؤول الأسبوع الثقافي الميزابي بولاية أدرار الذي أقيم بدار الثقافة 2014م.

[5] . علي بن محمد سليماني: المرجع السابق ، ص 6 .

[6]. علي بن سيدي محمد بن سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: المقابلة السابقة.

[7] للمزيد انظر : .A G P Martin: les oasis saharienne, op.cit, P86.

[8] .A G P Martin: les oasis saharienne, op.cit ,P86.

[9]. Bernard saffroy: op.cit, p3.

التأسيس[1]. بعد قصري أقبور و أولاد عيسى أول قصور تيمي تأسيسا[2] ، وكان ذلك سنة 400هـ/ 1009م[3] . 1009م[3] .

ثم قدم الشيخ داوود من الهقار ونزل على الشيخ موسى بقصر أقبور ، ثم بنى قصراً له سماه قصر آيت اونڤال ( أولاد اونڤال) وكان ذلك رابع قصر من قصور تيمي من حيث التأسيس[4]، وكان ذلك في نفس الفترة مع مع تأسيس قصر أدغاغ حسب تأريخ برنارد صافروي. ثم قدم الشريف الإدريسي مولاي سليمان بن علي بن عمر من فاس فاستقبله سكان آيت عيسى ( أولاد عيسى) من تيمي بحرارة وقد زوجّه شيخ القصر ابنته فرزق منها خمسة أبناء عقّب منهم ثلاثة فقط وهم علي وعبد الحق وعيسى[5].

بنى مولاي سليمان قصراً سماه آيت أوشن واستوطن فيه ابنه عبد الحق فكان القصر الخامس من قصور تيمي[6]. وقد كان ذلك سنة 650هـ/1209م[7].

وبعد مماته انتقل ابنه علي من قصر أبيه وبنى قصرا سماه باسمه "آيت علي" (أولاد علي)، وكان ذلك القصر الخامس من قصور تيمي[8].

مولاي احمد بن مولاي علي بن مولاي سليمان ترك إخوانه في القصر الأبوي – أولاد علي- واتّجه للإقامة بزاوية أدغاغ حيث أصبح إماماّ للمسجد ، وفي هذا القصر بنى شارعاّ جديداّ سمّاه زڤاڤ الشهود [9] لازال لازال يحمل هذا الاسم إلى اليوم.

ثم جاء مرابط من غات سنة 966هـ/ 155م يدعى سيدي حمو سيد الحاج والكاد[10] واستقر بجوار الشيخ حجو بزاوية أدغاغ، وبعض العرب فعلوا مثل ذلك لأن الشيخ حجو كان ذائع الصيت، فقدموا من تبلبالة ومن مكناس فتوسعت الزاوية توسعاً كبيراً[11]. هذا الاستقرار نتج عن ثلاث شخصيات معتبرة: المؤسس الشيخ

[1] .A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, P86.
[2] .Ibid, p85.
[3] .Bernard saffroy: op.cit, p3.
[4] .A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, P86.
[5].Ibid, P86.
[6]. A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, P86.
[7]. Bernard saffroy: op.cit, p6.
[8] . A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, P87.
[9]. A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, p87.
[10]. Watin: op.cit, p226.
[11]. A G P Martin : les oasis saharienne, op.cit, P88.

حجو والمرابط سيدي حمو و مولاي احمد بن مولاي علي بن مولاي سليمان بن علي الذي كان قاضياً عادلاً فازدهرت الزاوية في عهده وأشرقت العلوم ووجد الضعفاء والفقراء فيها ملجأ لهم[1].

الأعراب الذين نزلوا أدغاغ هم: أولاد سيد العبوبي وهم عرب من تونس وأولاد بَلِّنْقَة وأصلهم من العراق، وأولاد الحاج العباس بن الحاج إبراهيم من ذوي منيع عرش أولاد عايد وأولاد مولاي الطيب شرفاء من أولاد مولاي علي وأولاد الحاج حنِّي من ذوي منيع عرش أولاد بلقيزي وأولاد الحاج بن الكبير وأولاد بن مبارك سنة 1099هـ/1688م[2]. هذا إضافة إلى أولاد المؤسسين الثلاث أولاد الشيخ حجّو وأولاد مولاي احمد بن مولاي علي وأولاد المرابط سيدي حمو سيد الحاج والكاد.

دون أن ننسَ أولاد عمي بلة الذين قدموا من تنيلان القديمة وأولاد الشيخ نصر الله (السي عبّو بن جيلالي) القادمين من أرض اليمن، وأولاد بوجمعة[3] .

قبيلة الشيخ حجو المؤسس لم يبق لها نسل وقبيلة الشيخ بوجمعة كان آخرهم الولي الصالح سيدي بوعلالة المتوفّى سنة 1221هـ/1806م، وأولاد الشيخ نصر الله انقرضت هي الأخرى، أما أولاد الشيخ بوجمعة فكان آخرهم أبا الصّالح الحَرَّة[4] المتوفى في سبعينيات القرن العشرين[5]، مع العلم أن لديه ابنا يسكن خارج القصر.

**ثانيا: عمران القصر:**

**1. التصميم والمكونات:**

- **التصميم العام للقصر:**

إذا ما نظرنا إلى المدن العربية الإسلامية وجدنا أن هناك ضوابط وشروط يجب مراعاتها في إنشاء هاته المدن وقد حدد المفكرون العرب هاته الضوابط في مؤلفاتهم، ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر العلامة ابن خلدون والعلامة ابن الربيع .

ومن بين الشروط والضوابط* التي حددها المفكرون العرب في إنشاء المدن نذكر:

1. الأمن بتوضع المدن في مكان ممتنع؛

---

[1]. Ibid, p88.

[2] .Watin: op.cit, p226.

[3]. مؤلف مجهول: تاريخ التمدن التواتي، مخطوط بخزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار.

[4]. علي بن سيدي محمد بن سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني الأدغاغي: تقييد خطي بخزانة أدغاغ (قيد فيه فيه مجموعة من المعلومات التي سمعها من والده أو جمعها من أوراق مخطوطة تعرضت للتلف والضياع).

[5].محمد بن الطيب بن عبد الله عبوبي الأدغاغي: مقابلة شخصية، ببيته بالقصبة السفلانية بقصر أدغاغ، يوم2014/01/01. يوم2014/01/01.

*. للمزيد حول هذه الضوابط والشروط: انظر، ص. ص 9 . 10.

2. سلامة الهواء؛

3. توفر الماء والمرعى؛

4. توفر المزارع القريبة من المدينة.

وعلى كل فالمدينة هي ذلك المجمع الحضري من بنايات وساحات والذي يلبي احتياجات ومتطلبات السكان من المأوى والعمل والراحة والخدمات[1].

بالنسبة لقصر أدغاغ فقد نشأ على طريق القوافل التجارية الرابطة بين الشمال والسودان الغربي وهذا ما دلّت عليه قوافل حميان وبني امحمد و الخنافسة القادمة من جهة الشمال وقوافل تجار توات الحنة و تيديكلت القادمة من السودان الغربي و من الأهقار.

وإذا ما تتبعنا الشروط التي أوردها المفكرون العرب في إنشاء المدن وعلى رأسهم ابن خلدون نجد أن قصر أدغاغ روعي في إنشائه تلك الضوابط والحدود؛ مما يؤهله لأن يكون مدينة إسلامية.

وفيما يلي سنتتبع العناصر المعمارية المكونة لقصر أدغاغ لندرك مدى تأثر المعماريين القصوريين بالفكر الإسلامي في إنشاء مدنهم وقراهم، وهذا لا يدل على أن قصر أدغاغ ظهر إلى الوجود بعد الفتح الإسلامي؛ و إنما كانت هذه المرحلة أخيرة من مراحل تعميره و إعادة بنائه بعد المراحل السابقة التي أوردناها آنفاً.

## 1- الأمن والسلام :

بني قصر أدغاغ على هضبة مرتفعة*بعيداً عن مجرى الوادي الذي جرف البيوت والمساكن في مراحل متقدمة، كما يسمح الارتفاع بالمراقبة الجيدة للمحيط الخارجي، وزيادة في المَنعة والحصانة أحيط القصر بخندق عميق كان خالياً من الماء إلا في فصل الشتاء يظهر فيه القليل من الماء لا يتعدى ارتفاعه بضع ملليمترات.

وقد كان الخندق محاطاً بجدار ارتفاعه حوالي 70 سم، بغية حماية الصغار من السقوط فيه، مع العلم أن كل قصبة من القصبات المكونة لعمران القصر والمذكورة آنفاً كان يحيط بها خندقاً من كل الجهات كل قصبة على حدة[2].

إضافة للخندق وزيادة لمستوى الحماية خاصة أن الفترة المدروسة شهدت حروباً وفتناً طائفية بين فئة يحمد بقيادة قصر أدغاغ وفئة سفيان بقيادة قصر بودة أحيط القصر بما يلي الخندق سوراً شديداً الارتفاع، أدرج بكل ركن من أركانه بُرجاً** مخروطي الشكل، كما احتوى السور على نوافذ ( شبابر )*** تسمح بإلقاء نظرة

[1]. محمد إسلام المدحجي، المرجع السابق، ص 11.

*. لازالت آثار هذه الهضبة ظاهرة للعيان في قصبة زڤاڤ الشهود، أنظر الملحق رقم 03 ص393.

[2]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة( من سكان زڤاڤ الشهود بقصر أدغاغ وشاهد عيان على هذه الهندسة المعمارية )، مقابلة شخصية، ببيته بزڤاڤ الشهود بقصر أدغاغ، يوم 23 /2014/07 م.

**. انظر الملحق رقم 03 ص396.

بعيدة المدى عن الفضاء الخارجي الذي يلي السور مما يؤهل القصر لأن يكون ذا منعة وحصانة من أي اعتداء خارجي. ضم السور مدخلين؛ واحداً من جهة الشمال و الآخر من جهة الجنوب، أما المدخل الجنوبي فكان المدخل الرئيسي، ويسمى "باب فم القصر"، تكثر عنده الحركة لكونه يطلُّ على بساتين القصر الواقعة على مشارفه. سُدَّ المدخل بباب خشبي صنع من جذوع النخيل ( القْشَبْ باللهجة التواتية )، وقد كان كبيراً جداً يتكون من جزء واحد وله مفتاح خشبي كبير مصنوع من اللوح، يغلق الباب بطريقة آفكر المتخذة في قصور توات، أما المدخل الشمالي فكان بمحاذاة القصبة الجديدة، وله باب بنفس مواصفات الباب الجنوبي( باب فم القصر )، لكن الحركة تكاد تنعدم عنده.

يفتح كل باب في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس ويغلق في الليل بعد انقطاع الحركة ويحرسه حارس طيلة اليوم حتى بعد إغلاقه ليعوضه حارساً آخر في اليوم الموالي وهكذا دواليك[1].

2- **سلامة الهواء:** سعى المعماري القصوري لتوفير الراحة البدنية والنفسية للسكان، ولا يتأتى ذلك إلا باختيار موقع مناسب يتوفر على الارتفاع والماء والاخضرار، وهذا ما يتوفر عليه قصر أدغاغ، فبالإضافة إلى كونه أُسِّسَ بنيانه على هضبة صخرية، وتوفر المياه الصالحة للشرب بالمنطقة أُحيط القصر بالبساتين التي اتخذها الساكنة مصدر رزق لهم من خلال زراعتها والانتفاع بمحاصيلها، كما كانت مصدر الهواء المنعش الملطف للأجواء في هذا الإقليم المناخي الصحراوي الجاف المتطرف، وزيادة على ذلك فقد اعتمد المعماري على عناصر بيئته الطبيعية في بناء منشآته من طين ورمل وخشب وحجارة، وكذا اعتماده تصميمات هندسية عامة وخاصة تُلائم الظروف المناخية للمنطقة وتصون حرمة البيوت التي دعا إليها الإسلام.

### 3- المياه الصالحة للشرب والسقي:

بُني قصر أدغاغ في موضع يتوفر على المياه الصالحة للشرب والتي تكفي للساكنة، والدليل على ذلك هو الفقاقير التي كانت تابعة له وقد كانت عدّتها ستة فقاقير، واحدة مارة في وسط القصر تفصل بين زقاق الشهود و زقاق اِخْلَفْ من جهة الغرب، و قد كان يتزود منها السكان في أعمالهم اليومية من شرب ونظافة وغير ذلك. ومنها ما كانت على مشارف القصر يتخذ الفلاحون مياهها لسقي بساتينهم المحيطة بالقصر كفقارة ماسيني و فقارة ضاهر وفقارة أولاد عثمان وفقارة مكناس وفقارة تَغْجَمْت*.

*** . انظر الملحق رقم 04 ص397.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة( من سكان زقاق الشهود وساهد عيان على هذه الهندسة المعمارية للقصر) مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 20 /07 / 2014 م.

*. محمد بن أحمد الحبيب بن محمد الصافي بن عبد الرحمن، جريدة فقاقير قصر أدغاغ: وثيقة بخزانة أدغاغ مؤرخة بسنة 1962، بلدية ادرار، ولاية ادرار.

استمرت هاته الفقاقير تزود الساكنة بالماء الموّجه للشرب أو للسقي قروناً من الزمن و قد عكف السكان على صيانتها والحفاظ عليها دورياً باعتبارها الخزان الوحيد الذي يزود المنطقة بالماء مع علمهم بانعدام التساقط فيها.

**4 . المزارع القريبة من المدينة:**

بني قصر أدغاغ كما أسلفنا في مكان تحيط به الأراضي الصالحة للزراعة من كل الجوانب، حيث اتخذ السكان هذه الأراضي بساتين لهم فغرسوا النخيل ومختلف أنواع المزروعات المعاشية خاصة وأن الزراعة كانت مصدر رزق أساسي لهم.

- **المكونات الأساسية لعمران القصر:**

يعتبر قصر أدغاغ من أكبر قصور توات مساحة وكثافة سكانية، كان يسمى القاهرة لأن جميع قصور توات التي كانت تزيد على 400 قصر يوجد منها عائلة أو فرد في قصر أدغاغ، وهو القصر الوحيد الذي كانت به أربع قصبات في القرن التاسع الهجري ثم اتسعت إلى ثماني قصبات و أزيد في القرنين اللاحقين، هاته القصبات سكنتها قبائل ساهمت في تعمير القصر مما سيحتم الحديث عن سكان قصر أدغاغ ضمن هذا العنصر.

1) **قصبة زقاق مكناس***: بناها الشيخ حجّو لكن نسله انقرض وسكنها بعده أولاد باحنّي المعروفين اليوم بأولاد البلقيزي[1]. الذين لا زالوا يسكنوها إلى اليوم، مع العلم أن زقاق مكناس سمي بهذا الاسم نسبة لمرور فقارة مكناس به.

2) **قصبة زقاق الشهود****: بناها الشيخ مولاي احمد بن مولاي علي بن مولاي سليمان بن علي، وقد تأسست بها زاوية سنة 780هـ/1378م، ولازال أحفاد مولاي أحمد يسكنون قصبة زقاق الشهود إلى اليوم ويحملون لقب سليماني. كما نزل بها أولاد مولاي عبد الرحمن قادمين من المستور وكان ذلك في القرن 11هـ/17م، وكان أولهم سيدي محمد بن هاشم و قد عرفوا فيما بعد بلقب بن هاشم[2].

3) **قصبة زقاق اِخْلَف*****: سميت باسم الفقارة المارة بمحاذاتها، بناها المرابط القادم من غات سيدي حمو[3]، وقد سكنها أولاده من بعده خاصة فرع أولاد حمّاوي****** الذين استمروا في القصبة إلى غاية الجد

---

*. أنظر صورا عن بعض ممرات قصبة زقاق مكناس في الملحق رقم04 ص397.

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: التقييد السابق، خزانة أدغاغ.

**. انظر صورا عن بعض ممرات قصبة زقاق الشهود في الملحق رقم04 ص 397.

[2]. سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن: القبائل التي عمرت قصور تيمي، مخطوط بخزانة أدغاغ، بلدية ادرار، ولاية ادرار.

***. انظر صورا عن بعض ممرات قصبة زقاق اِخْلَفْ في الملحق رقم04 ص397.

[3]. علي بن سيدي محمد بن سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: التقييد السابق، خزانة ادغاغ.

الحاج عبد الكريم الذي كانت له قصة مع القايد الحاج عبد الرحمن، مفادها أن القايد طلب يد ابنة الحاج عبد الكريم لابن أخيه فرفض طلبه، فحزّ ذلك في نفس القايد، فأمر عبيده بأن يغرقوا قصبة زقاق اِخْلَفْ بالماء، ففعلوا ذلك ذات ليلة بأن قاموا بفتح مواجل الماء المتواجدة ببساتين القايد الواقعة بمحاذاة قصبة زقاقْ اِخْلَفْ ليستيقظ سكان القصبة في الصباح والمياه قد غمرت منازلهم، فما كان من الحاج عبد الكريم إلى أن ترك القصبة ورحل عنها ليسكن على مشارف قصر أدغاغ ثم يبني قصبته التي سميت باسمه **قصبة الحاج عبد الكريم** المعروفة اليوم باسم **تَامْثَرْتْ**[1]. مع العلم أن ابنه المسمى كروم عاد إلى قصبة أبيه بعد فترة من الزمن وسكن فيها ولا زال أحفاده بها إلى اليوم[2].

4) **قصبة زقاق الظلمة***: بناها أحد أبناء الشيخ سيدي حمو وهي تقع بمحاذاة زقاق اِخْلَفْ من جهة الغرب ومحاذاة زقاق الشهود من جهة الشمال، وقد سكنها فرع من أولاد سيدي حمو وهم أولاد طيبي وأولاد يوسفي.

5) **القصبة السفلانية****: التي سكنتها قبيلة الشيخ بَلِّنْقَة، ثم أولاد عمي بَلَّة ثم أولاد بوجمعة، ثم أولاد الشيخ نصر الله ( السي عبُّو بن الجيلالي ) الذي كانت له قصّة مع سكان هذه القصبة، فيروى أن بعض سكان قصر أدغاغ كانوا يَبْنُونَ بالنهار وفي الليل يُهدم ما بنوه ليستيقظوا صباحاً وقد أصبح بنيانهم ركاماً، واستمروا على هذه الحال فترة من الزمن دون معرفتهم السبب، إلى أن قدم الشيخ السي عبّو بن جيلالي من أرض اليمن ونزل ضيفاً بالقصر، فسمع بما يحدث في القصبة فطلب من مالكيها أن يبيعوها له ففعلوا ،ثم قصد الموضع وبدأ التفاوض مع ساكنيها من الجن حول مطالبهم فأخبروه بأن هذا المكان هو مستقرهم منذ فترة ولن يتنازلوا عنه مهما كان الثمن، فأخبرهم بأنه المالك الجديد ولن يتوانى عن السكن فيه وما عليهم سوى اختيار موضع لهم في القصبة يكون مستقراً لهم ولن ينازعهم عليه أحد، فاختاروا الأبراج الأربعة للقصبة فكان لهم ذلك، و هكذا تمكن الشيخ عبو بن الجيلالي من البناء والسكن فيها دون مشاكل، وبعد فترة من الزمن قدم أولاد العبوبي من تونس إلى

****. أولاد سيدي حمو تفرعوا إلى خمس فروع هي: حماوي؛ طيبي؛ كبير؛ يوسفي؛ الحر.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصرأدغاغ، يوم 20 /07/ 2014م.

[2]. الحاج عبد الكريم بن الحاج البركة بن محمد بن عبد الله، حفيد الحاج عبد الكريم مؤسس قصبة تامثرت: مقابلة شخصية، ببيته بقصبة تامثرت بقصر أدغاغ، يوم 26 /2014/03م .

*. نظر صورا عن بعض ممرات قصبة زقاق الظلمة في الملحق رقم05 ص398.

**. انظر صورا عن بعض ممرات القصبة السفلانية في الملحق رقم05 ص 398.

قصر أدغاغ ونزلوا ضيوفا على الشيخ السي عبو بن جيلالي في قصبته وما لبثوا أن اشتروها منه بعدما قرر الرجوع إلى بلده ، فكان أولاد العبوبي آخر من سكن القصبة السفلانية[1] وهم يحملون لقب عبوبي .

6) **القصبة القديمة***: بناها أولاد الحاج العباس عام 1102هـ وكانت تسمى قصبة الحاج محمد الكبير ولازال أحفاده يسكنوها ويلقبون بالعايدي .

7) **القصبة الجديدة****: بناها ابن أخ الحاج محمد الكبير المسمى الحاج محمد الصغير وكان ذلك سنة 1161 هـ ولازال أحفاده بها إلى اليوم ويلقبون بالعايدي .

8) **قصبة القايد:** بنيت سنة 1262هـ من طرف الحاج عبد الرحمن بن الحاج لحسن و قد بنيت في الفضاء الواسع الواقع على بعد 3 كلم تقريباً من مركز قصر أدغاغ ، ولازالت إلى اليوم تحمل نفس الاسم ويسكنها أحفاد القايد الحاج عبد الرحمان المعروف بالقايد موحاد رحمان ولقبهم العايدي.

9) **عرف بلحاج:** يتموقع في الجهة الجنوبية من قصر أدغاغ بين بساتين القصر، عمرته قبيلة قراوة القادمة من الواتة بداية القرن 12هـ/18م وقد لقبت لاحقا بلقب بلحاج.

إضافة إلى هذه القصبات توجد **قصبة الحاج عبد الكريم** (**قصبة تَامْثَرْتْ**) المذكورة سلفا، و **قصبة دار الشرفاء*****  التي كانت ملكا للشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر وباعها للشيخ مولاي الطيب بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي الحسان القادم من تافلالت جد الولي الصالح مولاي علي الشريف ( ما زال أحفاده يسكنوها إلى اليوم). وقد تمت عملية البيع إثر الحادثة التي وقعت بين الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بَعُمَرْ والقايد الحاج محمد الكبير، بعد أن رفض الأخير تنفيذ حكم القصاص في ابنه القاتل[2]. وكذلك **زقاق بلبالة** الذي سكنته قبيلة البلباليين القادمين من تبلبالة (واد الساورة) وقبلها تافلالت حيث سمي باسم بلدهم القادمين منه، رغم أنه كان محطة لهم فقط قبل مغادرتهم إلى أطراف تيمي أين أسسوا قصر ملوكة******ثم توافد على القصر في

[1]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير، حفيدة الشيخ السي عبّو بن جيلالي ( جد أمها ): مقابلة معها بيت ابنها بقصر أدغاغ يوم 2014/07/14 م.

*. أنظر صورا عن بعض ممرات القصبة القديمة في الملحق رقم05 ص398.

**. أنظر صورا عن بعض ممرات القصبة الجديدة في الملحق رقم 05 ص398.

***. انظر صورا عن بعض ممرات قصبة دار الشرفاء في الملحق رقم 06 ص399.

[2] . لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: مقابلة معها بقصبة مولاي علي الشريف (دار الشرفاء) بقصر أدغاغ يوم 2014/07/16م.

****. انظر الملحق رقم 02 ص395.

مراحل متقدمة أعراب من مشارب شتى من حراطين و أحرار وشرفاء ومرابطين***** استوطنوا القصر وعاشوا متآلفين فيما بينهم يخدم بعضهم بعضا، من بين هؤلاء الأعراب نذكر:

• **الحراطين**: قدموا إلى القصر كخدم لدى العائلات ذات الحسب والنسب أو كحرفيين في حرفة الحلي ؛حرفة الأخشاب؛ حرفة السلالة؛ حرفة الفخار؛ حرفة نقش الحجارة (صناعة الرحي) و مزارعين في بساتين الأسياد. من بين هؤلاء نذكر:

⋆. أولاد صدوق قدم جدهم إلى القصر بصفته عبدا لمولاي أحمد بن مولاي علي بن مولاي سليمان بن علي في القرن 9هـ/ 15م؛

⋆. أولاد عبد العالي وقد قدموا إلى أدغاغ من قصر تنيلان القديمة سنة 909هـ/ 1503م؛

⋆. أولاد البخاري الذين نزلوا بأدغاغ سنة 1003هـ/ 1594م قادمين من قصر تنيلان القديمة؛

⋆. أولاد حنين قدموا من بودة سنة 1093هـ/ 1682م؛

⋆. أولاد دحماني نزلوا بأدغاغ سنة 1102هـ/ 1690م قادمين من العبادلة بواد الساورة؛

⋆. أولاد بن دابة قدموا من قصر تسفاوت سنة 1192هـ/ 1778م؛

⋆. أولاد حالة نزلوا بأدغاغ قادمين من قصر أنزجمير سنة 1213هـ/ 1798م؛

⋆. أولاد بوقلقولة قدموا من قصر تنيلان القديمة، وأولاد حيدة قدموا من قصر لحمر وغيرهم من القبائل التي توافدت لاحقا.

• **الشرفاء:**

⋆. أولاد مولاي الطاهر الذين قدموا من قصر تاخفيفت سنة 1193هـ/ 1779م، وهم يحملون لقب طاهري؛

⋆. أولاد مولاي أحمد الماصو نزلوا بقصر أدغاغ قادمين من قصر تبركانت سنة 1220هـ/ 1805م، وهم يحملون لقب عوماري.

وقد عثرت على وثيقة بخزانة أدغاغ* موقعة باسم القايد محمد الحسان ذكر فيها أن عدد سكان قصر أدغاغ 971 نفسا وكان ذلك قبل سنة 1940 حيث في هذه السنة تم عزل القايد وتعيين القايد الحاج عبد القادر بن سيدي حمو[1].

*****. انظر الملحق رقم 10 ص403.

*. انظر الملحق رقم23 ص417.

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

## 2. منشآت القصر:

بالنظر لشروط بناء المدن التي حددها علماء الفكر الإسلامي نجد أن القصر قد روعي في تشييده هاته الشروط التي سوف تكتمل وتتحدد معالمها وضوابطها من خلال المرافق الدينية والمدنية التي كونت النظام المعماري للقصر.

- **المنشآت الدينية:**

*. **المسجد:**

يعتبر المسجد أولى المرافق التي تبنى داخل المدن الإسلامية، تؤدى فيه الصلوات الخمس، وينظر فيه للشؤون العامة الدنيوية للسكان .

كان يتواجد بقصر أدغاغ في فترة الدراسة مسجد واحد، تموقع عند مدخل فم القصر من جهة اليمين, تربطه عدة شوارع رئيسية مع مختلف التجمعات السكنية المكونة للقصر من قصبات وأزقة.

كان المسجد يتربع على مساحة متوسطة تكفي لجميع المصلين. وقد ضم عدداً من الملحقات التابعة له، فنجد المدخل باتجاه القبلة، و بمجرد دخولك يعترض طريقك رواق يفصل بين ملحقات المسجد، توضَّع في بدايته الكتّاب التابع للمسجد و الذي كان يضطلع بمهمة التعليم للصغار والكبار، الذكور والإناث على حد السواء ، يتكون الكتّاب من سقيفة ورحبة ومراحيض.

السقيفة مخصصة للتدريس في وقت الصباح والرحبة في المساء والليل، أما المراحيض فكانت تتواجد في الرحبة، مع وجود مراحيض للإناث وأخرى للذكور، وحرصاً على نظافة الكتّاب فقد كانت تنظف هاته المراحيض كل أربعاء من طرف تلاميذ الكتّاب، حيث تقوم البنات بكنس السقيفة والرحبة و وضع الرمل المتسخ الناتج عن عملية التنظيف في المراحيض، أما الصبيان فقد كانت مهمتهم إحضار الطوب من المكان المسمّى بالرّملية وتفتيته إلى قطع صغيرة ووضعه قرب المراحيض ليستعمل في عملية الاستبراء والتنظيف مع عدم إمكانية استعمال الماء في المراحيض التقليدية و الذي يزيد من انتشار الروائح الكريهة[1]. وفي آخر الرواق بنيت سقيفة سميت بالمطهرة استعملت للوضوء الأكبر والأصغر، تحتوي المطهرة على بئر لتوفير الماء، يفصل بينه وبين المكان المخصص للوضوء جدار متوسط الطول، كما تتوفر المطهرة على الأثاث المتمثل في: آنيات لغرف الماء و صطل كبير لتسخين الماء في فصل الشتاء مشدود بسلسلة من حديد متصلة بالسقف، تنزل السلسلة عند تسخين الماء ثم ترفع عند الانتهاء؛ ويقوم بذلك أول المصلين القادمين إلى المسجد. أما الحطب المستعمل في عملية التسخين فقد كان يجلبه السكان؛

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيد محمد البركة، المقابلة السابقة.

فكل من كان عائداً من بستانه يترك عود حطب في موضع معروف ومخصص لذلك قرب المسجد في المكان المسمّى "بَنْ حِبُّو"، وفي المساء يجمعه أحد المصلين و يضعه في سقيفة الوضوء التابعة للمسجد[1].

يطل الرواق على ساحة واسعة مكشوفة تؤدي إلى قاعة الصلاة المزينة بالأقواس والمشتملة على فتحات للتهوية[2]. عند مدخل باب المسجد على يمينه ويساره نصب ما يعرف محلياً بالدَّكّانة؛ وهي عبارة عن مصطبات كانت تستعمل للراحة والجلوس للمسامرة قبل و بعد أوقات الصلاة، والأهم من هذا أو ذاك هو استعمالها من طرف الضيف القادم إلى القصر حيث يجلس عليها ليراه من كانت نوبته في إكرام الضيف والمسمى بضيف الجامع.

- **المنشآت المدنية:**

*. **المسالك والممّرات:** تسمى محلياً بـ "الزّْقاقْ"؛ وهي على نوعين مسالك رئيسية تربط الداخل بالخارج وتؤدي إلى الأماكن العامة كالمسجد والرحبات والقصبات والمقابر والأسواق وأماكن تواجد الدكاكين، ومسالك فرعية تؤَدي إلى البيوت، وربما كانت هذه الميزة حسنة اعتمدها المهندس المعماري المحلي لعزل وصيانة حرمات البيوت عن العامة خاصة وأن ربات البيوت اتّخذت من المساحات المتواجدة قرب منازلهن متنفساً لهن يمارسن فيه معظم أعمالهنّ من غزل ونسيج وطحين وغيرها؛ بحثاً عن المؤانسة وتشجيع بعضهن البعض بترديد الأهازيج والمدائح الدينية المحلية التي تنسيهن التعب ومشقة الجهد، خاصة وأن الرجال منهمكين في أعمالهم الفلاحية في البساتين المتواجدة على أطراف القصر والتي لا يعودون منها إلا مع وقت الظهيرة أو وقت العصر.

تتميز شوارع القصر بالضيق والتعرج مما يجعلها أقل عرضة لأشعة الشمس كما أن هذه الميزة تجعل المار فيها لا يشعر بالملل نظراً لطولها وهو يتجول فيها، كما أن هذه الميزة تعيق حركة المتسلل إليها وتجعله تائهاً بين ممراتها، ضف إلى هذا فقد روعي في تنفيذ هذه المسالك الحماية من الظواهر الطبيعية كالرياح والحرارة والأمطار ولذلك اعتمد تسقيف هذه الممرات في بعض الأحيان بشكل كامل كما هو الحال في قصبة زقاق الظلمة والقصبة السفلانية، وفي أحيان أخرى بشكل جزئي كما في زقاق الشهود*.

*. **المنازل** : صممت منازل القصر على نحو بسيط جداً نظراً للمساحة الصغيرة المخصصة لكل منزل، فبمجرد دخولك من الباب تجد صحن الدار المسمّى محلياً بـ "السّْوَارِي" نسبة إلى الساريتين المنتصبتين الحاملتين للقوس الذي يزين الصحن، يعتبر الصحن محور المنزل، فيحتوي على غرفة النوم الخاصة بالوالدين كما يوجد به

[1]. الحاجة عائشة امباركة بنت الصالح بلكبير( من سكان القصبة السفلانية المحاذية للمسجد، وشاهد عيان على هذه الهندسة المعمارية )، مقابلة شخصية، ببيت ابنها بقصر أدغاغ، يوم 28 / 08 / 2014 .

[2]. الحاجة عائشة امباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

*. انظر الملحق رقم06 ص399.

السلم المؤدي إلى السطح والذي خصص أسفل منه للحمام المسمّى محلياً بـ "الَمْطَهْرَة"، كما يعترض الصحن قوسا أو قوسين حسب مساحة المنزل يزين الدار ويعبر عن فن من فنون الهندسة المعمارية الإسلامية*.

يوجد في الصحن مكان يشبه الزاوية القائمة، يتشكل بداية من مدخل الدار ويتجه إلى الزاوية المقابلة ثم ينعطف عن الزاوية القائمة، يتشكل بداية من مدخل الدار ويتجه إلى الزاوية المقابلة لها، يسمى هذا التصميم بالرَّوْغَة، يستعمل ركن الروغة الداخلي للنوم في فصل الشتاء أما الركن الآخر فيسمّى المنصب نسبة لاحتوائه على عدد من المناصب المعَدَّة لعملية الطبخ، كما يوجد بجانب المناصب رزم الحطب.

فتحت في السقف فتحة تسمى محلياً "عين الدار"**؛ مهمتها التهوية والإضاءة النهارية وكذا التخفيف من حدة الدخان الناتج عن عملية الطبخ والتدفئة في فصل الشتاء، أما الركن المقابل للمَنْصَبْ فهو المكان المخصص لنوم الصغار.

يطل صحن الدار على مساحة معرّاة تسمى الرَّحبة؛ والتي تؤمن الضوء والتهوية لغرف المنزل، كما تساعد على تنظيم الحرارة داخل المنزل؛ حيث أن تجمع الهواء البارد طول الليل يؤدي إلى توفير قدر من البرودة أثناء النهار. وبفضل هذا الفناء أيضا اجتذب المهندس المحلي الفضاء الخارجي ليكتفِ به أهل الدار عن البيئة الخارجية بنسمات الهواء أثناء الصيف وبأشعة الشمس خلال الشتاء[1].

يوجد في الرحبة زريبة الحيوانات المسمّاة محلياً "رحبة الشياه" أو "تَقْمَّي***" والتي تتكون من جزأين؛ جزء مغطى لحماية الحيوانات من برد الشتاء وحر الصيف، وجزء معرّى للاستمتاع بحرارة الشمس في فصل الشتاء و نسيم الهواء في فصل الصيف.

إضافة إلى هذا يضم كل منزل بئراً للشرب يتواجد في الرَّحبة أو في صحن الدار.

و نظراً للحرارة المفرطة التي يعاني منها الإقليم التواتي في فصل كان لزاماً على كل منزل أن يضم السطح الممثل للطبقة العلوية للمنزل والذي تستغل مساحته في فصل الصيف للنوم ليلاً، حتى أن المطبخ في هذا الفصل يتحول إلى السطح .

يوجد في السطح بيت الخلاء والذي يكون في زاوية من زوايا السطح، يستخدم فيه قطع الطوب للإستبراء بدل الماء الذي يؤدي إلى انتشار الروائح الكريهة، كما يعمد أهل المنزل إلى رش الفضلات بالتراب بين الفينة والأخرى منعاً للرائحة الكريهة في انتظار موسم الحرث –شهر توبر– الذي ينظف فيه المرحاض بنقل فضلاته إلى البساتين لاستخدامها ذبالاً و أسمدة عضوية للنباتات حيث يتم ذلك باستعمال الحمير.

---

*. انظر الملحق رقم 07 ص400.

**. انظر الملحق نفسه.

1. أحمد ابا الصافي جعفري: المرجع السابق، ص7.

***. تقْمَّي كلمة أمازيغية معناها الدار.

كما يوجد على السطح عادة المخزن الخاص بالمؤونة، والذي يتخذ فيه موضع يسمّى "أَوَشْتُو" يخصص لتخزين التمر المستعمل يومياً، حيث يعمد إلى تسقيف جزء من المخزن يكون على ارتفاع متر من مستوى السطح و يفرش بالجريد ثم ينشر فوقه التمر بعد جنيه بعيداً عن الحرارة والرطوبة و الحشرات.

وإذا ما أردنا معرفة مواد البناء المستعملة في القصور التواتية فهي مواد مستمدة من البيئة المحيطة بالساكنة؛ فهي الطين والرمل ومشتقات النخلة من أخشاب الجذع والليف والكرناف والجريد.

تستعمل الطين لصنع اللبنات حيث يتم خلطها مع الرمل وتكوين كومة من الخليط ثم إقامة فتحة كبيرة في الوسط وصب الماء داخلها ثم عجنها باستعمال الأرجل، ليتم بعد ذلك صنع اللبنات (الطوب) باستعمال قالب حديدي مستطيل الشكل يفرغ فيه كمية من الطين ثم تسوى باستعمال الأيدي وينزع القالب مشكلاً لبنة ذات شكل مستطيل تترك لتجف في الشمس عدة أيام قبل استخدامها في عملية البناء، حيث تستعمل في بناء الجدران بكيفية معينة ( توضع لبنتان بشكل عمودي وأخرى بشكل أفقي وهكذا إلى أن يكتمل الجدار ).

في عملية التسقيف تُستعمل الأخشاب المعدة من جذوع النخيل، حيث يتحدد عرض الغرفة بطول الأخشاب الذي لا يتجاوز غالباً المترين ونصف، إضافة إلى الأخشاب يستعمل الكرناف الذي يرتب بين كل خشبتين بالترتيب الواحدة تلو الأخرى، وفي حالة وجود فراغات تسد باستعمال الألياف ( الفدام )، وكما يمكن استعمال عصي الجريد بين الأخشاب بدل الكرناف ثم ينشر فوقها الجريد الأخضر وأخيراً وضع المِلاط ( عجينة الطين )، أو يستعمل الكرناف والعصي مع بعض*.

تصقل الجدران بمعجون التراب مع الطين ( الملاط ) ولكنه يكون مختلفاً عن الملاط المعد في عملية تلبيس السطح، حيث تكون نسبة الطين في الأول أقل منه في الثاني .

تكون الجدران عادة ملساء خالية من أي زخرفات ومن الألوان عدا الجير الذي يعطي اللون الأبيض والذي يستحيل أسوداً بفعل دخان الطبخ**.

يوجد على مستوى كل جدار داخلي حفرة مثلثة الشكل*** ومسدودة من الجهة الأخرى تستعمل لوضع مشكاة الإنارة المعروفة محلياً باسم الكَانكي.

الجدران الداخلية والخارجية تكون صماء لا توجد بها فتحات في العادة ما عدا الأبواب، وإن وجدت فتكون ضيقة ذات شكل مستطيل أو تكون في أعلى الجدار، وهي معدة للإضاءة والتهوية.

الجدران الخارجية تصقل بالملاط أيضاً لكن تُزَيَنْ بتهشيرات**** متوازية باستعمال أصابع اليد.

---

*.انظر الملحق رقم08 ص 401.

**.انظر الملحق نفسه.

***.انظر الملحق نفسه.

****.نظر الملحق نفسه.

ما يلاحظ على عمارة القصور التواتية هو تراص البنيان وتضامه كالكتلة الواحدة مع اعتماد نفس مستوى العلو لكل مساكن القصر حفاظاً على حرمة المنازل، فلا يَعْلُ سطح منزل على آخر ولا جدران على غيره ولا تطل نوافذ بيت على بيت أوسطح آخر.

*.**المخازن:**

بما أن النشاط الإقتصادي الأساسي للسكان كان الزراعة ، فقد اتّخذ معظمهم مخازن خارج بيوتهم عادة تسمى "الميشار"، تخزّن فيها المحاصيل الزراعية من زرع و تمر وغيرها[1].

*.**المرافق العامة:** تواجد بقصر أدغاغ مرافق عامة حرصت على نظافة القصر و على التكفل بالغرباء وعابري السبيل والفقراء والمساكين؛ من بين هاته المرافق نجد:

⋆**المراحيض العمومية***: تسمى محليا باسم الكَنِيفْ** انتشرت في قصر أدغاغ في فترة الدراسة ظاهرة المراحيض العمومية ، حيث عمد عدداً من فلاحي القصر على بناء مراحيض في أطراف عدة من القصر؛ والهدف من ذلك كله هو حرص الأهالي على نظافة القصر من جهة واستغلال رجيع الإنسان في تسميد النباتات من جهة أخرى، خاصة وأن عدد الأهالي كان قليلا جداً؛ فرجيع أهالي الدار الواحدة لا يكف لتسميد بستان أو عدد من البساتين التي يملكها الفلاح الواحد وبالتالي كان لزاما بناء مراحيض عمومية ملكاً لأشخاص معينين يستغلون فضلاتها في تسميد البساتين.

لقد كان للمراحيض أهمية كبرى في القصر في فترة الدراسة؛ نظراً لكون التربة الزراعية الصحراوية تربة رملية نفوذة للماء وبحاجة لأملاح معدنية ومواد عضوية لزيادة خصوبتها؛ لذلك ظهرت الحاجة الماسة لبناء مراحيض عمومية يستغلها المارة والضيوف الوافدين على القصر خاصة في مواسم الزيارات و المناسبات كالأعراس. وما يؤكد هذه الأهمية البالغة لفضلات الإنسان والحيوان على حد السواء في فترة الدراسة هو أنّ كراء المنازل كان مقابل الفضلات فالمنزل الكبير أجرته 100 غرارة*** ذبال والمنزل الصغير 50 غرارة ذبال سنوياً تقدم لصاحب المنزل في موسم توبر وهو موسم الحرث[2].

[1]. تمت عملية الوصف عن طريق المعاينة الميدانية مع تقديم شروحات من طرف السكان.

*. هذا ما دلت عليه عدداً من الوثائق التي عثرت عليها في خزانة أدغاغ ، للمزيد: انظر الملحق رقم 23 ص416.

**. الكَنيفُ كلمة عربية فصيحة من الفعل: كَنَفَ، والكنيف هو الساتر لذلك سمي بيت الخلاء كنيفا، جمعه كُنُف. للمزيد ينظر ابن منظور، المصدر السابق، ج 09، ص ص: 309، 310 و ج06، ص286.

***. الغرارة هي الأداة المصنوعة من ليف النخيل والمستخدمة في نقل الذبال والرمال على ظهر الدواب.

[2]. الحاجة امباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة .

*. **دار الزاوية**:هي دار للضيافة بنيت في مدخل القصر فكانت أول ما يستقبل الزائر للقصر من العمران بعد المسجد.

دار الزاوية تواجدت بالقصر منذ مؤسسه الأول الشيخ حجّو؛ الذي بنى زاوية إلى جوار القصر سماها باسمه حسب ما أورده المؤرخ الفرنسي مارتن، وما هذه الزاوية إلا زاوية الإطعام التي بناها لاستقبال و إطعام الضيوف وعابري السبيل الوافدين على القصر، وقد حبس عليها عدداً من البساتين تمولها وتزودها بالمؤونة من تمر وزرع وعلف للدواب. وقد استمرت هذه الزاوية تقدم خدماتها لقرون من الزمن مع زيادة في عدد أوقافها التي تمولها والتي ساهم فيها عدداً من أعيان القصر على فترات متعاقبة.

احتوت دار الزاوية على غرف لاستقبال الضيوف؛ وعلى اصطبلات لدوابهم، وعلى غرف خاصة استعملها بعض حرفيو القصر كدكاكين يمارسون فيها حرفهم؛ فكان فيها الجزار والحداد وصانع الحلي وصانع الأحذية والنجار والخياط .

وكان لدار الزاوية مخزناً تجمع فيه محاصيل الأوقاف التابعة لها يقوم على أمره مسؤول وهو المكلف باستقبال المحاصيل الزراعية وصرف مؤونة الضيوف اليومية* .

لقد استمرت دار الزاوية تقدم خدماتها للزائرين و المعوزين من سكان القصر قروناً من الزمن إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية حيث خافت السلطات العسكرية من استغلال دار الزاوية لصالح الثورة فقامت بمراقبتها وتضييق الخناق على مسؤوليها و على أوقافها، مما جعلها تنحرف عن أداء مهامها الخيرية، وشيئا شيئا مع تغير الأحوال بعد الاستقلال وتطور الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و ظهور تغييرات على مستوى جميع الميادين أُلْغِيَتْ مهام دار الزاوية وألحقت ممتلكاتها بالمسجد العتيق بأدغاغ[1].

*.**الرَّحبات** : وهي الساحات العامة المنتشرة داخل القصر وقد كانت في معظمها عبارة عن نقطة التقاء المسالك و الممرات، كما كانت المجال الملائم لقيام معظم النشاطات الاجتماعية والثقافية؛ كإحياء الأفراح و الزيارات و ممارسة الألعاب الجماعية والأهازيج الفلكلورية، كما كانت مجلسا لأعيان القصر يجتمعون فيه لمناقشة القضايا المختلفة وحل النزاعات والخصومات الواقعة بين السكان[2].

من بين الرَّحبات المتواجدة بقصر أدغاغ وقد كانت تضطلع بالمهام المذكورة آنفاً نذكر :

*. للمزيد: انظر ص 237 وما بعدها.

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ يوم 2014/03/21.

[2]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيته بزقاق الشهود بقصر أدغاغ يوم 2014/03/14.

. **رحبة سيدي حوتي اخلف** : وهي ساحة تقع على مشارف القصر بمحاذاة الطريق المؤدي إلى بساتين القصر والتي تمر منه فقارة اخلف، فقد كان يجتمع في هذا المكان رجال القصر خاصة القادمين من وإلى بساتينهم، وربما كانت معظم القضايا التي تناقش في هذا الموضع تخص المجال الفلاحي.

كما كان مريدو اتباع الطريقة الصوفية الطيبية بقصر أدغاغ يتخذون من هذا الموضع خلوة لهم كل ليلة خميس يرددون فيها أوراد الطريقة الطيبية بعيداً عن كي ضجيج القصر[1].

. **بن حِبُّو** : هي فضاء خارجي يقع عند مدخل القصر قرب المسجد الجامع وبمحاذاة مدخلي قصبة زقاق اخلف و قصبة زقاق الظلمة، كان يوجد بهذه الرحبة دكّانات ( مصطبات ) تستعمل للجلوس، وقد كان "القايد ابّا حسان" في آخر حياته يجلس على الدُّكانة ويستمع لمن لديه شكاوي ويراقب ما يحدث عند مدخل القصر[2].

. **الجْمَاعة** : هي فسحة واسعة المساحة تتواجد عند مدخل قصبة زقاق الشهود، كان يتواجد بها دار الزاوية المذكورة سلفاً بجميع مرافقها، كما كانت تقام بها الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف ( رقصة البارود )، ضف إلى ذلك اجتماع الرجال فيها في فصل الشتاء للتدفئة تحت أشعة الشمس والاستمتاع بالنسيم العليل في ليالي الصيف[3].

. **رَحْبَةُ القَصْبَة** : هي أوسع رحبة في قصر أدغاغ تقع وسط القصر، سميت برحبة القصبة نظراً لوقوعها في المجال الحيوي للقصبة القديمة – قصبة الحاج امحمد الكبير – وقد خصصت للقيام بالعديد من النشاطات الاجتماعية كإحياء الزيارات حيث تقام بها مختلف الرقصات الشعبية نظراً لكبر مساحتها مما يجعلها تسع للفرق الفلكلورية ولجميع المتفرجين من سكان القصر ومن الزوار[4].

---

[1]. الحاج حمادي بن الحاج عبد القادر حماوي: مقابلة شخصية، بالموضع المعروف بسيدي حوتي اخلف بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/24.

[2]. الحاجة فطومة بنت ابا امحمد بن ابا حسون العايدي، مقابلة شخصية، ببيتها بالقصبة القديمة يوم 2014/03/26م.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/26م.

[4]. الحاجة فطومة بنت ابا امحمد بن ابا حسون العايدي، المقابلة السابقة.

⋆.**الأسواق** : خُصص لإقامة الأسواق اليومية مدخل فم القصر حيث كان يقصد هذا المكان الباعة من سكان القصر و من القصور المجاورة من قصور توات الحنة لترويج سلعهم من مواد غذائية كالتمر والزرع، أو أواني وأثاث محلية (حرفة السلالة) والحنة، والشمة التي كان يروجها تجار توات الشمة.

أما الأسواق الموسمية فقد خصص لها الفضاء الواسع الواقع على مشارف القصر وقد تمثل في سوقين :

. **سوق رحبة الخنافسة**: رحبة الخنافسة هي فضاء واسع جداً كان يقع على مشارف القصر من جهة الشمال، كان يتردد عليه تجّار الخنافسة و بني امحمد لترويج سلعهم لذلك سمي باسمهم.

. **سوق بَرَّتْ حْمِيّان** : كان يقام على مشارف القصر أيضاً من الجهة الغربية في الفضاء الواسع الذي يقع بين قصر أدغاغ وقصر أوقديم المحاذي له، سمي "بَرّتْ *حْمِيّانْ" نسبة لتجار حمّيان الذين كانوا يفدون على الموضع لإقامة سوق لترويج منتجاتهم.

* . برَّةْ : مصطلح محلي يقصد به الخارج .

***.المقابر و الأضرحة :**

المقابر هي المكان المخصص لدفن الموتى من ساكنة القصر، ويكون ذلك في قبور متلاصقة تحفر في الأرض ثم ترتفع الأتربة عن سطح الأرض بعد دفن الميت بعشر إلى عشرين سنتيمتراً ليوضع شاهد عند رأس وقدم المدفون.

أما الأضرحة فهي القبور الخاصة بأولياء الله الصالحين، وهي أبنية في شكل قباب تتفاوت طُرق بنائها وهندستها من منطقة إلى أخرى، وتعتبر أحد أهم أنواع العمارة التي اعتنى ببنائها التواتيون تقديساً لساكنيها من الموتى من العلماء و أولياء الله الصالحين[1].

يتواجد في قصر أدغاغ خمسة مقابر تضم كل واحدة ضريحا أو أكثر هي :

أ) **مقبرة سيد الحاج محمد:** هي أقدم مقبرة في قصر أدغاغ يحدها شمالاً القصبة الجديدة وجنوباً قصبة زقاق اِخلَفْ وشرقاً رحبة القصبة وغرباً بساتين ، تضم المقبرة قبوراً للقبائل التي انقطع نسلها كقبيلة الشيخ حجو مؤسس القصر وقبيلة عمي بَلَّة وقبيلة بَلِّنْقَة وقبيلة الولي الصالح سيدي بوعلالة،كما تضم قبورا لقبيلة أولاد عايد (قادة القصر)، وقد دفن فيها الولي الصالح سيد الحاج محمد بن عبد الرحمن اليقسطني والتي أصبحت تسمّى باسمه.

ب) **مقبرة المصلى:** هذه المقبرة كانت تابعة لمقبرة سيد الحاج محمد المؤدية لوسط القصر، و أثناء الحروب الطائفية بين صفي يحمد بقيادة قائد أدغاغ وصف سفيان بقيادة قائد بودة المنصور كان الغزاة يستغلون هذه المقبرة ويدخلون منها إلى القصر أثناء غزوهم؛ ومنعاً لتكرار ذلك أقيم جدار عازل جَزّأ المقبرة إلى قسمين، قسم تابع للقصر يدفن فيه الموتى المتوفون ليلا، والقسم الآخر الواقع خارج القصر يدفن فيه الموتى المتوفون نهاراً. أصبحت تعرف فيما بعد بمقبرة سيدي حمو نظراً لأن قبيلة سيدي حمو هي الوحيدة التي لازالت تدفن فيها موتاها، مع العلم أنّ هذه المقبرة سميت بادئ ذي بدء بمقبرة المصلى نظراً لاتخاذ موضع منها لأداء خطبة وصلاة العيدين[2].

ت) **مقبرة سيدي عبد الرحمن بن محمد:** لما امتلأت المقبرة القديمة اشترت جماعة البلاد البستان الواقع على مشارف القصر من الجهة الغربية و خصصوه لدفن موتاهم، وقد سميت باسم الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن محمد التامرتي الذي دفن فيها، و قد أقيمت قبة مخروطية الشكل على قبره* الذي أصبح مزاراً. هذه المقبرة يدفن فيها أموات عائلتين شريفتين هما عائلة أولاد مولاي سليمان بن علي ساكني زقاق الشهود و أولاد مولاي الطاهر البلغيتيين ساكني قصر أوقديم .

---

[1]. احمد ابا الصافي جعفري:المرجع السابق، ص7.

[2]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة .

*. انظر الملحق رقم07 ص400.

ث) **المقبرة التحتانية:** تقع بالجنوب من مقبرة سيد عبد الرحمن بن محمد يفصل بينهما زقاق، وقد كانت بستاناً يملكه محمد البركة بن سيدي حمو وقدّمه عطية لأهل بلده يتخذونه مقبرة لدفن موتاهم، وقد كان أول المدفونين بها رفقة امرأة تدعى الزهرة الحاسي والولي الصالح سيد المهدي عريان الراس[1].

ج) **مقبرة سيدي بوعلالة** : كانت عبارة عن مخزن تخزّن فيه مؤونة دار الزاوية وكان سيدي بوعلالة الولي الصالح يتعبد فيها وقد شاء القدر أن يلقى ربه فيها فدفن بها وكان ذلك سنة 1221هـ/1806م وأصبح ضريحه مَزاراً.

وفي سنة 1264هـ/1848م توجه إلى بيت الله الحرام كلاً من السادة الأشراف مولاي عبد الرحمن بن مولاي احمد وابنه مولاي احمد و مولاي الصديق بن مولاي الطيب والحاج الحسان بن الحاج امحمد وهم من قصر ادغاغ؛ وعند رجوعهم من الحج توجّهوا كالعادة لزيارة ضريح سيدي بوعلالة بحضور جماعة أدغاغ، وبعد تلاوة فاتحة الكتاب خاطب مولاي احمد بن مولاي عبد الرحمن الجماعة قائلا: طلبت من الله العلي القدير أنه إذا رجعنا إلى بلادنا سالمين فسأشتري هذه الدار لتكون مقبرة لنا نحن الأربعة، و قد قوّمها جماعة أدغاغ بثلاثة عشر قيراط ماء واشتراها مولاي احمد بن مولاي عبد الرحمن حفيد مولاي سليمان بن على وأوصى بأن يدفن أبوه بمحاذاة ضريح الولي الصالح سيدي بوعلالة و يكون قبره بجانبه؛ وإلى جانبه قبر مولاي الصديق بن مولاي الطيب والد مولاي علي الشريف وبجانبه قبر الحاج الحسن ابن الحاج امحمد، فحقق الله رجاءه ودفن كل واحد في مكانه المعلوم؛ ثم دفن في الجهة الجنوبية مولاي امحمد ولد مولاي الحسان صاحب زاوية الإطعام والجهة القبلية دفن مولاي عبد السلام ومولاي احمد الصغير، وفي سنة 1332 هـ عندما توفي الولي الصالح مولاي علي الشريف دفن في هذه الدار بطلب من أبنائه بعد أن عجزوا عن حفر قبر له في مقبرة سيدي عبد الرحمن بن محمد[2].

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: المقابلة السابقة.

[2]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: التقييد السابق، خزانة أدغاغ .

من خلال ما سبق ضمن مباحث الفصل الأول يتبين لنا حرص الفكر الإسلامي على احترام حريات الأشخاص والمجتمعات وحفظ حرماتهم من خلال تقنين العمران و ضبطه بأحكام فقهية؛ وعلى هذا الأساس وضعت مخططات للمدن الإسلامية والعربية على وجه الخصوص وفق شروط حددها علماء الفكر الإسلامي انطلاقا من الأحكام الإسلامية التي تناسبت مع النظرة الإنسانية، وقد روعي في تخطيطها مجموعة من القيم الإلهية والإنسانية والبيئية تحقيقا للأمن والاستقرار والحماية من العوامل البيئية. كما اعتمدت في شكلها العام على مجموعة من العناصر البيئية كالطين والرمل و مكونات النخلة المختلفة.

لقد مر تعمير إقليم توات بعدة مراحل بدء من 50 سنة قبل الميلاد بمرحلة الاستيطان المبكر حسب ما أثبتته البقايا الأثرية والدراسات الأنثربولوجية. بعدها يصل الفاتحون العرب إلى إفريقيا سنة 27هـ/647م برفقة عدة قبائل عربية تمكنت من الانتشار في الشمال الإفريقي وصولا إلى إقليم توات أين تمكنوا من الاختلاط بقبائل الزناتة الذين اندمجوا معهم مكونين مجتمعا متآلفا، فظهرت قصور زناتية و قصور عربية وأخرى مختلطة بين الاثنين.

إن العمران التواتي المتمثل في القصبات والقصور بني وفق الشروط التي روعيت في تخطيط المدن الإسلامية من منعة المكان وتوفر الماء وطيب الهواء؛ ووجود المزارع والمراعي القريبة من الساكنة وتوفر الأمن والحماية، كما أن تخطيطها الداخلي يتوفر على نفس مرافق المدينة الإسلامية ويخضع للعوامل المناخية والطبوغرافية في تصميم الشوارع والأزقة وكذا البيوت.

إن الإقليم التواتي يتميز بشساعة مساحته وبالتالي تباين مناطقه الجغرافية؛ مما جعل المؤرخون يقسمونه إلى ثلاث مناطق متباينة طبيعيا وبشريا، إلا أنها ذات تاريخ مشترك تمثلت هاته المناطق في منطقة تينجورارين ومنطقة توات الوسطى ومنطقة تيديكلت، ضمت كل واحدة عددا من القصور والقصبات ذات التاريخ العريق تبعا لمؤسسيها من الزناتة أو العرب.ونظرا لوقوع إقليم توات ضمن النطاق الصحراوي فقد اتصف مناخه بشدة الحرارة صيفا وشدة البرودة شتاء وقلة التساقط، مما حذا بالسكان إلى الاعتماد على الأودية ثم المياه الباطنية باستخدام نظام الفقارة فيما بعد في نشاطهم الفلاحي لتلبية حاجياتهم الغذائية.

يعتبر قصر أدغاغ أكبر قصور عرش تيمي مساحة وكثافة، وقد لعب أدوارا تاريخية ذات أهمية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أهلته لأن يتبوأ مكانة مرموقة داخل الإقليم وخارجه؛ مما جعله محط أنظار الاستعمار الفرنسي عقب الاحتلال الفرنسي . كما كان محط عدة قبائل من مختلف البقاع المجاورة فيما قبل . ليكون مركز قيادته ومن ثم الانطلاقة لتأسيس مدينة ادرار شمال القصر والتي أخذت تسميتها من اسمه.

## الفصل الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية بقصر أدغاغ من القرن 12ه/18م إلى النصف الثاني من القرن 14ه/20م

**تمهيد**

**المبحث الأول**:عادات و أعراف وتقاليد الأسرة في قصر أدغاغ

**المبحث الثاني**: النمط الغذائي لسكان القصر وأزياؤهم

**المبحث الثالث**: خصائص المجتمع الأدغاغي

**خاتمة الفصل**

تمتلك المجتمعات العربية ميراثا اجتماعيا شعبيا متميزا، خاصة بعد التحول الذي طرأ على هذا الإرث الاجتماعي عقب البعثة المحمدية، والتي صححت أو أبطلت أو أضافت العديد من الأمور التي كانت المجتمعات في غنى عنها أو بحاجة إليها، خاصة إبطال مالا يمت للإنسانية بصلة.

لقد أضفت الشريعة الإسلامية على المجتمعات التي احتضنتها لمسة إسلامية أكسبت معتقداتها قدسية سماوية وجعلت التخلي عنها – اللمسة الإسلامية – أو تجاوزها من المحرمات، رغم ذلك بقيت بعض المجتمعات متمسكة بشيء من بقايا الجاهلية وإن كان ذلك عن غير قصد.

وهذا ما سأتطرق إليه في هذا الفصل من خلال دراسة أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في قصر أدغاغ.

## المبحث الأول: عادات وأعراف وتقاليد* الأسرة في قصر أدغاغ

لكل مجتمع عادات وأعراف وتقاليد نشأت عن طريق تفاعل عدد من العناصر المتعلقة بالفرد أو المجتمع كالتنشئة الاجتماعية والثقافية والظروف المعيشية والأحوال الاقتصادية، جعلته هذه العادات والأعراف والتقاليد يتميز عن المجتمعات الأخرى؛ فقد اتخذها نظاما يسير على نهجه ويتبع خطاه إلا أن ذلك معرض للتغيير والتبديل وربما التخلي النهائي عن بعضها أو كلها تبعا للظروف الزمنية والمكانية التي يمكن أن تعترض طريق المجتمعات مستقبلا.

### أولا: عادات و أعراف وتقاليد بناء الأسرة

تعتبر الخطبة والزواج والطلاق أهم العلاقات الاجتماعية التي لها صلة مباشرة بتمتين روابط المجتمع أو تفكيكها؛ مما يجعل الحياة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بطقوس خاصة تتجلى في العادات والتقاليد؛ حيث يمارس كل مجتمع طقوسه ضمن أطر حددتها الذهنيات الشعبية السابقة وأصبحت متوارثة بين الأجيال اللاحقة؛

* .العادة لغة "من الفعل عَوَدَ و هي الديدن يُعَاد إليه" للمزيد انظر: ابن منظور: المصدر السابق، (ج3)، ص316. أما في القواميس الاجتماعية المتخصصة "فالعادة هي صورة من صور السلوك الاجتماعي استمرت فترة طويلة من الزمان، واستقرت في مجتمع معين وأصبحت راسخة و اصطبغت إلى حد ما بالصبغة الرسمية". للمزيد، انظر: العادات والتقاليد، متاح على الموقع www.moqatel.com، تاريخ التحميل 2013/12/20.

العرف لغة "من الفعل عَرَفَ وهو ضد النكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير و تبسأ به وتطمئن إليه". للمزيد انظر: ابن منظور، المصدر السابق، (ج9)، ص 239. أما اصطلاحا فالعرف هو" ما سار عليه كل الناس أو بعضهم حتى استقر في نفوسهم سواء اعتبره الشرع أم لا". للمزيد أنظر: زهير قزان: حاضرة توات المالكية، أعلامها . نوازلها . خصائصها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفقه المالكي، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة العقيد أحمد دراية، ادرار، 2010م2011م، ص191.

التقاليد لغة " من الفعل قَلَدَ وهي العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف". للمزيد انظر: تقاليد، متاح على الموقع .www Almaany. Com، تاريخ التحميل، 2013/12/20.أما مفهوم التقاليد من منظور علم الاجتماع فهي طرائق للسلوك مستقلة في وجودها عن الفرد، وتفرض نفسها عليه وتعين على تقوية الشعور الجماعي وتحقيق الاندماج التام بين عناصر المجتمع. للمزيد انظر: العادات والتقاليد، الموقع السابق.

وربما طرأ عليها بعض التغيرات والتعديلات مع مرور الزمن بفعل ظاهرة التثاقف التي تشهدها المجتمعات نتيجة لتمازجها مع عناصر من ثقافات أخرى عن طريق المصاهرة أو المجاورة؛ مع بقاء الأسس التي قامت عليها هذه العادات والمعتقدات دون مماس جوهري.

لقد تميزت طقوس الخطبة والزواج والطلاق بمنطقة توات بالبساطة نظرا لتقيدها بما أقرته الشريعة الإسلامية، وفيما يلي سنعرض طقوس كل منها على حدة خلال فترة الدراسة.

- **الخِطْبة والزواج:**

⋆. **الخِطْبَةُ: الخِطْبَةُ** لغة من الفعل خَطَبَ فيقال" خَطَبَ المرأة إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم[1]" تعتبر الخطبة في المفهوم الإسلامي وعدٌ بالزواج، وهي أول خطوة يقوم بها المقبل على الزواج لإتمام نصف دينه.

ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر و إلى ستينيات القرن العشرين كان للخاطبة والتي أدت دورها ما يعرف باللهجة المحلية بـ " أَمَّا عْزِيَّزْ "*. دورا مهما في إتمام عملية الخطوبة، حيث يلجأ إليها الراغب في الزواج أو أهله من أجل اختيار عروس مناسبة له أو لمساعدته في رؤية إحداهن سمع عنها أو أُخْبِرَ عَنْهَا. فتقوم أمَّا عْزِيَّزْ في بعض الحالات باستدعاء الفتاة الموصوفة إلى بيتها قصد مساعدتها في أعمال البيت، على أن يكون الخاطب مترصدا الفتاة في مكان يستطيع منه رؤيتها دون أن تراه، فإذا أعجبته تخبر أمَّا عْزِيَّزْ أهله عنها.

كما أنه كان يترصد للفتيات في مواسم معينة كموسم اجتياح الجراد، حيث يختبئ الراغب في الزواج في المكان الذي تقصده الفتيات لاصطياد الجراد، وإذا أعجبته إحداهن يسأل عنها "أمَّا عْزِيَّزْ" التي تكون برفقتهن. وعلى العكس من ذلك فإن الفتاة المراد خطبتها لا تر الخاطب إلا بعد إتمام مراسم الخطبة بل وفي الأعياد فقط لدى البعض. كما أنه كان للجدين أو الوالدين دورا في ذلك، إذ كانا يختاران عروسا لابنهما من بين فتيات العائلة وما على الابن سوى الإذعان والموافقة[2].

وقد روت الحاجة مباركة بنت عومر أن هناك مخطوبات لم يعرفن عن الخاطب إلا اسمه وكنيته، ولم يتمكن من رؤيته إلا بعد الزواج، وكذلك الشأن بالنسبة للخاطب لكن بنسبة أقل، و يتداول أن أحد الشباب قيل له أن فلانة خطيبتك، وهو لا يعرفها إلا باسمها ولم تتح له الفرصة لرؤيتها فتوسم فيها جمالا، ويوم عرسه يقول أنه لما دخل غرفته وجد كومة مغطاة برداء أبيض منزوية في أحد أركان الغرفة، اقترب منها وهو خائف من المفاجأة التي

[1]. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ص66.

*. أَما عْزِيْزْ: تُكَنَّى بهذا الاسم كل امرأة فضولية لها علاقة وطيدة بكل بيوت القصر وعلى معرفة كبيرة بأهل كل بيت. كما أنها تتصف بالدهاء والحنكة والحكمة. تتدخل في كل الأمور خاصة أمور الخير بدعوة أو بدونها كالخطبة و إصلاح ذات البين. مع قبول كل ما يصدر عنها من قول أو فعل، وعادة ما تكون هذه المرأة متقدمة في السن.

[2]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي (94 سنة): مقابلة شخصية،ببيتها بزقاق اِخْلَفْ بقصر أدغاغ (ادرار)، يوم 2014/03/22م.

تنتظره، وبمجرد أن رفع الغطاء عن وجهها تراجع إلى الخلف من هول ما رأى من قبح شكلها، لكنه سلم أمره إلى الله[1] فما من حل، والطلاق أبغض الحلال عند الله واستحالته عند أهله.

ولقد شاع في الفترة المذكورة زواج الأقارب، خاصة لدى العائلات الكبيرة ذات الأراضي والبساتين الكثيرة، والسبب في ذلك بقاء الإرث بين أفراد العائلة، لا ينتقل منه أي شبر لعائلة أخرى.

لقد لعب التكافؤ الطبقي دورا مهما في قضية الزواج في تلك الفترة، حتى أنه إن لم توجد فتاة مناسبة من نفس الطبقة من سكان القصر، التجأ الخاطب إلى القصور الأخرى بحثا عن طلبه ولا تخالف الأعراف أبدا.

بعد أن يتم اختيار الفتاة؛ يقصد كبير العائلة منزلها (الجد، الجدة، الأب، الأم أو أحد الأقارب)، وبعد أن تتم الموافقة يحدد يوما لإتمام الخطوبة والتأكيد عليها؛ حيث تقام في هذا اليوم وليمة بهذه المناسبة؛ يحضرها شخصين أو ثلاثة من أهل الخاطب ونفس العدد من أهل المخطوبة[2].

جرت العادة عند سكان القصر أن يأخذ أهل الخاطب معهم هدايا للمخطوبة؛ تتمثل غالبا في كيلو لحم وقطعة قماش لخياطة فستان ورداء (الحايك) وريحية (حذاء) وخاتم فضة أو اثنين وعقد*خاص بهذه المناسبة؛ تتزين به المخطوبة في الأعياد والمناسبات ليشاع خبر خطبتها؛ فلا يتقدم آخر لهذا الغرض؛ مع العلم أن هذه الهدايا توضع في قفة مصنوعة من سعف النخيل مزينة ومزركشة بالزخارف والألوان[3].

وقد جرى العرف أثناء فترة الخطوبة مهما طالت مدتها أن يهادي الخاطب خطيبته في المناسبات الدينية (الفْضَايَلْ حسب اللهجة المحلية) خاصة عيدي الفطر والأضحى؛ عادة ما تكون قطعة قماش وسروالا**في الفترات المتأخرة بعد ستينيات القرن الماضي، إذ قبل ذلك لم تكن النساء ترتدي السراويل، وكل ما تستر بها جسدها كان قطعة واحدة تسمى ليزار.

أثناء فترة الخطوبة التي ربما تطول مدتها العام أو عامين أو تقتصر لأشهر فقط يقوم الخاطب بإعداد منزل الزوجية حسب عادة أهل القصر إذ تحرص العائلات على أن يسكن العريس في بيت خاص به، ولم يعرف عن أحدهم سكن بمنزل العائلة رفقة زوجته. وعادة ما يكون البيت قريب من منزل الوالد إذكان الآباء في القرنين

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي، المقابلة السابقة.

[2]. لالة فاطمة بنت سيد صالح سيد اعمر زوجة طاهري: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ يوم 2014/03/16م، توفيت يوم 2015/03/26م عن عمر يناهز 96سنة.

*. للمزيد حول هذا العقد: انظر ص179 وما بعدها.

[3]. لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

**. ورد في كتاب: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي تحقيق كمال السيد أبو مصطفى، أن الخاطب في المغرب الإسلامي كان يهادي خطيبته في الأعياد والمناسبات هدية لا تعدُ أن تكون حناء وصابون وفاكهة. للمزيد ينظر: كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الاسكندرسة للكتاب، الإسكندرية: 1966م، ص13.

18- 19 م يحرصون على امتلاك أراضي شاسعة يشيدون عليها منازلهم و يتركون الباقي لأبنائهم وأحيانا لذراريهم من بعدهم (جيل القرن العشرين). فقد كانت الأراضي واسعة والسكان قليلين. حتى أنه في القرن العشرين من أراد بناء بيت الزوجية ولم تكن عند والده أرض وليس بمقدوره شراءها بنى في البستان إذا كان قريبا من العمران[1].

أما الفتاة فيبدأ أهلها في إعداد الجهاز منذ وقت مبكر جدا قبل خطبتها؛ حيث أن الأمهات تحرص على اقتناء ما كان ضروريا ولازما لبيت الزوجية، إذ كانت النقود غير متوفرة في معظم الأوقات؛ وكلما سنحت الفرصة و تمكنت الجدة أو الأم من الحصول على منتج غذائي أو حرفي قابل للمقايضة أو على عدد من القطع النقدية اقتنت شيئا من الأثاث وادخرته ليوم زفاف ابنتها[2].

جهاز العروس كان على نوعين؛ النوع الأول وهو الجهاز الذي يجهزه لها والداها لتأخذه معها إلى بيت الزوجية، والنوع الثاني هو الجهاز الذي يقدمه العريس إلى عروسه والمسمى بالشرط.

النوع الأول يتمثل في الأثاث وبعض الحلي، الأثاث عبارة عن تابوت كبير مصنوع من جذع الشجرة (العود باللهجة المحلية) مزين ومزركش وهو بمثابة خزانة الملابس، وتابوت صغير يسمى الجويلق (Juilek)، ويكون هو الآخر مصنوعا من جذع الشجرة يزين و يزركش بألوان مختلفة، يخصص لحمل أغراض الزينة من بخور وفحم ومبخرة وعطر و مسواك وكذا الحلي، كما يكون ضمن جهاز العروس مهراس العود مصنوع من جذع الشجرة خاص بإعداد السفوف وآدقي (Adgui) مع المدق(يسمى ولد آدقي باللهجة المحلية)؛ هو عبارة عن حجرة سميكة شكلها نصف دائري مقعرة في الوسط يستعمل لتدقيق الزعفران ومواد الزينة. والحجرة التي هي بنفس مواصفات آدقي (Adgui) إلا أنها على ثلاثة أحجام مختلفة؛ حجرة متوسطة الحجم (أكبر بقليل من آدقي Adgui) تستعمل في المطبخ لتدقيق التوابل، وحجرة أكبر منها حجما تستعمل لتدقيق نواة التمر لاستخدامه علفا للحيوانات، ترافقها لملمة* التي تمنع تطاير النواة خارج القعر أثناء دقه، كما تستخدم لدفع مبشور النواة خارج الحجرة، و الحجرة الثالثة تكون أصغر حجما وناعمة الملمس تستعمل لسحق كحل العين**؛ و يصحب

[1]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: مقابلة شخصية، برحبة القصبة بقصر أدغاغ، يوم2013/03/09.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني(من مواليد 1923م بزقاف الشهود)، مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/10.

*. لملمة هي أداة دائرية الشكل تصنع من ألياف النخيل وتغلف بقطعة قماش، تستعمل لحصر التمر أو النوى ليبقى على الحجر عندما تقوم النساء بدقه. للمزيد انظر: احمد حمودة: لملمة، مجلة العراجين الثقافية، ص17. للمزيد: انظر الملحق رقم14 ص407.

**. انظر الملحق السابق.

هاته الأنواع الثلاثة المدقة(تسمى بنت الحجرة باللهجة المحلية )، تكون ذات شكل كروي أو أسطواني؛ أما حجمها فيكون بقدر ما يستطيع الكف الإمساك بها[1].

كما يكون ضمن الجهاز بعض الأواني الطينية إن كان الولي قادرا على اقتنائها، فهي ليست بالضرورية في جهاز العروس؛ لأنه جرت العادة أن تعمل الكنة على خدمة حميها ما داما على قيد الحياة، حيث تتجه إلى بيت العائلة (الدار الكبيرة) منذ الصباح الباكر و لا تعود إلى منزلها إلا ليلا.مع العلم أن الرَّقَّادة *(Ragguada) تحضر معها للعروس التي عينت لخدمتها قدر الطين و المَنَاصَبْ (Mnassabe)و التدارة (Tadara)**.إضافة إلى هذا فإن العروس الأدغاغية لا تأخذ معها من الفراش إلا وسادة لشخصين (مسند) فقط[2].

أما الحلي فهي متنوعة المواد الأولية ما بين فضة ومرجان وعقيق، حيث يهديها والدها ثلاثة عقود إحداها من العقيق الملون و الثاني من العقيق الأسود و الثالث من المرجان. كما يعطيها السبتة وهي حلية للرأس بالإضافة إلى الخلخال وحلي أخرى يزين بها الشعر***، مع العلم أنه ليست كل الفتيات المقبلات على الزواج يتحصلن على هاته الحلي، بل فقط من كانت من العائلات الميسورة الحال[3].

النوع الثاني من جهاز العروس الذي يحضره العريس لعروسه يسمى الشرط، يتكون من اللباس والأحذية والحلي. اللباس يتمثل في رداءين أبيضين من نوع خاص من القماش يسمى "الفينة"، وحذاءين أحدهما يسمى الرِّيحِيَّة (Rihiya)والآخر يسمى المخَبْلَة (Mkhabla)**** وكلا النوعين مصنوعين من الجلد. هذا بالإضافة إلى فستان واحد أبيض، و رداء (قناعgnaae)، وغطاء للرأس و هو عبارة عن قطعة قماش بيضاء اللون؛ يتراوح طولها ما بين ذراع (50 سم) أو ذراع ونصف منسوج يدويا من صوف الغنم ومُخَرْمَة ملونة (السَّبْنِيَة Sabniya)*****.

---

[1].لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. الرقادة: هي إمرأة من طبقة الحراثين تستأجرها أم العروس لتهتم بابنتها وترعاها وتشرح لها الكثير من الأمور المتعلقة بالزواج و خدمة الزوج، حيث أنها تذهب معها إلى بيت زوجها وتبقى معها مدة 9 أيام أو 7 حسب عادة أهل القصر.

**.انظر الملحق رقم12 ص405.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

***. للمزيد حول هذه الحلي: ينظر ص 179 وما بعدها.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

****. للمزيد حولهما انظر ص 176.

*****. للمزيد ينظر: ص 175.

أما الحلي فكانت من الفضة إذ لم يتوفر الذهب في المنطقة في تلك الفترة، وهي عبارة عن دباليج فضة(إثنين أو أربعة) و7 خواتم ومحابس فضة وحلقات من الفضة(الحْلَف Lahlag) متصلة بسلاسل فضة من جهة الأطراف ويتوسطها التهليل؛ تستعمل لتزيين الرداء ( ليزار Lizar) عند ارتدائه*.

هذا النوع من الجهاز يقدمه العروس لعروسه قبل عقد القران مهما كانت حالته المادية، إلا أن هذا الجهاز يختلف من طبقة البيض (الاَجْواد) إلى طبقة السود (الحراثين) في بعض التفاصيل؛ فالرداءان المقدمان للعروس من الطبقة الأولى يكونان من قماش رفيع المسمى بالفينة بينما الرداءان المقدمان لعروس الطبقة الثانية يكون أحدهما من قماش رفيع (قماش الفينة) والآخر من قماش قليل الجودة يسمى قماش المالطي، وكذلك الشأن بالنسبة للأحذية؛ فريحية عروس الطبقة الأولى تسمى بريحية الشريفية وتكون مزينة بخيوط من الحرير ومزركشة بعدة ألوان، أما المخَبْلَة فتكون مخططة، وريحية عروس الطبقة الثانية تكون ذات لون واحد وعادة ما تكون حمراء اللون وخالية من خيوط الحرير، أما المخبلة فمن نفس نوع الطبقة الأولى.كذلك الشأن بالنسبة للحلي فتكون دبليجا واحدا أو اثنين فقط إن كان الأهل ميسوري الحال[1].

أما العروس الميسورة الحال من كلا الطبقتين فكانت تضيف إلى الجهاز ملابس أخرى أعدتها مسبقا كُلا حسب طاقتها. وبعد الانتهاء من تحضير الجهاز وبيت الزوجية يتم الاتفاق على موعد الزفاف الذي يكون برضى الطرفين[2].

- **الزواج:**

بعد إعداد الجهاز من كلا الطرفين والاتفاق على موعد إقامة العرس؛ يتم إرسال الصداق (العَطْرِيَّة Laatriya) إلى والد العروس، يشتري بجزء منه ما تحتاجه ابنته العروس والجزء الآخر يستعين به في إعداد حفل العرس، وقد كان مقدار الصداق محدد ومعروف** لدى الجميع لا يزاد عليه ولا ينقص منه لأي سبب من الأسباب[3].

وقد جرت العادة عند سكان قصر آدغاغ أن يوضع الصداق في آنية خاصة ذات غطاء مصنوعة من الطين( الشقفة Shagfa )، وتطوف به امرأة من طبقة الحراثين على أقارب العريس ومعارفهم للإطلاع والإشهاد، وكل من رآه يعطي لهذه المرأة شيئا من الطعام يكفيها لقوت يومها؛ يسمى باللهجة المحلية لَعْشَا

*. للمزيد:انظر: ص179 وما بعدها.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. المقابلة نفسها.

**. قُدِّرَ مبلغ الصداق في أواخر القرن 19 م وحتى مطلع القرن العشرين بـ 120 دورو بعملة تلك الفترة.

[3]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

(Laecha)إن كان نوعا من الزرع، أو لَعْتُوق (Laetoug) إن كان نوعا من التمر، وإن صادف طواف هذه المرأة بالصداق عدم توفر ما يقدم لها عند أهل البيت المقصود يغلقون أبوابهم أو يختبئون عنها دفعا للحرج.

الصداق يرسل إلى منزل العروس قبيل العرس لتتمكن العروس من شراء ما يلزمها للزفاف وكذا لمساعدة وليها في اقتناء ما يحتاجه لإقامة حفل العرس[1].كان هذا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وربما استمر الوضع حتى ستينيات القرن العشرين.

أما حفل العرس في قصر أدغاغ وكغيره من قصور إقليم توات فقد كان يتم عبر مراحل، تتخللها عادات وتقاليد متميزة بطقوس تسيطر عليها مظاهر التكافل الاجتماعي وتكتنفها الغرابة أحيانا.

هذه الطقوس منها ما يقوم بها أهل كلا العروسين، ومنها ما ينفرد بها أحدهما عن الآخر سواء كان ذلك قبل الدخول بالعروس أم بعده.

الطقوس المشتركة تتمثل في إعداد الكسكس والبهارات (لَعْطُور Laetoure) والسْفُوف ( Sfoufeأكلة محلية تُعَد من التمر الجاف)، ويتم ذلك قبل ليلة الدخلة المحددة بيوم الخميس أو الأحد دون غيرهما من الأيام، وقبل يومين من ذلك أي يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة صباحا و الذي يسمى يوم الطْحِين تحضر النسوة إلى منزل العرس وتتوزعن على مجموعات: مجموعة تقوم بتنقية القمح من الشوائب ومجموعة تقوم بطحنه باستعمال الرحى اليدوية، ومجموعة أخرى تقوم بإعداد السفوف، وعادة ما تقوم بهاته الأعمال نساء حرثانيات تحت إشراف وتوجيه نساء جَيِّدَات*.

لَعْطُور هو اسم نوع خاص من أنواع البهارات؛ يطلق على هاته الأخيرة نظرا لإعداد كمية كثيرة منه مقارنة مع البهارات الأخرى المتمثلة في الفلفل الحار (الفَلْفَلElfalfal) والفلفل البارد (العَكْرِي Elaakri) والفلفل الأسود (لَبْزَارLabzar).

لَعْطُور (Laetoure)** (النوع الخاص) يستعمل لتتبيل الكسكس ولتتبيل المرق أيضا، تستخدم فيه سبعة أعشاب، كل عشبة بكمية معينة هذه الأعشاب هي: ورق الريحان Myrtus Communis، تمرة جوز الطيب (التمرة) Myristica fragrans، القرفة Cinnamomum Zeylanicum، القرنفل (عود النوار) Eugenia caryophyllus، الزنجبيل (العود الابيض) Zingiber officinalisl، الكركم (العود الاصفر) Curcuma logal، الفلفل الكاذب (قْرَّمِّي) Xylopia aethiopica. بالإضافة إلى

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

*. الجَيِّدَات لفظ يكنى به نساء طبقة البيض. ومفرده: جَيِّدَة ، مذكره: جَيِّدْ، جمعه المذكر: الاَجْوَاد.

**. للمزيد: انظر ص 167.

مادة المسطكى (المستكة باللهجة المحلية). المواد الثمانية تطحن بعد تحميص البعض منها ليتحصل في الأخير على مسحوق زكي الرائحة[1].

بعد الانتهاء من إعداد هذه البهارات (لَعْطُور، لْعَكْري، لَبْزَارْ، الفلفل الحار) تقوم إحدى النسوة . عادة ما تكون الأكبر سنا من بين الحاضرات . بتعشيرها (إخراج عشرها) والذي يتم بالكيفية الآتية: تكيل كل نوع منها على حدة بنفس الكيل فتضع تسعة أجزاء على جهة والجزء العاشر على جهة أخرى، وتعيد نفس الكرة مع نفس النوع إلى أن تنه الكمية المتوفرة، بعدها تترك ما نتج عن جمع الأجزاء التسعة لصاحبة العرس، وما نتج عن جمع الأجزاء العشرة تقسمه على الحاضرات بالتساوي[2].

أثناء إعداد لعطور جرت عادة سكان قصر أدغاغ استدعاء العروس وإعطائها حبة تمرة جوز الطيب Myristica fragrans، وعليها أن تكسرها بأضراسها أمام ناظر الحاضرات، ليستعمل جزء منها مع مقادير لعطور والجزء الآخر يطحن مع مقادير لخْوَاضْ*.

أما السُّفُوفْ** فتعد بالطريقة التالية: يكسر التمر الجاف بإستعمال حجرة الدَّقْ، ثم ينقى من النوى وبقية الشوائب(التمر العفن، الأقماع )، بعدها يدق في المهراس الخشبي على عدة مراحل، وفي كل مرحلة يفرز منه ما صار بحجم حبة عدس كبيرة باستعمال آنية سعفية تدعى الطْبَقْ(tbag***)، ويعاد ما زاد حجمه عن ذلك إلى المهراس لتكرر العملية حتى يصير كل التمر مهششاً (سفوفا)[3].

ومساء نفس اليوم(الثلاثاء أو الجمعة) تقوم النسوة بفتل الكسكس باستعمال الطحين الذي أعدوه في الصباح[4].

أما الطقوس الغير مشتركة والخاصة بعرس الفتاة فتتمثل في فتل الجلجلان ( نومي باللهجة المحلية) وإعداد البخور(نوع من العطر) وملحقاته، مع العلم أن إعداد البخور وملحقاته يتميز بطقوس غريبة يعجز العقل عن تفسيرها وتبريرها.

فيوم الثلاثاء أو الجمعة صباحا تحضر النسوة المدعوات من طرف أم العروس وتتوزعن على مجموعات، مجموعة تقوم بفتل الجلجلان حيث يحمص وتنزع قشرته ثم يعجن باستعمال عسل التمر ليشكل منه كريات صغيرة بحجم اللقمة. ويحتفظ به في آنية لحين وقت استخدامه[1].

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

*. للمزيد عن هذا العنصر: انظر ص 104.

**. انظر الملحق رقم 19 ص412.

***. آنية مصنوعة من مشتقات النخلة ( السعف وعود العرجون ) تكون مفلطحة وحافتها مرتفعة قليلا.

[3]. لالة فاطمة بنت سيد صالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

أما النساء المتقدمات في السن فمهمتهن تحضير وتجهيز مواد البخور التي حضرتها والدة العروس سلفا، والمتمثلة في ثمانية مواد هي: المسك (Muscchus moshi ferus)؛ الجاوي (Benzoin)؛ عود لَقْمَاري (العود Aquilaria Spp)؛ ماء الغالية؛ السرغينة (السرغين Corrigiola Littoralis)؛ القرنفل (عود النوار Syzygium aromaticum L)؛ ورد الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام(الورد Rosa sp ) والزعفران (Crucus Sativus)، تدق كل مادة على حدة وبقدر معلوم وتنقى من الشوائب ثم يطحن البعض منها باستعمال الرحى اليدوية و يهشم البعض الآخر، ثم تخلط جميع المواد ليحتفظ بالطحين إلى يوم الغد[2].

أما ملحقات البخور فهي لَخْوَاضْ، المِعْجُونَة، الحَنَّة العَفِنَة (الحنة الخَامْرَة )؛ الخواض هو طحين فواح ومعالج للعديد من الأمراض يستعمل في إعداده ستة مواد وبكميات معلومة هي: الريحان (Myrtus Communis L)– ورد الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام (Rosa sp) . ماء الغالية . السنبلية . الزعفران(Crocus Sativus) . نصف تمرة جوزة الطيب التي كسرتها العروس بأضراسها سابقا، تقوم الرقادة بدق هذه المواد في المهراس وأثناء قيامها بذلك تأتي العروس لتقوم بالدق ثلاث دقات، بعد ذلك يطحن الخليط في الرحى، ومن طقوس الطحن الغريبة أن تقوم أم العروس بربط إحدى ساقي الرقادة (التي ستقوم بالطحن) إلى فخذها وهي واقفة ثم تجلس هكذا إلى الرحى كما يوضع في فمها محبس ( نوع من الخواتم) وتظل طيلة مدة الطحن تصدر صوتا مثل صوت البعير، وتساعدها في عملية الطحن امرأة من قِبَلِها. وبعد الانتهاء تأتي أم العروس لتفك رباطها وتنزع المحبس من فمها وتعطيها مبلغا من المال أجرة لها[3]. ثم تأتي العروس لتجمع جزء من الطحين بكلتي يديها ثلاث مرات ليحتفظ بهذه الكمية على جنب تأخذه معها العروس إلى بيت الزوجية. بعدها تذهب العروس لتنفض ما علق بيدها من الطحين على من كان معها من الفتيات على نية التبرك. بعد جمع الطحين في وعاء تقوم إحدى النسوة بأخذ التِّفَالْ* (الرَّقْعَة وهي فراش الرحى يستعمل أسفل منها ليجتمع فيه الطحين**) وتنفضها على رؤوس الفتيات الحاضرات مع العروس على نية التبرك أيضا ويقال أن من أصابها الطحين العالق بالثفال بعد نفضها خطبت بعد العرس مباشرة[4].

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

*. التِّفال هي الجلدة توضع حول الرحى تمسك الدقيق. للمزيد: انظر ابن منظور، المرجع السابق، المجلد 10، ص465.

**. انظر الملحق رقم14 ص407.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

في اليوم الذي يلي يوم الطحين تحضر النسوة إلى منزل أهل العروس، تتوزع على مجموعتين مجموعة النسوة المتقدمات في السن ومهمتهن فتل البخور الذي قد أعدت لوازمه يوم أمس، ومجموعة أخرى تعد الغذاء للبنات المعزومات من طرف العروس[1].

يمر فتل البخور بطقوس تتمييز ببعض الغرابة، حيث تقوم النسوة باستعمال الطحين الخاص الذي أعد يوم الطحين وعجنه بالماء الفاتر ونوعا خاصا من العطر في صحن كبير، ليقسم العجين على صحنين صغيرين لتبدأ النسوة بصنع كريات، حيث تصنع أولا كرية واحدة كبيرة بحجم قبضة اليد تسمى الشِّيخَة وخمس كريات أصغر منها بقليل (تدعى أخوات الشيخة) وتوضع الكريات في الطَّبَقْ، الشيخة في الوسط وأخواتها يحطن بها، ثم يغرز في الشيخة سبعة أعواد من القرنفل الذكر*. وباقي العجين يجمع في كريات يكون حجمها أصغر من حجم أخوات الشيخة، ثم توزع الكريات على طبقين وتترك تحت أشعة الشمس لتجف، والغريب في الأمر أن الأواني التي يعجن فيها البخور أو يترك فيها ليجف يجب أن يكون عددها فرديا، ولما سألت عن المغزى من ذلك قيل لي هكذا جرت العادة[2].

ومن العادة أن البخور المعد تتعطر منه العروس في ليلة الدخلة، وتأخذ منه لتتعطر به في منزلها، مع العلم أن هذا البخور هو العطر التواتي الذي كان منتشر الاستخدام قبل سبعينيات القرن الماضي، ولا زال الإقبال عليه متواصلا حتى بعد توفر العطر الصناعي السائل، إذ لم يكن يوجد العطر السائل. ويوزع منه على الأقارب والجيران، كما تخصص حصة منه لأخت العريس(العَامَّة**) التي تكلف بإحضار العروس من بيت أهلها ليلة الدخلة[3].

جرت العادة أن يفتل بخور العروس من طبقة الحراثين في قصبة مولاي علي الشريف المعروفة باسم دار الشرفاء، مع ترك ما عُشِّرَ منه لأهل الدار[4].

أما عن كيفية استخدام البخور فيحرق على الفحم المشتعل بعد أن يوضع في المبخرة، لتقوم بعدها المرأة بإمساك المبخرة لتدخلها تحت فستانها ليتصاعد الدخان ذو الرائحة الطيبة ويغمر جسدها، كما تعرض شعرها لهذا الدخان وكلما لاحظت أن الرائحة قلت ترش فتات البخور على الفحم المشتعل.

---

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

*. القرنفل نوعين: ذكر وأنثى، ويمكن التفريق بين النوعين من الشكل.

[2]. الحاجة مباركة بنت عومرحماوي: المقابلة السابقة.

**. للمزيد حولها ينظر: ص 110.

[3]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق بن مولاي عبد الرحمن الأدغاغية: مقابلة شخصية، بدار الشرفاء بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/22م.

ومن العادة أيضا أنه يوم فتل البخور يجب أن ترسل والدة العروس إلى منزل أهل العريس ثلاث قصعات من الكسكس، ويكون ذلك وقت الغذاء ويسمى هذا الطقس بقصعة السلم* (قصعة السَّلُّوم)، حيث يجهز لإتمام هذا الطقس ثلاث قصعات؛ اثنتان كبيرتان وواحدة أصغر منهما حجما، تملأ القصعات بالكسكس ثم يمرق ليوضع فوقه اللحم و عشر حبات بيض مطبوخة وتغطى بغطاء خاص يدعى لَمْكَبْ** ليأخذها ثلاث رجال من طبقة الحراثين إلى منزل أهل العريس لتتبعهم النساء بالزغاريد والأهازيج، وعندما يصل الموكب توضع القصعات على الدرجات الدنيا من سلم البيت المؤدي إلى السطح وعادة ما يكون في مدخل البيت، لتأتي والدة العريس فتأخذ القصعة الصغيرة الحجم وتترك الكبيرتان ليأخذهما الوالد إلى الضيوف المتواجدين معه برفقة العريس لتكونا وجبة غذاء لهم[1].

وقد جرت العادة أنه يوم إعداد البخور تحضر الفتيات من قريبات العروس إلى بيتها لتقمن بفك ضفائر شعر العروس وتمشيطه، ومساء ذلك اليوم تقوم الرقادة بغسله جيدا بالماء والصابون[2].

وفي ذلك اليوم تعزم العروس البنات العازبات على مأدبة غذاء؛ تسمى هذه العزومة بـ (عَرْضَةْ البْنَات). بعد الغذاء يقمن بضرب الطبول والغناء والرقص ويستمتعن بذلك رفقة العروس إلى غاية بعد العصر يتفرقن ولا يبقَ مع العروس إلا قريباتها. مع العلم أن الزرع*** واللحم اللذان استعملا في إعداد عزومة البنات مقدم سلفا من أهل العريس[3].

قبل يوم من الدخلة (عادة مايكون يوم الأربعاء أو يوم السبت) يتم عقد القران في منزل أهل العروس، حيث تقام مأدبة عشاء بالمناسبة يحضرها إمام المسجد (يلقب بالشَّاهَدْ باللهجة المحلية) المخول بعقد القران (يسمى لَقْبُولْ باللهجة المحلية) رفقة المدعوين من طرف أهل العريس وأهل العروس.

---

*. سميت كذلك نسبة إلى وضعها على السلم المؤدي إلى سطح المنزل والمتواجد عند مدخل الدار.

**. لَمْكَبْ هو غطاء تغطى به صحون الطعام في الأعياد والأعراس والزيارات و عند استقبال الضيوف في الأيام العادية. يكون ذي شكل مخروطي عريض من الأسفل بحجم الصحن المعد لإطعام عشرة أشخاص، يصنع من مشتقات النخلة، وهو على نوعين ما تستعمل فيه مشتقات النخلة فقط وما يضاف إليها مادة الصوف بألوان مختلفة.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. الحاجة حسنية بورقبة (رقادة) (67 سنة)، مقابلة شخصية، بقصر أدغاغ أثناء تأدية مهامها في منزل إحدى العرائس، يوم2014/03/22م.

***كمية الزرع معلومة وتقدر ب 3 أزقان بكيل أهل توات وآزقن يقدر بـ 40 غ3كغ.

[3]. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

جرت عادة سكان قصر أدغاغ أن يقوم الرجال المدعوين من طرف أهل العريس لحضور عقد القران بأخذ جهاز العروس (الشَّرْط) معهم*، حيث يوضع في قفة أعدت خصيصا لحمل جهاز العروس تكون مزركشة ومزينة باللونين الأخضر والأحمر، تشترى هذه القفة من قصر زاوية كنتة أين يتم صنعها من بعض مشتقات النخلة، ثم يرتدي خادم الأسرة (من طبقة الحراثين) نوعا خاصا من اللباس يدعى أفْسَاسْ** ويحمل القفة على كتفيه وينطلق رفقة خادم آخر يجر الخروف ويتبعهم الرجال المدعوين من طرف أهل العريس لحضور عقد القران. وعندما يصلون إلى منزل أهل العروس يوضع الجهاز فوق مهراس العود حضر سابقا لهذا الغرض ولا يلمسه أو يطلع عليه أحد، بعد أن يتناول الحاضرون وجبة العشاء يؤخذ الجهاز إلى مكان العقد ليراه الإمام ويشهد عليه شاهدان بعدها يعقد القران، ليرجع الجهاز إلى منزل أهل العروس للإطلاع على محتوياته وسط الزغاريد والأهازيج[1].

وحسب الشرع قبل عقد القران يرسل الإمام أحد الأعيان رفقة شاهدين ليسأل العروس اليتيمة الأب عن وكيلها الذي ينوب عنها في إتمام عقد القران[2].

بعد عقد القران وقراءة الفاتحة جرت العادة أن يتناول الإمام المكلف بعقد القران رفقة الحاضرين التمر(يقدم في الطَّبَقْ) واللبن (يقدم في آنية خاصة مصنوعة من العود تسمى لَمْشَرْبَة ) المحضر مسبقا، ليأخذ ما فضل من الاثنين إلى منزل أهل العروس، ليوزع على الفتيات العازبات غير المخطوبات تفاؤلا بالخير واعتقادا منهم أن من تشرب من ذلك اللبن وتأكل تمرة أو جزء منها تخطب[3].

كما أنه في هذه الليلة تخضب يدا العروس وقدماها بالحِنّاء للتزيين والتجميل، حيث تقوم الرَّقَّادَة بعجن الحناء في المساء؛ وبعد الانهاء من عملية إطعام الضيوف والتنظيف تبدأ مراسيم الحناء التي تقوم بها إمرأة متقدمة في السن من العائلة، فتطلي اليد اليمنى أولا ثم تتبعها اليد اليسرى وتغطيها بورق العنب ذي الحجم الكبير مع ربطها بسعف النخيل، ثم تنتقل إلى الرجل اليمنى فاليسرى لتغطى كل واحدة بأوراق شجرة الكرنكا*** ذات الحجم الكبير ثم ربطهما بسعف النخيل أيضا. وكل هذه الطقوس تؤدى وسط الزغاريد وضرب الطبول مع مدح العروس (هذا المديح يسمى تَضَرَّايْ باللهجة المحلية) بين الفينة والأخرى من طرف الرَّقَّادة أولا ثم قريباتها ثانيا

* ذكرت محتوياته سابقا.

**. للمزيد حوله: انظر:ص185.

[1]. الحاجة الزهراء كرمي المدعوة الحاجة كرمية: مقابلة شخصية، بمنزلها بزقاق مكناس بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/24 م.

[2]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني( مدرس قرآن ومكلف بعقد القران(لَقْبُول) من طرف الجهات الرسمية): مقابلة شخصية، ببيته بزقاق الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/22م .

[3]. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

***. الغرض من استعمال ورق العنب وورق الكرنكا هو انعدام القماش(الحَاجَة).

(الجدة ، العمة، الخالة، زوجة العم, ...) مع العلم أن هذا الإطراء يبالغ فيه أحيانا، ويكذب فيه أحيانا أخرى فتوصف العروس بمواصفات ليست لها بل هي من باب المجاملة[1].

بعد الانتهاء من تخضيب يدي وقدمي العروس يتم توزيع ما تبقى من الحناء على الفتيات العازبات الحاضرات مع حرص أمهات الغائبات على أخذ نصيب بناتهن وهذا تفاؤلا بالخير.

تبيت العروس على حالها، وصبيحة اليوم الموالي (الخميس أو يوم الأحد) تقوم المرأة المكلفة برعاية العروس وخدمتها (الرَّقَّادَة) بنزع الحناء من يدي ورجلي العروس ودفن البقايا و المخلفات في مكان ما في أحد البساتين مع حرصها على عدم رؤيتها من طرف أي كان، لأن بقايا الحناء التي استعملتها العروس تستخدم في الإضرار بها (أعمال السحر)[2].

وقد جرت العادة أن يجلب طحين خشب كُرَاعَ* باب المسجد لتحك به اليدين والقدمين المحناة، لاعتقادهم أن هذا الطحين يزيد من شدة إحمرار الحناء[3].

جرت العادة أيضا لدى سكان قصر أدغاغ أن تتجه العروس من طبقة الحراثين رفقة مجموعة من قريباتها وصديقاتها يوم الحناء إلى دار مولاي علي الشريف المكناة بدار الشَّرْفَاء. أين تقام لها طقوس الحناء المذكورة سابقا حيث تقوم بفعل ذلك إحدى نساء دار مولاي علي الشريف تَبَرُّكًا، وفي نفس الدار يتناول الجميع وجبة العشاء المعدة في منزل العروس كما يبيتون ليلتهم هناك[4].

كما جرت العادة أن لا يذهب أهل دار الشرفاء إلى أعراس الحراثين، وما على صاحبة العرس من هذه الطبقة الأخيرة إلا أن ترسل وجبة العشاء بعد اعدادها إلى دار الشرفاء. ولما استفسرت عن السبب أجابتني كبيرة عائلة دار الشرفاء لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق أن الحراثين الذين كانوا يخدمون جديها مولاي الصديق ومولاي علي الشريف هم الذين ابتدعوا هذه العادة تبجيلا وتقديرا لأسيادهم[5].

ضُحى هذا اليوم أو عصره (الخميس أو الأحد) يؤخذ جهاز العروس الذي أعدته والذي أعده له زوجها إلى منزل الزوجية، يكون ضمن الجهازين المحتويات المذكورة سابقا بالإضافة إلى نعجة مع صغيرها هدية من

---

[1]. لالة رقية بنت مولاي احمد بن مولاي محمد بن مولاي ادريس البرباعية المولد الأدغاغية المسكن، مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ 2013م(توفيت2014م).

[2]. الحاجة الزهراء كرمي (المدعوة الحاجة كرمية): المقابلة السابقة.

*. الكُرَاعُ : ورد في لسان العرب: كُرَاعُ كل شيء: طرفه، للمزيد ينظر ابن منظور، المرجع السابق، ج8، ص307.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق بن مولاي عبد الرحمن : المقابلة السابقة.

[5]. نفسها.

والدها والخروف الذي أرسله العريس يوم عقد القران مع الشرط و ما يصطلح على تسميته بالمردود* و هو ستة أزقان** من الزرع وكيلا من زَنْبُو***.

يكون ضمن الجهاز أيضا ما يعرف محليا بطْبِيقَةْ العريس؛ تَدَارَةْ**** الفُولْ وتَدَارَةْ الجَلْجَلَان، الأولى تحتوي على: مسحوق الحَنَّة ، خاتم فضة رجالي، قليلا من البخور، المبخرة، الكبريت، الفحم، الكحل، الزعفران، منديل صغير، مرآة صغيرة وكمية من الفول المطبوخ. والثانية مملوءة بالفول المطبوخ وفوقه حبات بيض مطبوخة والثالثة مملوءة بكريات الجلجلان المعد يوم الطحين[1].

يوضع الأثاث في آنية خاص تدعى "الواغة"*****، بينما اللباس في التابوت والحلي وأدوات الزينة في"الجويلق"، يذهب الموكب راجلا إذا كان بيت الزوجية قريب المسافة من منزل والد العروس، وعلى الحمير إذا كان بعيد المسافة ويشارك في أخذ الجهاز الرجال لحمل الأشياء الثقيلة والنساء والبنات لحمل ما خف وزنه، يسير الموكب وسط الطبول والأهازيج والزغاريد إلى أن يصل إلى المكان المقصود فيردد الجميع: "أم العريس رَانَا جِينَا رَحْبِي بِينَا". فيستقبلهم موكبًا آخر من أهل العريس بالترحيب والتهليل[2].

يوضع الجهاز في منزل العروس بينما المردود؛ طبيقة العريس؛ تدارة الفول وتدارة الجلجلان تسلم لأم العريس، ثم يصعد النساء والبنات إلى سطح المنزل حيث يقدم لهن الحليب والتمر، والرجال يستضافون في مكان آخر. وقد جرت العادة أن يأكل أهل العروس التمر ويرمون النوى في كل مكان من السطح لاعتقادهم بأنه بفعلتهم تلك سيكون للزوجين الكثير من الأبناء[3].

يبقى في منزل العروس إحدى النسوة من أهلها تكون قد اختارتها أمها لتحرص الجهاز ثم يعود الموكب من حيث أتى[4].

كما جرت العادة عند سكان قصر أدغاغ أن تقوم المرأة المرافقة للعروس (الرَّقَّادة) بالإشراف على استحمام العروس ويكون ذلك بعد صلاة العصر، لتقوم بعدها الماشطة بتسريح شعرها وتمشيطه إلى ضفائر عديدة

---

*. هو أكلة شعبية شهيرة في إقليم توات يدعى في الجهات الأخرى بالبركوكس لكن هذه الكلمة تطلق في هذا الموقف على ما ذكر استثناء فقط للمزيد: انظر ص 156، وانظر الملحق رقم15 ص408.

**. يقدر هذا الكيل بـ 40 غ3كغ.

***. للمزيد: انظر ص163.

****. الطبيقة والتَّدارة: آنيتان مصنوعتان محليا من مشتقات النخلة، للمزيد: انظر ص 216، وانظر الملحق رقم12 ص405.

1. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

*****. الواغة: تصنع خصيصا من أعواد شجر الرمان القابلة للطي، وتصنع صبيحة ذلك اليوم، تكون على شكل صندوق.

2. الحاجة عائشة امباركة بنت الصالح بلكبير(96سنة): مقابلة شخصية، بمنزل ابنها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/27 م.

3. نفسها.

4. نفسها.

ثم يغطى بالمنديل الأبيض الذي كان ضمن الجهاز الذي أعده لها العريس، وبعد صلاة العشاء تقدم وجبة العشاء للحاضرين، بعدها ترتدي العروس فستانا أبيض وتتزين بالكحل والمسواك والزعفران وتتعطر بالبخور وتبقى في انتظار أهل العريس[1].

بعد وصول موكب أهل العريس تتقدم أخت العريس(تلقب بالعَامَّة) وسط الزغاريد والأهازيج والطبول وتطأ بقدمها اليمنى على الفراش الذي تجلس عليه العروس المغطاة برداء أبيض (الحايك) والمحاطة بأهلها ثم تخرج إلى قاعة أخرى أين يقدم لها رفقة مرافقاتها التمر والحليب بعدها تقدم لها هدية التي لا تعدُ أن تكون طْبِيقة ممتلئة بالفول المطبوخ ومزينة بحبات بيض مطبوخة أيضا، كما يقدم لها عددا محدودا من حبات البخور التي أعدت[2].

بعد ذلك يأتي أخو العروس أو أحد أقاربها إن لم يكن لها أخا ممسكا المِسْبَحَة في يده اليمنى، ليمسك بيدها ويُقِمْهَا من مكان جلوسها، ومقابل ذلك يحصل على قطعة لحم ناضجة (تسمى لَقْصِيرْ) يأكلها رفقة أصدقائه[3].

بعدها تخرج العروس ممسكة بها مرافقتيها(الرَّقَّادَة) وعمتها(قْعَّادَةْ لَفْرَاشْ) كل واحدة من جهة، ويلحق بهم باقي الأهل مع أهل العريس ليكون الجميع موكبا واحدا ينطلق باتجاه منزل الزوجية. يسير الموكب راجلا إن كان البيت قريبا في حين تمتطي العروس فقط البعير إن كانت العروس متجهة لأحد القصور المجاورة ويتبعها البقية راجلين ضاربين الطبول وصادحين بالأهازيج الشعبية والزغاريد، أما إن كانت متجهة إلى أحد القصور البعيدة فتستعمل الحمير لنقل المرافقين وفي هذه الحالة يقل عددهم[4].

وفي هذه الأثناء في منزل أهل العريس وبالضبط بعد صلاة العشاء يجتمع أعيان القصر وأصدقاء العريس لحضور طقوس ما يسمى باللهجة المحلية اللْبَاْس، وعادة ما يقدم في هذه الأمسية مأدبة عشاء على شرف رجال وشباب القصر. يجهز لأداء طقوس اللباس طبيقة العريس الحاملة لمواد الزينة والتجميل التي أرسلتها أم العروس مع جهاز ابنتها. فيجلس العريس رفقة اثنين أو ثلاثة رجال من أعيان القصر وكبارهم سنا وسط الحلقة بينما يقوم عددا من الشباب بتغطيتهم برداء يمسكون بأطرافه[5].

يقوم هؤلاء الأعيان بمساعدة العريس في ارتداء ملابسه المتمثلة في: الجبة البيضاء (عباية باللهجة المحلية) والسروال الأبيض والبرنوس الأسود. والعمامة البيضاء (الحَوَّاقْ باللهجة المحلية)، ثم يقومون بوضع الزينة

[1]. الحاجة عائشة امباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

[2]. مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد الطاهري(أحد أعيان سكان قصر أدغاغ): مقابلة شخصية، بيته بزقاق الشهود بقصر أدغاغ، يوم2013/03/24م.

[3]. نفسها.

[4].لالة فاطمة بنت سيد صالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

[5] مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد الطاهري: المقابلة السابقة.

المتمثلة في الحنة والكحل والزعفران الذي يخلط مع الماء ويدهن به تحت العين ثم يبخرونه بالبخور ويقلدونه السيف*، وبعد الانتهاء يوزع الفول المطبوخ على الحاضرين مع العلم أنه أثناء القيام بهذه الطقوس يقوم بقية الحاضرين بقراءة مديح البردة[1].

عندما يصل موكب العروس إلى بيت الزوجية تقام بعض الطقوس أمام باب المنزل قبل أن يجتازوه، حيث تقوم إحدى النسوة ممن يرافقن العروس بكسر بيضة عند أعلى المدخل، ثم تحضر آنية بها حليب ويطلب من العروس أن تفتح عينيها جيدا وهي تنظر إلى الحليب، بعدها تبلل إحدى النسوة يدها بالماء وتمسح به قدم العررس، لتقوم أخرى بالوقوف عند الجهة اليمنى من المدخل وتتكئ بظهرها؛ لترفع ساقها اليمنى عاليا باتجاه الجهة اليسرى من المدخل ثم تمر العروس من تحته؛ لتقوم بآخر طقس حيث تمسك بالسكين وتسحبه على الجدران من المدخل الرئيسي إلى باب غرفتها؛ بعدها يتفرق الجميع ليبق أهل العروس فقط، تقدم لهم الضيافة التي هي عبارة عن ثلاثة أقداح** من الطعام المتمثل في الأكلة الشعبية المحلية "خبز القلة*** والعَصْبَان"بدل اللحم، وإن حدث وقد تناول هؤلاء وجبة العشاء قبل مجيئهم تؤخذ الضيافة إلى الجيران، بعدها يرجع أهل العروس من حيث أتوا مع بقاء حوالي عشر نسوة معها رفقة عمتها ومرافقتها (الرڤادة) حيث ينزوون في إحدى الغرف[2].

في هذه الأثناء يصل العريس رفقة مرافقه**** (يدعى الوزير باللهجة المحلية) محاطين بجمع من الرجال والشباب مرددين مدائح البردة، وبمجرد وضع قدمه عند عتبة البيت يدفعونه إلى الداخل ويرجعون من حيث قدموا[3] ليتركوا العريس رفقة عروسه.

صبيحة اليوم التالي تجهز أم العريس فطور الصباح وتدارة السفوف واللبن وما يعرف محليا بالصْبَاح لترسلها إلى منزل العريس، الصْبَاح عبارة عن طْبَقْ وضع فيه لحم (يقدر بربع خروف) ومبلغا من المال يقدم هدية للعروس[4].

---

*. يظل هذا السيف الذي هو رمز الرجولة والشهامة مع العريس طيلة أيام الحِجْبَة التي تدوم من 7 إلى 9 أيام ابتداءا من ليلة الدخلة.

1. مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد الطاهري، المقابلة السابقة.

**. في القرنين 18 و 19 م كانت الأقداح مصنوعة من جذع الأشجار بعد ستينيات القرن 20 م بدأت تظهر صحون التوتياء والحديد المطلي.

***. للمزيد حول " خبز القلة": انظر: ص 157، انظر الملحق 16 ص409..

2. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

****. مهمة المرافق (الوزير) هو إرشاد العريس وتوجيهه في أمور العلاقة الزوجية.

3. مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد الطاهري: المقابلة السابقة.

4. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

تأخذ مرافقة العروس (الرڤادة) اللحم وتقوم بتقطيعه إلى قطع صغيرة تاركة العظم على جنب تأخذه إلى منزلها أو إلى منزل والدة العروس، ثم تطهي اللحم الذي يطلق عليه اسم آكليف لتقدم جزء منه للعروسين وجزء تحتفظ به[1].

عندما ينهي العروسين وجبة الفطور يلحق العريس بأصدقائه في منزل آخر، وتبقى العروس في منزلها حيث تتزين وتتجمل في انتظار إطلالة البنات اللواتي يحضرن لرؤيتها وتهنئتها، وكلما حضرت فتاة أو مجموعة منهن تقدم لهن مرافقة العروس قطعة من لحم آكليف، وفي المقابل يقدمن لها هدية لا تعدُ أن تكون قطعة نقود أو شيئا من الزرع، وقبل انصرافهن تأخذ المرافقة شَرْبِيَّة* العروس (غطاء رأسها) وتمررها على شعر كل واحدة من الفتيات الواحدة تلو الأخرى كفأل حسن وبنية الزواج بعدها مباشرة[2].

تمكث العروس في بيتها لا تغادره طيلة 9 أيام بلياليها؛ بالنسبة للجَيِّدَة و7 أيام بلياليها بالنسبة للحرثانية، كل يوم يجتمع عندها البنات يتغذين و يتعشين معها؛ فتقرع الطبول وتردد الأغاني[3].

وأثناء تواجد العريس مع أصدقائه ترسل لهم الوالدة تدارة الفول وتدارة الجلجلان اللتان أرسلتا من منزل والد العروس يوم الدخلة؛ حيث توزع المحتويات على الحاضرين؛ فيأخذ كل واحد كمية من الفول وحبة بيض وكرية جلجلان. ويظل الجميع مستمتعين طيلة 7 إلى 9 أيام بلياليها وتسمى هذه اللمة بلمة الشباب (لَعْذَارَى باللهجة المحلية)، في هذه الأيام يتغذون مع العريس في منزل والديه إلا أن وجبة العشاء يتناوب عليها هؤلاء الشباب، كل ليلة يحضر احدهم قَدْحاً** أو قدحين من الكسكس، كما تقام السهرات الموسيقية في هذه الليالي[4].

في اليوم الأخير من أيام الحجبة التي استمرت طيلة 7 أيام أو 9 تقام آخر الطقوس المتعلقة بحفلة العرس والتي يطلق عليها مصطلح لَحْزَام باللهجة المحلية، حيث أنه في هذا اليوم تعزم أم العريس أهلها ومعارفها وكذلك الشأن بالنسبة لأم العروس وتقوم هاته الأخيرة بإعداد وجبة الغداء في منزلها لتأخذها عند منتصف النهار رفقة مدعويها إلى منزل حَمِي ابنتها العروس، أين سيتم تناولها رفقة كل المدعوات من الطرفين، مع العلم أن عدد

[1]. الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة..

* . للمزيد حولها: انظر ص 175.

[2] . الحاجة حسنية بورقبة: المقابلة السابقة.

[3]. نفسها.

**. القَدْحُ هو الصحن.

[4]. الحاج مبروك بن الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: مقابلة شخصية، ببيته بزڤاڤ مكناس بقصر أدغاغ، يوم2013/03/28 م.

المدعوات يكون ليس بالكثير وربما اقتصر على كبيرات السن فقط، بعدها تقرع الطبول وتردد الأغاني وسط التصفيقات والزغاريد في انتظار أداء آخر الطقوس.[1]

تؤدى هذه الطقوس ابتداء من الصباح حيث يخرج العريس باكرا من بيته قاصدا منزل والديه أين يتناول وجبة الفطور رفقة مرافقه (لُوزِير) مع والدته؛ وأصدقاؤه ينتظرونه خارجا، وحين يهل عليهم يرتادون بساتين القصر وكل بستان يدخلونه يعطيهم صاحبه ثمرة من كل أنواع الخضر والفواكه التي حان وقت قطافها كما يعطيهم غصنا أو أوراق كل نوع من النباتات المزروعة في البستان، وإن صادف وغاب صاحب البستان أثناء مرورهم فمسموح لهم أن يأخذوا غايتهم دون إذنه، فالعادة عندهم أو العرف لا يقف في سبيل تنفيذهما حائل[2].

الخضر والفواكه يضعها العريس في قلنسوة برنوسه بينما الأعشاب والنباتات* يجمعها في برنوسه بعدما يأخذ بحوافه. وبعدما يجمع كمية كبيرة من المنتجات الفلاحية يفل الموكب راجعا[3].

في هذه الأثناء تمارس العروس هي الأخرى آخر طقوسها حيث يحضر أهلها إلى بيتها برفقة أهل العريس إذ لا تتم هذه الطقوس إلا بحضور نائبات عن الطرفين، حينها تجلس العروس وسط القاعة لتتقدم أكبر النسوة من بين الحضور والتي تكون من أهل العروس وتختار واحدة لتساعدها، ثم تقوم عددا من الحاضرات بتغطيتهن ثلاثتهن برداء أبيض ثم تبدأ طقوس لَخْزَام، حيث يمشط شعر العروس على ضفيرتين تتدليان على كتفيها ومن الخلف توضع لها ما يعرف محليا بـ "القْطاية"** متدلية على العنق من الخلف ومزينة بحلقات من الفضة وقطع من الأصداف البحرية البيضاء اللون تدعى محليا بالبَيّاض، كما يوضع على مقدمة شعرها حلية للرأس مصنوعة من العقيق الملون المنتظم في خيوط متصلة مع بعضها البعض تسمى "السَّبْتة"، كما يعلق في شعرها أعلى كل أذن حلية من الفضة تسمى بـ "اللْسَانات" ويحاط عنقها بثلاث عقود أحدها من العقيق الأسود والآخر من العقيق الملون والثالث من المرجان*** ( العقود التي أهداها لها والدها ضمن جهازها)، بعد ذلك تعمل المرأة على تزيين وجهها حيث تضع لها كحل العين، و تدهن وجنتيها وأنفها بماء الزعفران، ثم تلبسها رداء أبيضا يسمى" ليزار" وتضع لها الأساور في يدها ( الدباليج) وتشد وسطها بعمامة زوجها وكل هذا وسط الزغاريد وعبارات المدح (التَّضَرَّايْ)، في هذه الأثناء يصل العريس ومرافقوه فيدخل العريس ليضع ما حمل في قلنسوة برنوسه من ثمار في حِجْر زوجته بينما ما حمله من أعشاب ونباتات يوزع على أربعة أجزاء، جزء تأخذه مرافقة العروس (الرَّقّادَة)

---

[1]. لالة رقية بنت مولاي احمد بن مولاي ادريس: المقابلة السابقة.

[2]. مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد طاهري: المقابلة السابقة.

*. النباتات التي يجمعها العريس يطلق عليها إسم الشامية

[3]. الحاج مبروك بن الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: المقابلة السابقة.

**. للمزيد: انظر ص 178.

***. للمزيد حول هذه الحلي ينظر: ص 179، وانظر الملحق رقم21 ص414.

لأغنامها وجزء تأخذه والدة العريس لأغنامها أيضا والجزء الثالث لأم العروس أما الجزء الرابع فيرمى على الرداء الذي يدثر العروس وتختطفه النسوة الحاضرات لنعاجها، حيث يقال أن هذا الحشيش يبعد العين عن الأغنام[1]، بعدها يجهز محلول من الماء ومادة لَخْوَاضْ في لَمْشَرْبَة ويوضع فيه رأس جريدة ( غصن النخلة ) أخضر جلب من بستان الوقف، تحمله مرافقة العروس بينما تقوم امرأة أخرى بتغطية العروس برداء أبيض مع تغطية رأسها بالسَّبْنِيَّة وأخذها من يدها للاتجاه نحو المسجد إن كان قريبا من المنزل أو إلى ثلاث بيوت من بيوت الجيران إن كان المسجد بعيدا عن المنزل، حيث أنها أثناء سيرها تقوم برش المحلول في الشارع (بواسطة غصن النخلة) إلى أن تصل إلى المكان المقصود؛ فتضع قدمها على العتبة ثم تقفل راجعة إلى منزلها وهي مازالت ترش المحلول والنساء خلفها يزغردن ويغنين وبين الحين والآخر تهتف إحدى المرافقات بتَضَرَّايْ، وحين وصولهن إلى المنزل تجلس العروس بإتجاه القبلة في مكان آخر غير الذي جلست فيه من قبل والنساء أمام ناظريها، ثم تحضر والدة العريس أو أخته وتقوم برفع الرداء الذي يغطي العروس ثلاث مرات وهي تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تسحبه، حينها يستدعى العريس لفك الرباط الذي يشد وسط العروس بعدها يوضع رضيع في حجرها تبركا وتفاؤلا لها بالذرية[2].

بعدها تتداول الحاضرات على ربط مناديل رؤوسهن على رأس العروس بدءا من المتقدمات في السن بغية التبرك، بعدها تطلب إحدى النسوة من العروس أن تر في المرآة التي تمسكها ثم تخفيها لتكرر العملية ثلاث مرات، بعدها تلتفت للحاضرات لتمد لهن المرآة وهي ممسكة بها ليرين فيها، والهدف من ذلك في اعتقاههم أن النظر في المرآة التي نظرت فيها العروس تقضي على مرض ضبابية العين، بعدها تجلس إحدى هاته النسوة خلف العروس وتقوم بهزها ودغدغتها حتى تضحك عاليا وتظهر أسنانها، في هذه الأثناء يجلب صحنا مليئا بالكسكس الغير ممرق وطبق فارغ، تقوم العروس بعد أن تمسك مرافقتها بيدها بأخذ الطعام من الصحن ووضعه في الطبق على ثلاث مرات، وهذا الأخير يوزع على البنات العازبات.بعدها تتجه العروس إلى غرفتها لتتناول وجبة الغذاء رفقة زوجها، بينما تتجه النسوة اللواتي كن معها إلى منزل والدة العريس لتناول وجبة الغذاء، بعدها تقرع الطبول وتصدح المداحات بالغناء بمساعدة الحاضرات اللواتي تبدأن بالتصفيق وترديد المرجوعة الغنائية وإصدار الزغاريد بين الفينة والأخرى، ويستمر الحال هكذا إلى أن يحين موعد العصر فيتفرق الجميع[3].

في المساء تخرج العروس رفقة مرافقتها(الرَّقَّادة) لتزور جيرانها الذين لا يتوانون عن تقديم شيء من المؤونة (كيلا من الزرع أو التمر) لهذه المرافقة[4].

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

[4]. نفسها.

وفي هذا اليوم جرت العادة أن تأخذ العروس من جهازها قدرا ونَفْقَة (صحن من الطين) وملعقة (من العود) و قصعة (من العود) وطْبِيقَة لتقدمهم هدية لحماتها[1].

وفي هذه الليلة يتم إعداد وجبة العشاء في منزل العروس حيث يجتمع أهل العروسين يتجاذبون أطراف الحديث قبيل تناولهم الوجبة[2] ثم افتراقهم على الخير مثلما اجتمعوا عليه[3].

***.عادات و أعراف متعلقة بالزواج:**

**أولاً:** شيوع ظاهرة زواج الأقارب في المجتمع الأدغاغي وخاصة لدى بعض العائلات المعروفة والتي كانت تمتلك بساتين وعقارات كثيرة، والسبب في ذلك حسب رأيي هو أن هذه العائلات تمنع المرأة من الإرث، وحقها الشرعي يكون وقفا عليها ما دامت حية، وربما هذا الأمر الأخير يقف حائلا أمام وقوع أي مشاكل بين الزوجين فيما يخص إرث الزوجة في حالة زواجها من رجل من عائلة أخرى، مع العلم أن هذا حدث ولازال يحدث لدى بعض العائلات المعروفة لدى الجميع أما العائلات الأخرى فهي ملتزمة بشرع الله سبحانه وتعالى وتعطي كل ذي حق حقه ولا ضير إن تزوجت المرأة بقريب لها أو بعيد، وما عداه فهو شاذ.

**ثانيا:** شاع في المجتمع الأدغاغي كغيره من المجتمعات التواتية ظاهرة زواج تكافؤ النسب (العرق)، زواج المرأة من رجل من طبقتها، حيث الشريفة لا يتزوجها إلا الشريف والمرابطة لا يتزوجها إلا المرابط وغيره، إلا أن الرجل كان بإمكانه الزواج بامرأة من الطبقات الأخرى لكن نادرا ما كان يحدث هذا، كما لم يكن يسمح لرجل من مرتبة أدنى أن يخطب امرأة من مرتبة أعلى إلا إذا كانت بين الطرفين مصاهرة سابقة، مع إمكانية زواج رجل من مرتبة أعلى بامرأة من مرتبة أدنى حتى أن بعض الرجال من طبقة البيض (الاجواد) على اختلاف مراتبها تزوجوا بنساء من طبقة السود (الحراثين) بسبب عدم إنجابهم من زوجاتهم السابقات إذ ينصحهم المعالج الشعبي (الطالب باللهجة المحلية) أن يتزوجوا من السود (قْصيفَة الدم باللهجة المحلية) من أجل الذرية، وفعلا هناك حالات كثيرة حدثت في الفترة المذكورة تمكن خلالها عددا من الرجال من الإنجاب بعد زواجهم من نساء من طبقة السود، مع العلم أنهم عاشوا فترة طويلة مع زوجاتهم من نفس طبقتهم ولم يتمكنوا من الإنجاب، بل هناك من الرجال ممن تزوج اثنتين أو ثلاث نساء من طبقته ولم ينجب إلا عند زواجه من امرأة من طبقة السود[4].

**ثالثاً:** ظاهرة الطلاق لم تكن لتشكل ضررا على المجتمع الأدغاغي، فقد كانت المرأة المطلقة تكرر الزواج متى سنحت الفرصة، كما يقوم زوجها بتربية أبنائها إن كان لديها أبناء وكذلك الشأن بالنسبة للأرملة.

---

[1]. لالة عائشة بنت مولاي الصديق بن مولاي امحمد طاهري: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ يوم 2013/03/29م.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

**رابعا:** انتشرت في المجتمع الأدغاغي ظاهرة شراء العبيد، حيث أن تجار توات الحنة كانوا يمارسون هذه التجارة ويعرضون سلعهم في الأسواق المشهورة (كسوق بَرَّتْ حْمِيَّانْ وسُوق رَحْبَةْ الخْنَافْسَة*)، وعادة لم يخل بيت أدغاغي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر و ستينيات القرن العشرين من عبد وزوجه وأولاده، حتى أن بعض العائلات ملكت عددا كبيرا من العبيد بغرض خدمة بساتينها، ويذكر أن الحاج امحمد لكبير مؤسس القصبة القديمة خصص حيا لعبيده سمي بزقاق العبيد وكان يقع في مقدمة قصبته.

إلا أنه أواسط القرن العشرين قلت ظاهرة شراء العبيد إلى أن انعدمت مع سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقة، و مع مرور الزمن تحرر العبيد من أسيادهم وامتلكوا الدور والبساتين وأصبح لا يربطهم بأسيادهم سوى لقب لالة وسيدي والاستعداد للخدمة أيام الأفراح والأتراح.

- **طقوس الجنازة و المعتدة من وفاة:**

⋆. **الجنازة:** جرت العادة في قصر أدغاغ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن لا يعلن عن حالة الوفاة إلا بعد التأكد من ذلك بواسطة شخص معروف بخبرته في هذا المجال. وبعد التأكد يجتمع أهل المتوفى في منزله ليحدد موعد الغسل وموعد الدفن ليعلن عن ذلك في المسجد عقب الصلاة[1]، وإذا كان المتوفى رجلا متزوجا فإن زوجته تتدثر بغطاء فلا يظهر منها إلا الوجه؛ وهذا الدثار يصطلح على تسميته بـ "عمامة الصلاة"[2]. بعد ذلك تبدأ التحضيرات لتجهيز الميت (تغسيله وتكفينه) حيث يتم أولا جلب باب الغسل** و الحجرة والمحمل من السقيفة المتواجدة على مستوى المقبرة وقد بنيت خصيصا لحفظ هذه الأشياء[3].

في هذه الأثناء يعمل أحدهم (يكون ذا خبرة) على خياطة الكفن الذي يستعمل فيه عشرة أذرع من القماش الأبيض، بينما تقوم بعض النسوة المتقدمات في السن وذوات خبرة بتدقيق الحَنُوطِ*** الذي يتكون من أربع مواد هي: ورد الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وحبتين أو ثلاث من القرنفل (عود النوار) وقليل من

---

*. هذان السوقان كانا من أشهر الأسواق المزدهرة في إقليم توات، يقصده التجار من مختلف ربوع الوطن للاستيراد أو التصدير، مقره في قصر أدغاغ، الأول كان يقام بالقرب من القصر في ساحة تتوفر على المياه (فقارة ضاهر)والمرعى كان يقصده تجار حْمِيَّان بكثرة لذلك سمي باسمهم أما الثاني فكان يقام على مشارف القصر في رحبة واسعة جدا، وكان مقصد تجار الخنافسة لذلك سمي باسمهم.

1. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

2. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ يوم 2014/03/16م.

**. لوحة خشبية بحجم الباب صنعت خصيصا ليغسل الميت عليها، هذه اللوحة محفوظة في غرفة خاصة في المقبرة.

3. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

***. يستعمل في ذلك الحجرة التي أحضرت من المقبرة مع باب الغسل والمحمل.

الغالية وقليل من العنبر، حيث تخلط هذه المواد وتدق في الحجرة، ثم تعجن بالماء لتكون خليطا سائلا يوضع فيه القطن* بعد تنقيته من بذوره ويترك جانبا[1].

الماء الذي يستعمل في عملية الغسل يُجْلَبُ من ساقية ماسيني المتواجدة في مدخل القصر ( ساقية فَمْ القَصْر) دون غيرها؛ لأن الساقية يوجد بها ماء وقف على تغسيل الموتى؛ فتذهب أربع نسوة لجلبه حيث يأخذن معهن سطلين وآنية لغرف الماء؛ وقد جرت عادة سكان قصر أدغاغ أن تتعاون كل امرأتين على حمل سطل حتى يعلم كل من رآهن أن هناك جنازة، فيتحرى وقت صلاة الجنازة، وأثناء جلب الماء لا ينبسن ببنت شفة. وعند وصولهن إلى منزل المتوفى لا يدخلن بالماء بل يُسَخن في الشارع قرب المنزل، وبعد ذلك يؤخذ إلى مكان الغسل حيث وضع المتوفى على باب الغسل، فيتولى ثلاثة أشخاص ذوي خبرة ذلك شرط أن يكونوا أو يكن (حسب جنس الميت) على طهارة و وضوء. فواحد يمسك الميت والآخر يصب الماء والثالث يتولى عملية الغسل، مع العلم أنه يستعمل ماء سطل لتوضئة الميت وماء السطل الآخر لغسله[2].

بعد الانتهاء يوضع للميت الحنوط في أماكن معينة من جسده(العينان والأنف والأذن والفم وحفرة أسفل الرقبة وتحت الإبطين وبين أصابع اليدين والرجلين والعانة). ثم يُكفن بطريقة خاصة. بعدها يوضع في المِحْمَل وأثناء ذلك يردد الفاعلون عبارة: " تب واغفر للجميع يا الباري يا الغفار"[3].

الأشخاص الذين قاموا بعملية غسل الميت يغسلون أيديهم أولا بخليط من الماء ومسحوق الحنة؛ ثم بماء الغسل إن بقي منه أو بالماء العادي إن لم يبق ماء الغسل ويقومون بذلك بدون مساعدة أحد؛ ويحدث هذا في الشارع، أما الآنية التي يغسلوان منها أيديهم لا تُرْجَع إلى منزل الميت إلا بعد أن تُغْسل في الساقية وتملأ بالماء[4].

موضع الغسل يُبَخر ببخور أم الناس ثم يُحْدثون فيه شقوقا بالسكين ولسان حالهم يردد:" اللهم صل على سيدنا محمد" ثم يُجْمع التراب المبلل بماء الغسل (يسمى باللهجة المحلية أَمَرْدَة) وكل من أتت للتعزية تأخذ كمية من هذا التراب بكلتي يديها وتضعه في المرحاض قرب الكُوة المعَدة لوضع الغائط. وتقوم بهذا العمل ثلاث مرات[5]. وعندما يحين موعد الدفن يحضر الرجال من أهل الميت لأخذه إلى المقبرة، وعند رفع المِحْمَل من على الأرض يَتَعَشقون في النبي صلى الله عليه وسلم فتردد مجموعة:"لا إله إلا الله " وتكمل المجموعة الأخرى:" محمد

*. كان يجلبه تجار توات الحنة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وفي أوائل القرن العشرين بدأ فلاحو القصر يزرعونه في بساتينهم.

[1].لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

[5]. نفسها.

رسول الله"، ثم يتوجهون إلى المقبرة حاملين معهم طْبَقْ به التمر وفوقه قطع خبز* يعطونه أجرة لحافر القبر وعند وصولهم يرددون: " جود واغفر للجميع يا الباري يا الغفار

جاه النبي قدمناه يا المولى ارحمنا ".

ثم يوضع الميت على الأرض ويبدأ الحاضرون في تلاوة ما تيسر من القرآن الكريم في انتظار حضور جمع المصلين[1].

بعد الصلاة ينثر في القبر وريقات شجرة الحناء الجافة ثم يوضع الميت ولسان حال الفاعلين يردد: "جواد كريم غفور رحيم" مع تغطيتهم برداء أبيض منعا للحاضرين من رؤية المشهد[2].

بعد الانتهاء يحمل شخصان أو ثلاثة من أهل الميت قليلا من تراب القبر في ملابسهم ثم يقفل موكب الجنازة راجعا إلى منزل الميت وهم يرددون وِرْدَ الطريقة الصوفية** التي كان يتبعها المتوفى، وعندما يصلون يدخلون إلى المنزل لقراءة ما تيسر من القرءان الكريم؛ بينما الأشخاص الذين يحملون تراب القبر يضعونه في موضع الغسل[3].عند ذلك تَفِدُ النساء فرادى وجماعات على منزل المتوفى يُقَدمن العزاء***، فإن كان المتوفى رجلا فإن زوجته تمسك بمحبس فضة (نوع من الخواتم) وكلما أقبلت عليها إحداهن للعزاء وكانت متزوجة تعض المعتدة على هذه القطعة ثم تناولها للمعزية والتي تعض عليها ثلاثا ثم ترجعها للمعتدة وهي تقول:"يَكَملْ ليك بالخير" بمعنى " تنهين فترة العدة دون مصيبة أخرى". مع العلم أن الرجال يقدمون العزاء للرجال من أهل المتوفى في المقبرة بعد الانتهاء من الدفن ومن لم يتسن له حضور الجنازة يقصد منزل الميت[4].

جرت العادة في قصر أدغاغ أنه ولمدة الأيام الثلاثة الخاصة بالعزاء تخرج الصدقة على الميت، حيث يتم طهو الخبز على الرضفة في موضع الغسل، ثم يجزأ إلى قطع صغيرة الحجم ويوزع على النساء اللواتي قدمن لتقديم واجب العزاء وكذا على الأطفال في الشارع. وقد جرت العادة أيضا أنه في اليوم الأول يطبخ ثلاث خبزات وفي اليوم الثاني خبزتين وفي اليوم الثالث خبزة واحدة. كما أنه في وجبة العشاء يتم طهو مقدار أَزْقَنْ و رُبْع من القمح في اليومين الأول والثاني؛ وثلاثة أزقان في اليوم الثالث حيث تقام مأدبة عشاء يحضرها أهل وأقارب وجيران

---

*. نوع خاص من الخبز المحلي المصنوع من دقيق القمح والمطهو على حجرة تدعى الرضفة.

[1]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

**. من بين هاته الطرق الصوفية التي ينتمي إليها سكان قصر أدغاغ طريقة سيدي أحمد بن موسى (كرزاز) أوطريقة أخيه مولاي الطيب أو طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني.

[3]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

***. يقول المقدم على العزاء: "خلى ليكم البركة" "ترك لكم البركة" فيرد المتلقي:" يوَخرْ عنا وعنكم" "يُؤَخرُ عنا وعنكم الموت".

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

الميت رجالا ونساء حيث يطلق عليها باللهجة المحلية (يوم الخَتْمة)؛إذ يتم ختم السلكة (القرآن الكريم) في هذا اليوم الثالث وبذلك تنتهي مدة العزاء، مع العلم أنه يتم تلاوة القرءان الكريم أيضا في اليومين السابقين[1].

ومن العادة أيضا أنه في اليوم الثالث من دفن الميت يُجْلب جريدة نخلة من بستان الوقف (جنان الحبس) وغصن شجرة رمان أخضر؛ ويوضعان فوق القبر بعد تثبيتهما بمعجون الطين كما يوضع على القبر آنية (قدح "صحن مصنوع من الطين" أو "خشاشة " ثمرة اليقطين جافة ومنزوعة المحتوى الداخلي تستعمل لحفظ اللبن")[2].

من الأمور الغريبة فيما يخص طقوس الجنازة أن قبيلة أولاد عايد لا يتناولون الطعام في دار الميت ولا يشربون حتى الماء؛ و إن كان الميت لهم فإن طعامهم يُعَد لهم في منزل الجيران حيث يقومون بتوفير ما يلزمهم من نفقة لمدة ثلاثة أيام ويوضع في منزل أحد الجيران لإعداده لهم، مع العلم أنهم يقومون بالطهي في منزل الميت لكن يأكل منه الضيوف فقط وليس أهل المتوفى، حتى أن الذي يستعمل الشمة من أهل الميت يجب أن يحضرها من خارج البيت ولا يستعمل الشمة المتواجدة عنده. كما أنهم لا يصافحون المعزين بل يكون العزاء بالكلام فقط[3]. وقد استمرت هذه الطقوس لدى قبيلة أولاد عايد لم يتغير منها شيء ولا زالت.

⋆. **المعتدة من وفاة (الرَّابْطة)**: حسب الشريعة الاسلامية فإن المتوفى زوجها تلزمها عدة الوفاة المقدرة بأربعة أشهر وعشرا إذا كان رحمها خاليا مصداقا لقوله تعالى:" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا..."[4]، أما إن كانت حاملا فستتمدد فترة عدتها إلى أن تضع مولودها لقوله تعالى: " و أولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن"[5].

بعد انتهاء فترة العزاء المقدرة بثلاثة أيام تُمَارِس المعتدة (الرابطة باللهجة المحلية) ويمارس عليها عددا من الطقوس. حيث أنه في اليوم الرابع ترتدي المعتدة جبة زوجها بعدها تحضر امرأة مطلقة أو أرمل (متقدمة في السن) لتَمْشَطَ لها شعرها بطريقة خاصة؛ فتدهن الشعر بمعجون طحين أوراق نبتة هَقَرَّقْرْ (عشبة السَّنَا مكي cassia italica) وتقوم بعملية التمشيط باستعمال شوك ذكر النخلة؛ و يتم ذلك كالآتي: يقسم الشعر إلى جزأين جزء يضفر على سبع ضفائر والجزء الآخر على خمس أو تسع ضفائر، بعدها يغطى بقطعة قماش سوداء تلفه كاملا؛ بحيث لا يظهر منه ولو شعرة لتدثر رأسها بمنديل يتدلى على كتفيها، مع العلم أن هذه

[1]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة فطومة بنت ابا امحمد بن ابا حسون العايدي: مقابلة شخصية، ببيتها بالقصبة القديمة، يوم 2014/03/19م.

[4]. الآية 234 من سورة البقرة

[5]. الآية 4 من سورة الطلاق.

الطقوس تجرى داخل خيمة تنصبها مجموعة من النسوة تحجب الرؤية عن الحاضرات (البنات) اللواتي يستدعين في هذا اليوم بالذات وتقام على شرفهن مأدبة عشاء تعد فيها أكلة المردود[1].

بعد أسبوع من أداء هذه الطقوس تحضر نفس المرأة التي قامت بها وتقوم بفك الضفائر ثم إعادة مشطها بنفس الطريقة والوسائل السابقين[2].

كما جرت العادة أنه في يوم السبت دون غيره من الأيام الأخرى تحضر بعض الفتيات من أقارب أو جيران المعتدة ليجلبن لها الماء من الساقية؛ فتقوم بالاستحمام وغسل ملابسها[3].

كما جرت العادة عند سكان قصر أدغاغ أنه طيلة فترة العدة تكون نفقة المعتدة من أكل ولباس على عاتقهم، وكلما زارتها إحداهن قدمت لها هدية تتمثل في كيل من الزرع أو حبات بيض أو حليب أو تمر أو خضر وفواكه أو قطعة قماش وغيرها[4].وهذا إن دل على شيء إنما يدل على روح التضامن والتكافل في المجتمع الأدغاغي مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه" رواه البخاري[5].

كما جرت العادة أن المرأة المعتدة إذا اضطرت للخروج من بيتها لرعاية مصالحها ومصالح أبنائها اليتامى فلا بأس بذلك شرط أن تخرج متدثرة (بشكل عمامة الصلاة حسب اللهجة المحلية) وعليها أن تعود إلى منزلها قبل آذان العصر[6].

إن كانت المعتدة حاملا فإن عدتها لا تنته إلا بوضعها لمولودها لقوله تعالى:"و أولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن"[7]. حينها تنزع المنديل الأسود عن شعرها وتضعه فوق المهراس الخشبي الكبير معلنة بذلك عن انتهاء عدتها أما المرأة الخالي رحمها فتستمر عدتها لمدة أربعة أشهر وعشرا[8].

جرت العادة عند سكان قصر أدغاغ أن يوم تمام العدة يحسبه الرجال من أهل المعتدة وإن اختلف في تحديد ذلك يلجأ إلى إمام القصر(الشاهد باللهجة المحلية) فهو الذي يبث في الأمر بعد تحديد يوم الوفاة[9].

---

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي ،(من النسوة اللواتي كن يستدعين لتأدية هذه الطقوس): مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق إِخْلَفْ، يوم 2014/03/19م.

[2]. نفسها.

[3].لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

[5]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: (ج7)، المصدر السابق، ص14.

[6]. الحاجة امباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[7]. الآية 4 من سورة الطلاق.

[8]. الحاجة امباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[9]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

عند انتهاء عدة المتوفى زوجها(الرابطة) تقيم ويقام عليها طقوسا خاصة.

فبعد الإعلان عن يوم انتهاء العدة تخرج الفتيات بعد صلاة العصر إلى الرق بعيدا عن مساكن القصر حيث تقمن بحفر ثلاث حفر عمقها بضع سنتيمترات وهن يرددن:"هذا حق اَبَّا و امِّي والجماعة كاملين" بمعنى "هذا حق أبي و أمي والآخرون كلهم"؛ وبعد الانتهاء ينتظرون هناك، بينما يكلف اثنين أو ثلاثة من أقاربها دون علم أحدهما بالآخر بتحضير قطع من الملابس النسائية (منديل، فستان أو قطعة قماش) والاختباء في الرق أين تتواجد الفتيات استعدادا لرمي ما جهز من ملابس للمرأة المنتهية عدتها فور سماعه الكلمات المتعارف عليها والخاصة بأداء هذا الطقس[1].

في هذه الأثناء تخرج المنتهية عدتها من بيتها رفقة امرأتين أرملتين كل واحدة تمسكها من طرف قاصدين مكان تواجد البنات (الرق)؛ وواحدة منهن تضرب على صفيحة حديدية بحجرة أو قضيب خشبي وهي تردد:"اهربوا؛ اهربوا؛ لاَلاَّكُمْ مسعودة جات" فيهرب الرجال والأولاد من الطريق[2].

عندما يصل الثلاثة إلى المكان المقصود تتقدم المعنية بالأمر (المنتهية عدتها) وتجلس في حفرة وتضع كل قدم في الحفرتين الباقيتين، حينها تغطيها البنات برداء يمسكنه من أطرافه ثم تستحم وبعدها ترتدي ملابس جديدة مع وضع الملابس التي كانت ترتديها في قفة في انتظار حملها من طرف إحدى مرافقتيها الأرملتين ثم يخضبون يديها وقدميها بالحناء و تكتحل وترتدي الحايك ويمكثن هناك، وحين تغيب الشمس تتوضأ في انتظار الآذان[3].

بعد آذان المغرب تصلي المرأة المعنية والمرافقات لها يراقبن السماء في انتظار ظهور أول نجمة وفور حدوث ذلك تردد الفتات:" اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، سعدك يا الأول، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، حظك يا الأول".

حينها ينطلق الشباب المختبئون من أماكنهم متسابقين نحو المرأة المنتهية عدتها، ومن يصل أولا يرمي لها هديته ثم يعود من حيث أتى وقد نال السعد والحظ الجميل[4].

بعد ذلك تخرج النسوة من القصر وهن يقرعن الطبول ويصفقن ويؤدين رقصة الركبية* بين الفينة والأخرى، والزغاريد تعلو والأهازيج تصدح قاصدين مكان تواجد المرأة المنتهية عدتها والبنات[5].

---

[1]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[4]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

*. للمزيد حول هذه الرقصة: انظر ص387.

[5]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

ولما تصل النساء إلى وجهتهن يقمن بتهنئة المرأة ومنحها ما استطعن توفيره من مؤونة (قمح- شعير- تمر. بيض ....) لتجمع وتحملها بعض النسوة أثناء العودة[1].

يرجع الموكب إلى داخل القصر بالطبل والزغاريد ورقصة الركبية والجميع يردد" أنا اَرْجيت مولانا ربي ما يخيبني" بمعنى " أنا انتظرت من الإله أن لا يخيب ظني" وكلما التقى بالموكب رجل أو ولد قدم لها قطعا نقدية إن توفرت لديه[2]. عند وصول الموكب يدخل الجميع إلى منزل المرأة المعنية ليستمر قرع الطبول والرقص وترديد الأهازيج والأغاني الشعبية حتى آذان العشاء بعدها يتعشى البنات بوجبة تختلف عن وجبة النساء والرجال؛ فيتناول الصنف الأول كسكس الشعير ( كسكس يفتل بطحين الشعير) مع لحم رأس الغنم؛ بينما يتناول الصنف الثاني كسكس القمح، وبعد العشاء يواصلن الاحتفال مدة من الزمن قبل أن ينصرف الجميع معلنين عن انتهاء طقوس اكتمال عدة المعتدة من وفاة مع العلم أن المرأتين اللتين رافقتا المعتدة إلى خارج القصر تمنحن نصيبا مما أهدي لها (قمح- شعير- تمر...)[3].

**ثانيا: عادات تنشئة الأبناء**

بمجرد الزواج تتكون الأسرة التي تعتبر اللبنة الأولى في بناء المجتمع ومن ثم تظهر أحداثا جديدة تستوجب القيام بعادات وتقاليد تعارف عليها المجتمع.

تعتبر ممارسة العادات والتقاليد قيدا يكبل الفرد ضمن مجتمعه رضي بذلك أم لا، فممارسة طقوسها يثبت انتماءه وإخلاصه لمجتمعه، إلا أنه مع انتشار التعليم الموجه والانفتاح على الثقافات الأخرى عن طريق التلفاز والمذياع؛ بدأت بعض الطقوس تقل نسبة ممارستها نظرا لكونها تنافي الشريعة الإسلامية، أو لتوفر إمكانيات مادية سدت الثغرة التي أدت إلى ممارسة ذلك الطقس.

وفيما يلي عرض لبعض الطقوس التي مارسها المجتمع الأدغاغي كغيره من المجتمعات التواتية، مع العلم أن معظم العادات تمارسها كل المجتمعات التواتية إلا أن هناك اختلافا في أداء بعض طقوسها من منطقة إلى أخرى وأحيانا من قصر إلى آخر.

اخترت أهم الأحداث التي تمر بها كل أسرة، لأبين الطقوس التي تؤدى خلالها، وقد تمثلت هذه الأحداث في النفاس وختان الصبي ثم حفظه لكتاب الله تعالى وأخيرا الاحتفال ببلوغه وبالتالي صيامه.

[1]. لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

- **. النفاس والختان:**

⋆. **النفاس:** عندما تشعر المرأة الحامل بآلام المخاض ترسل في طلب أمها وعدد من قريباتها المتقدمات في السن، وكذلك حماتها وعددا من قريبات زوجها ليحضرن عملية الولادة؛ التي تتم في المنزل بمساعدة امرأة أو اثنتين ممن يشهد لهن بالكفاءة في ذلك، وفي حال تيسر الأمر تقوم إحداهن بقطع السرة.

أما في حالة تعسر الولادة فما على الحاضرات سوى الدعاء لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، وفي هذه الحالة يمكن أن تسلم الأم ويموت المولود، أو تموت الأم و يسلم المولود أو يموت الاثنين معا أو يسهل الله الأمر ويسلم الاثنين معا، وهذا ما كان يحدث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أما أوائل القرن العشرين فقد سكن بالقصر رجل من تيديكلت كان ذا خبرة في معالجة الحيوانات (تجبير الكسور – مساعدة الشاة في حالة تعسر الولادة ) فكان سكان القصر يلجؤون إليه في حالة تعسر الولادة وغالبا ما كانت الولادة تتيسر على يديه بإذن الله تعالى[1].

جرت عادة سكان قصر أدغاغ بعد قطع السرة؛ أن تدفن سرة المولود الذكر عن عند عتبة باب المسجد أو الكُتَّاب؛ اعتقادا منهم أن ذلك يجعل الولد يتردد* على المسجد وعلى الكتاب، أما المولود الأنثى فتدفن سرتها تحت تمنضوي**؛ حتى تواظب البنت على النسج.

بعد قطع السرة ينظف المولود بخرقة قبل أن يغسل وكان يستحسن تغسيله في اليوم الذي ولد فيه. وأثناء عملية الاستحمام*** يبخر بأم الناس****. في النهاية يصب عليه ماء خُلِطَ بمسحوق نبتة أوراق القلاب أو الرطريط الجافة (zygophyllum albunim)( العقّاية)، وبعدها يلبسونه قطعة من الصوف (المنسوج محليا) خرقت في وسطها، ويظل يرتديها حتى يوم الاحتفال بانقضاء سبعة أيام على يوم ولادته، كما تعلق في يده إسورة أعدت من خيطين أبيض وأسود ملتفين حول بعضهما وفي وسطها ربطت صرة صغيرة تحتوي على بخور أم الناس، لاعتقادهم أن ذلك يبعد عنه الضرر (المس والعين)، كما يقوم والد المولود أو جده بالآذان في أذن المولود[2].

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. هناك مثل شعبي يتداول بين الناس في إقليم توات ويقال عن الشخص الذي يتردد على المكان عينه بكثرة:"سرته مدفونة فيه (في ذلك المكان)"

**. هي العصا التي يستند عليها المنسج الذي يستعمل لنسج القماش لصنع الملابس ونسج الأفرشة حيث في هاته الفترة الزمنية لم يكن يخلو بيت منه.

***. تتم عملية الاستحمام بالطريقة المستعملة في الغسل الأكبر.

****. نوع من البخور العلاجي يبخر لعلاج العين و المس، يستعمل فيه المكونات الآتية: بذور الكزبرة – قليل من الكبريت قليل من ملح البارود وقليل من عشبة آداد وقليل من بخور الإسلام، قليل من مادة لبّان الذكورة، حيث تخلط المكونات وتوضع في صرة كبيرة.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

كما جرت العادة أنه في الأيام الثلاثة الأولى للنفاس يطبخ للنفساء حساء خاص يدعى بـ "لَفْيَاض"* من مكوناته الأساسية طحين القمح وطحين العدس والأمعاء الغليظة للخروف[1].

وفي اليوم السابع يقام احتفال بالمولود الجديد بحضور البعض من أقارب الوالدين رجالا ونساء خاصة المتقدمين في السن.

تذبح العقيقة صباحا ويرسل جلدها ورأسها إلى المرأة التي ساعدت في عملية التوليد، وفي وقت الضحى أو بعد الغذاء تقام طقوس خاصة تسمى " اللباس" يجهز لأدائها: الزعفران وآدقي لطحنه والكحل و إسورة فضة موضوعة في إناء به ماء وآبرَّاز** وملابس جديدة للمولود. تقوم بهذه الطقوس إحدى القريبات حيث تغير ملابس الصغير، بعدها تُكحِّل له عينيه ثم تطحن الزعفران وتخلطه مع الماء لتغمس فيه سبابتها وترسم خطا مغلقا حول كل عين، ثم تأخذ الإسورة المبللة بالماء وتسحبها بلطف على شعر الصبي من القفا باتجاه الجبهة ثلاث مرات وهي تصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تأخذ ما بقي من خليط الزعفران لتلطخ به ملابس الصغير، كما ترسم خطا عموديا على جبهة الأم، لتأخذ في الأخير المدقة الملطخة بالزعفران و تسحبها على شعر الأم ثم تمررها عبر فستانها من فتحة الرأس قبل أن تلتقطها من الأسفل، بعدها تأخذ طبيقة آبَرَّاز و تقوم بلفها حول الصبي ولسان حالها يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا.[2]

بعدها يسلم الصبي إلى امرأة أخرى جالسة بقرب المرأة التي تقيم طقوس "اللباس"، وهي بدورها تسلمه إلى أخرى، وهكذا دواليك يمرر الصبي إلى أربع نسوة ليعود في المرة الخامسة لأمه مع الحرص على أن يكون العدد فرديا فقط (ثلاثة أو خمسة )، ليوزع في الأخير آبرَّاز على المتواجدات مع الإعلان عن اسم المولود[3].

جرت العادة عند سكان قصر أدغاغ كغيره من القصور التواتية؛أنه في حالة المولود البكر تمكث النفساء في بيت والديها طيلة مدة النفاس والمقدرة بأربعين يوما. كما أنه من العادة أيضا أن المولود له يرسل إلى أهل زوجته . في هذه الحالة وقبل الاحتفال بأسبوع المولود الجديد . ما يصطلح على تسميته محليا بآمزور***؛ وهو

*. للمزيد: انظر ص 163.

1. لالة رقية بنت مولاي احمد بن مولاي ادريس: المقابلة السابقة.

**. آبرَّاز اسم خاص يطلق على قليل من الفول الذي أخذ من الفول الذي طبخ فور نضجه ليقسم على النسوة الحاضرات حبتين لكل واحدة.

2. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية. ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/08م.

3. نفسها.

***. في حالة المولود الثاني ترسل الأم مثلها من مؤونة إلى بيت ابنتها.

المؤونة التي تستعمل في التحضير للوليمة يوم أسبوع المولود، وغالبا ما تتمثل في كيل من القمح؛ كيل من الفول ؛الخضر، حزمتين من الحطب، قليل من العدس، الفلفل الحار، السمن والخروف (العقيقة)[1].

ومن العادة أيضا أن يحتفل بأربعينية المولود الجديد، إلا أن هذا الاحتفال يكون مصغرا تحضره إمرأتين أو ثلاثة على الأقل، وتجرى خلاله طقوس خاصة أيضا حيث أنه إذا كان المولود ذكرا تحضر المسيعة والطّرّابية[2] وتوضعان قرب المرحاض مفصولتين عن بعضهما بمسافة قصيرة وتأتي إحدى النسوة بالمولود وتضعه بينهما وتخاطب الصبي قائلة:هذا عملك لما تكبر*. ثم تأتي امرأة أخرى لتأخذه وترجعه لوالدته. أما المولود البنت فتحفر حفرة في التراب بعمق بضع سنتيمترات ثم تغطى بالثّفال(الرقعة) وتوضع عليها الرحى، ثم توضع البنت على الرحى تفاؤلا بمواظبتها على الطحن عندما تكبر، ثم تأتي امرأة أخرى لتأخذها منها. بعدها تقوم المرأة بتسريح شعر المولود وهي تخبره عن الأشخاص المحيطين به دوما، وعن الحيوانات الأليفة والآلات التي يمكنه أن يسمع أصواتها يوميا، والغاية من ذلك في اعتقادهم هو عدم خوفه ورهبته عند سماع صوت غريب أو مزعج، ومن أمثلة ذلك كأن تقول له:"اسمع يا ولدي يوجد والدك وإخوتك وأعمامك و غيرهم....كما يوجد الديك والعنزة والحمار والقطة وغيرها... وتوجد الرحى والمنسج و..."، ثم تمرره لأربعة نسوة ليعود في المرة الخامسة لوالدته منهية بذلك هاته الطقوس[3].

وجرت العادة أنه يوم الأربعين يعلق في رقبة المولود الذكر خيط أسود تدلت منه 5 حُرَز (حْجَابَات) تدعى بـ " الحافظات" (مكتوب فيها المعوذتين سورة الإخلاص وبعض الآيات القرآنية التي تحفظ الإنسان)، بالإضافة إلى صرة أم الناس، وصرة أخرى وضعت فيها خصلات من شعر الصبي مع خصلات من شعر أمه، كما تتدلى منه أيضا صدفة محار[4].

جرت العادة أن تقدم للنفساء هدية أثناء تهنئتها بمولودها وهذه الهدية لا تَعْدُ أن تكون حبات بيض، كما أنه من العادة أيضا بعد انتهاء مدة النفاس أن تتزين المرأة المعنية وترتدي أجمل ثيابها استعدادا لملاقاة زوجها الذي افترقت عنه مدة أربعين يوم[5].

---

[1]. عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: مقابلة شخصية. ببيت ابنها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/08م.

[2]. نفسها.

*. المقصود بعمله هو أنه سيقوم بإفراغ المرحاض من الفضلات عندما يمتلئ ليأخذها إلى البستان أين تستعمل كسماد للنباتات.

[3]. لالة رقية بنت مولاي احمد بن مولاي ادريس: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/09م.

[4]. نفسها.

[5]. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2013/03/09م.

***.الختان: (الزْيَانة بلهجة أهل توات):**

من العادات الشائعة في المنطقة الاحتفال بختان الأولاد الذي تمارس خلاله مجموعة من الطقوس.

يختن الصبي في عمر الأربع أو الخمس سنوات على الأكثر؛ تبدأ طقوس الختان بيوم قبل الموعد المحدد إذ أنه يقام ما يسمى باللهجة المحلية بـ "التقوريرة" حيث يستدعى أعيان العائلة بعد صلاة العصر، فيقوم كبيرهم بحلاقة حافة شعر الصبي من الأمام إلى الخلف بشكل دائري، بعدها يتلو الحاضرون ما تيسر من القرآن الكريم جماعيا (قراءة السلكة) ليختموا بفاتحة الكتاب حينها يتناول الجميع وجبة خبز الڤلة التي تعد خصيصا بهذه المناسبة (التقوريرة) دون غيره من الأطعمة الأخرى.

بعد صلاة العشاء تجتمع النسوة من أهل الصبي لتخضيب يديه ورجليه بالحناء وسط ترديد أهازيج ومدائح شعبية وزغاريد بين الفنية والأخرى[1].

في اليوم الموالي يستيقظ الجميع باكرا استعدادا لتحضير وجبتين الأولى الأكلة الشعبية المعروفة باسم "لمردود" تقدم وقت الضحى والثانية "الكسكس" لوقت الغذاء؛ كما يتم ذبح الدجاجة ثم تنظيفها لتطبخ مع المردود كما يطبخ معه قطعة لحم تسمى باللهجة المحلية " لَقْصير" وهي عبارة عن عظمة الفخذ الخلفية للشاة.

بعد بروز الشمس يقومون بتحضير الصبي المراد ختانه حيث يستحم ويرتدي جبة بيضاء ثم يعلق في رقبته عقد مصنوع من خيطين (أبيض وأسود) ملتفين حول بعضهما علق به مسمار (المسمار الذي يستعمل لشد حذوة الحصان) وصرة صغيرة تحتوي على بخور أم الناس. كما تعلق له صرة مثل الأولى في ساقه؛ الغرض من ذلك في اعتقادهم هو إبعاد الضرر عن الصبي. ثم تزين جبهة الصبي بالزعفران و تكتحل عيناه[2].

عادة ما تتم عملية الختان قبل وقت الضحى إن كان الفصل صيفا ويمكن أن تطول المدة حتى إلى وقت الزوال في فصل الشتاء[3].

عندما يعلن عن حضور الخاتن*(الزَّيَّانْ باللهجة المحلية) يحضر " لحم لقصير" مع حبات بيض مطبوخة؛ ويوضع الكل في طبيڤة** صغيرة وتؤخذ مع الصبي إلى مكان الخَتْن وسط الزغاريد؛ وفي هذه الأثناء تقوم الجدة بإحضار سطل أسود به ماء وتضع فيه لبنة طوب ثم تحضر عودا خشبيا خاصا بآلة المنسج يسمى" الجعبة " لِتَدُق به اللبنة وهي تردد"زَيَّنْ زَيَّنْ يَا الزَّيَّانْ خَفَّفْ خَفَّفْ لاَ تْثَقَّلْ" لاعتقادهم أن ذلك يخفف الآلام على الصبي، وعندما تتم عملية الختان تصدح الزغاريد في أرجاء المكان ثم يرسم شق على الأرض ويصب فيه ماء

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر : المقابلة السابقة.

[2]. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[3]. نفسها.

*. من بين الأشخاص الذين كانوا يقومون بهذه المهنة في القرن التاسع عشر مولاي جلول ولد مولاي علي الشريف ثم ابن أخيه مولاي حسان ولد مولاي الطيب في القرن العشرين.

**. نوع من الأواني المحلية مصنوع من سعف النخيل وعود العرجون.

ويطلب من المختون أن يتخطاه لتحمله جدته مباشرة بعد ذلك ثم تضعه لتتركه يمشي حتى يصل إلى مكان جلوسه أين يقدم له ما اصطلح على تسميته بِلَقْصِيرْ[1].

بعدها يقدم للحاضرات وجبة المردود و آبَراز، كما أن الخاتن يقدم له حبات بيض مع آبراز هذا فضلا عن حصته من وجبة المردود[2].

وبعد وجبة الغذاء تقرع الطبول ويصدح المكان بالمدائح الدينية تارة و الأغاني الشعبية تارة أخرى؛ وسط تصفيقات الحاضرات؛ ويستمر الحال هكذا إلى أن يحين وقت صلاة الظهر[3] ليتفرق الجميع.

- **. لَحْفاظة و الصيام:**

⋆. **لَحْفَاظَة:** يوجد في كل قصر من قصور توات مسجدا أو أكثر وعادة ما يكون لكل مسجد كتابا تابعا له يتعلم فيه أطفال القصر القرآن الكريم والقراءة والكتابة.

يسمى الذي أكمل حفظ القرآن الكريم بالحَافظ أو الحافظة يقام له حفل خاص بهذه المناسبة* وعادة ما يكون ذلك يوم الأربعاء أو الخميس.

يبدأ الحفل صباحا حيث يجتمع الرجال والنساء المدعوون في منزل الحافظ كلا على حدة، يقوم الرجال بإلباس الحافظ ملابسه ذات اللون الأبيض وسط الحضور؛ بعد تغطيته برداء أبيض بعدها يرتدي برنوسا ويأخذ لوحته المزينة** والمكتوب عليها الثمن الأخير من سورة البقرة؛ ثم يتجه الجميع إلى المسجد أين يقرأ الحافظ ما كتب على اللوح على شيخه (الطالب) الذي يقوم بضبط كلمات الآيات بالشكل، ثم تتلى فاتحة الكتاب، ليتجه الجميع إلى زيارة مقامات أولياء الله الصالحين المتواجدة على مستوى القصر وخاصة مقام سيدي مولاي علي الشريف ومقام سيدي بوعلالة وكذا مقام سيد الحاج محمد بالمقبرة المسماة باسمه، مع العلم أنه أثناء الطواف يستمر الحافظ في قراءة ما كتب على اللوح دون توقف وأما مرافقوه فيظلون يتلون مدائح البردة[4].

---

[1].عائشة امباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

*.سواء كان المعني حفظ القرآن الكريم حفظا أو ختمه فقط فكلاهما يسمى الحافظ وتقام له نفس الطقوس، أما في توات الحنة فيسمى الاحتفال باسم السلوك أو الحفوض حيث أن السلوك يطلق على الاحتفال الذي يقام لمن ختم القرآن وحفظه صعودا من سورة الفلق إلى سورة البقرة. أما الحفوض فيطلق على الاحتفال الذي يقام لمن ختم وحفظ القرآن صعودا ثم نزولا. كما أن الثمن الذي يكتب على لوحة السالك أو الحافظ هو ثمن الحزب 8 "يستبشرون بنعمة من الله وفضلا..." وليس الثمن الأخير من سورة البقرة. ضف إلى ذلك ترديد الحاضرين بعض المدائح الدينية أثناء عملية الطواف على الأماكن المقدسة في القصر. للمزيد ينظر: سرقمة عاشور، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات مدخل للذهنية الشعبية، دار الغرب، وهران، 2004، ص – ص: 90-93.

**. انظر الملحق رقم 10ص403.

[4].الحاج عبد القادر بن الحاج الحسان حماوي( شيخ زاوية معاصرة بقصر أدغاغ): مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ يوم 2014/03/19م.

وبعد انتهائهم من زيارة مقامات الأولياء المذكورين يقفلون راجعين إلى البيت ليجد الحافظ إحدى قريباته المتقدمات في السن قد حضرت طبيقة تحتوي على كمية من حبوب الشعير مختلطة مع ورق الحناء الجاف ليضع يده عليها ثلاث مرات ولسان حالها يقول:"اللهم صل وسلم على سيدنا محمد" وهذا وسط زغاريد الحاضرات اللواتي يقمن بتقديم هدية للحافظ لا تعدُ أن تكون حليا فضية (خواتم ومحابس و دباليج؛ يحتفظ بها ليقدمها لعروسه). يتجه بعدها الحافظ إلى مضيفة الرجال لتناول وجبة الغذاء.

أما الشعير الذي وضع عليه الحافظ يده فيوزع على النسوة الحاضرات بنية التبرك، كما أنه يستخدم كنوع من الدواء الشعبي لمعالجة بعض الأمراض[1].

هذا بالنسبة للحافظ أما الحافظة فتؤدى لها طقوس الاحتفال بالبيت، حيث تجلس وسط النسوة المدعوات وتقوم إحداهن من المتقدمات في السن بإلباسها لباسا أبيضا أخيط خصيصا للمناسبة( (يكون موضوعا في طبيقة) وهذا بعد تغطيتها بغطاء أبيض؛ بعدها تأخذ لوحتها التي أرسلها الشيخ (الطالب) المتواجد بمضيفة الرجال بعدما قام بضبط كلمات آياتها بالشكل (الثمن الأخير من سورة البقرة) ثم تقرأ ما كتب عليها لتصدح الزغاريد بعد انتهائها مع تقديم هدية لها من طرف الحاضرات كلا حسب استطاعتها (حليا فضية). لينتهي الحفل بعد تناول وجبة الغذاء[2].

ظلت هذه الطقوس تقام طيلة فترة الدراسة إلا أن الجديد فيها هو الاحتفال الخاص بالبنات إذ هو حديث العهد وربما كان مع بداية الثمانيات فقط إذ قبل ذلك لم تكن هناك من تتمكن من إكمال ختم القرآن الكريم بسبب الزواج المبكر لبعضهن والقيام بأشغال البيت للأخريات مع انتشار ثقافة التعليم للأولاد لا للبنات.

★.**الصيام**: جرت العادة أنه بعد الإعلان عن رؤية هلال رمضان؛ تقوم أم الفتاة البالغة بطهي اللحم ؛ وقبيل صلاة العشاء أو بعدها تحضر المدعوات من الجيران والأقارب لإقامة طقوس ما يسمى بـ " الفال " حيث تصدح الزغاريد في المنزل وتؤمر الفتاة بالنظر إلى السماء لرؤية الهلال وأثناءها تخضب يدها اليمنى بالحناء وتكتحل ويزين وجهها وفستانها بالزعفران؛ ثم تقدم لها قطع اللحم لتتناولها مع توزيع شيئا منها على الفتيات الحاضرات اللواتي لم يبلغن بعد للحاق بها إن شاء الله[3].

[1].لالة حسنية بنت مولاي هاشم بن سيدي محمد بن هاشم: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم2014/03/19م.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة فاطمة الزهرة بنت الطيب بن عبد الله عبوبي: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/26م.

## ثالثا: الاحتفاء بالمناسبات العامة:

سنستعرض من خلاله طقوس أهم العادات الدينية والموسمية التي اعتاد سكان القصر ممارستها والمتمثلة في: ركب الحجيج والزيارات وبعض العادات الأخرى.

- **. ركب الحجيج و الزيارات:**

**⋆. ركب الحجيج**

قبل سبعينيات القرن الماضي كانت المسافة بين توات والبقاع المقدسة تقدر بعام وربع أي أن الحجاج يستغرقون عاما وربعا بين الذهاب والإياب على ظهور الجمال.

فعندما يقترب موعد الذهاب يطوف شيخ الركب الذي كان من قصر أولاد احمد بالقصور المجاورة ليسجل أسماء الراغبين بالذهاب لزيارة بيت الله الحرام حاملا علما ويرافقه فرقة الطبل التي تعمل على قرع الطبول وهو يردد مديحا يسمى ب " التعشاق " حيث يقول :

يا ماشي للحج بيع جنانك *** و باش تمشي للحج كيف اقرانك

يالعاشقين في سيدي محمد صلى الله عليه *** والصلاة والسلام عليك يا سيدي رسول الله.

يقال أن من يسمع هذه الكلمات يقشعر بدنه وهناك من يخشع فيصاب بثورة بكاء عارم[1].ومن كان بمقدوره الذهاب ما عليه إلا أن يسجل اسمه في القائمة المسماة محليا بالجريدة.

عندما يحين موعد الانطلاق يجتمع الراغبون بالذهاب عند المسجد ليودعون بالمدائح الدينية " التعشاق" و أهازيج فرقة البارود ، وقد يتبعهم البعض إلى أطراف القصر.

عند عودتهم يستقبلون أيضا بالتعشاق و إيقاع البارود ثم يقومون بزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين المقبورين بالقصر والناس يتبعونهم يرددون مدائح البردة ليتجه الجميع إلى المسجد أين يصلون ركعتين قبل استقبالهم من طرف أهاليهم في البيوت؛ أين يضع الحاج يديه على طبيقة ممتلئة بخليط من بذور الشعير وورق الحناء الجاف* ثلاث مرات ولسان حال الممسكة بالطبيقة يردد " اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام" ثلاث مرات؛ ليوزع فيما بعد على الحاضرات، لتقام في الأخير مأدبة غذاء على شرف الحجاج وشرف كل سكان القصر. يتجه الحجاج في المساء إلى ضريح الولي الصالح سيدي سليمان بن علي بقصر أولاد اوشن. ويستمر استقبال الضيوف والمهنئين مع تقديم وجبات إطعام جماعية في دار الزاوية لمدة ثلاثة أيام متتالية ابتداء من يوم الرجوع قبل أن يفترق الجميع في اليوم الرابع.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي احمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. يعتقد أن هذا الخليط له خاصية علاجية إذ يساعد على الإخصاب في حالة العقم، كما يجعل الأغنام تلد التوائم في حالة إطعامه لها.

رغم بعد المسافة بين إقليم توات والخليج العربي ومشقة السفرباستخدام الجمال هناك من حجَ ست مرات أمثال مولاي امحمد بن مولاي الحسان (ق 12هـ-13هـ/ 18م – 19م)[1].

***. الاحتفاء بالزيارات:**

الزيارة ظاهرة اجتماعية تتمثل في إحياء المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف وعاشوراء وكذا إحياء ذكرى عالم أو ولي صالح. يرتبط موعد الزيارة بالتقويم القمري أو الشمسي ويراعى في موعدها أن يكون في موسم جني التمور أو موسم الحصاد. تقام الزيارة غالبا على ثلاثة مراحل[2] خلال ثلاثة أيام متتابعة و أحيانا على مرحلتين خلال يومين:

*. الميز الأول: يخصص لاستقبال الضيوف الوافدين على القصر من قصور توات.

*. الميز الثاني: يتم فيه تلاوة القرآن لتنته صباح اليوم الثالث بعد صلاة الصبح[3].

*. الزيارة في اليوم الثالث والأخير ويتم فيه ختم القرآن الكريم.

في العادة فإن أسلوب الزيارة عبارة عن حفل جماعي لسكان القصر مع ابناء عمومتهم واحبابهم من القصور المجاورة[4]. بل تعدَى الأمر الى استقبال ضيوف من باقي مناطق الوطن وحتى من خارج الوطن من الدول المجاورة في بعض الزيارات التي تكون مرتبطة باحياء ذكرى عالم أو ولي صالح عالمي الصيت كزيارة مولاي عبد الله الرقاني برقان وزيارة اسبوع المولد النبوي الشريف بتيميمون.

فالزيارة تعبر عن تقاطع اجتماعي ما بين سكان المناطق المجاورة[5] محليا و إقليميا. كما أنها وسيلة من وسائل التضامن والتكافل الاجتماعي التي تظهر الحس الجماعي[6].

تقام في قصر أدغاغ ست زيارات هي حسب الترتيب التقويمي: زيارة الميموني؛ زيارة سيدي عبد الرحمن بن محمد؛ زيارة الناير؛ زيارة سيدي سليمان بن علي؛ زيارة سيدي بوعلالة؛ زيارة الجيلاني وزيارة سيدي مولاي علي الشريف.

1. **زيارة الميموني:** تقام يوم السابع من محرم من كل عام في قصر ميمون إحياء لذكرى الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الميموني, إلا أن سكان قصر أدغاغ اعتادوا أن يشاركوا سكان قصر ميمون الاحتفال بهذه المناسبة.

---

[1].لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي على الشريف بن مولاي الصديق: مقابلة شخصية، بدار مولاي علي الشريف بقصر أدغاغ يوم 2014/02/10م .

[2]. محمد حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، (ج2)، ص 373.

[3]. نفسه، ص 373.

[4]. نفسه ، ص 374.

[5]. نفسه، ص 374.

[6]. نفسه، ص 374.

جرت العادة أن يجتمع سكان قصر أدغاغ رجالا ونساء وأطفالا صبيحة هذا اليوم على مشارف قصر أدغاغ في المكان المسمَى " فوڤ الفڤّارة "؛ و هو المكان الذي تمر منه فڤارة اوڤديم عند المدخل الغربي لقصر أدغاغ.

يجتمع السكان رفقة سكان قصري اوڤديم وبربع في انتظار وصول فرقة بارود أدغاغ؛ التي ستؤدي رقصتها على شرف الحضور قبل اتجاهها إلى قصر ميمون؛ أين ستشارك مع فرق القصور الأخرى الاحتفال بهذه المناسبة كلا على حدة.

بعد أن تؤدي الفرقة رقصتها الفلكورية تتجه رفقة رجال وشباب القصر إلى قصر ميمون؛ بينما تبقى النسوة في موضعهن لإكمال مراسيم الاحتفال على طريقتهم الخاصة, حيث تقام حلقة الطبل مع ترديد مجموعة من الأغاني المحلية وسط تصفيقات الحاضرات وزغردتهن من حين لآخر وأدائهن لرقصة الركبية[1].

يقال أنه في هذا اليوم تخرج الحابسات*[2] إلى فوڤ الفڤارة وترقصن أيضا دون حرج لأن رجال وشباب القصر غائبون فقد اتجهوا إلى قصر ميمون مع فرقة البارود.

تظل النسوة هكذا إلى أن يحين منتصف النهار حيث يتجهن بطبلهن إلى داخل القصر؛ وكل من وصلت إلى منزلها تدخل إليه؛ حتى يفترق الجميع على أمل اللقاء مرة أخرى في المكان المسمى فوڤ الفڤارة بعد صلاة العصر؛ حيث تبدأن بالطبل والرقص والغناء في انتظار عودة رجال وشباب القصر من قصر ميمون, وفور وصولهم يصطف الرجال في صف والنساء في صف مقابل ليتبادل الصفان رقصة الركبية وسط الزغاريد، ليستمر الوضع على حاله إلى غاية غروب الشمس ( صْفَارْ الشمس حسب اللهجة المحلية )حيث يتجه الجميع رجالا ونساء بالطبل و الزغاريد وآداء رقصة الركبية نحو داخل القصر, أين يفترق الجميع فور وصولهم[3].

استمر سكان قصر أدغاغ في أداء طقوس الاحتفال بزيارة الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الميموني لكن بشيء من التغيير بعد ستينيات القرن الماضي؛ حيث لم تعد النسوة ترقصن جنبا إلى جنب رفقة الرجال بل اقتصر الأمر على خروجهن إلى الموضع المسمَى فوڤ الفڤارة وحضورهم أداء فرقة البارود ثم بقائهم بعد مغادرة الرجال إلى قصر ميمون في نفس الموضع لإقامة حلقة الطبل دون رقص إلا من بعض المتقدمات في السن واللاتي يصدق عليهم المثل القائل: الطبع يغلب التطبَع. ليتجهن بعد منتصف النهار إلى داخل القصر بطبلهم؛ أين تجتمعن في

[1]. الحاجة عائشة بنت عبد الرحمن يوسفي: مقابلةشخصية، بمنزلها بزڤاڤ‌الظلمة بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/12م.

* . الحابسات هو لفظ محلي يطلق على النساء الممنوعات من مغادرة المنزل إلا للضرورة القصوى، حيث لا يغادرن منازلهن لا لحضور فرح ولا ترح.

[3]. الحاجة السيدة بنت عبد الرحمن يوسفي: مقابلةشخصية، بمنزل أخيها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/12م.

منزل اتفق عليه مسبقا لإكمال جلستهم بعد وجبة الغذاء التي شاركن في جمع لوازمها من خضر وفواكه وكسكس و في إعدادها ( خالوط *حسب اللهجة المحلية ) إلى ما بعد صلاة العصر.

2. زيارة سيدي عبد الرحمن بن محمد: تقام يوم 31 نوفمبر تكريما للولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن محمد اليقسطني، حيث يجتمع الرجال والشباب بمقبرة المصلى بعد صلاة المغرب فيشرعون في تلاوة القرآن الكريم ويستمرون كذلك إلى غاية حلول فجر اليوم الموالي. مع تقديم وجبة العشاء التي يتشارك سكان القصر في إعدادها، فيحضر عددا من البيوت الوجبة إلى مكان تواجد المحتفلين.

3. **زيارة النَايَر**: موعدها حسب التقويم الميلادي يوم 14 يناير الموافق للتقويم الفلاحي 1 ينَّاير, تقام هذه الزيارة في قصبة زڤاڤ الشهود فقط. فيستقبل سكان القصبة أهاليهم وأحبابهم من سكان القصر ومن القصور الأخرى لمدة يومين (01-02 ينَاير )؛ حيث تقام مأدبات غذاء وعشاء على شرفهم؛ مع العلم أن هذه الزيارة لا يكون فيها لا طبل ولا بارود ولا أي نوع من أنواع الفلكلور الشعبي؛ بل تردد فيها أوراد الطريقة الموسوية الكرزازية، وتؤدى مراسمها كالآتي:

أ. **يوم الميز**: يوم 01 ينَّاير الفلاحي الموافق ل 14 يناير الميلادي وهو يوم دخول لَعْلاَمْ ( الراية ) و استقبال الضيوف، كما أنه في هذا اليوم جرت العادة أن يتجه ثلاثة من اتباع سيدي أحمد بن موسى الكرزازي ( الطريقة الموسوية الكرزازية )** إلى قصر ميمون ( يقع على بعد ... كم من قصر أدغاغ ) لدعوة أتباع الطريقة الموسوية إلى القصر لاستضافتهم لمدة يومين ( ليلة ونهار )، وقد جرى العرف على ذلك منذ قرون، وإن حدث ولم تذهب فقرة*** أدغاغ إلى قصر ميمون لدعوة فقرة ميمون فهذه دليل على أنه غير مرحب بهم ولن يأتوا.

كما جرت العادة أنه في هذا اليوم يجتمع أعضاء فقرة أدغاغ في دار الفقرة بزڤاڤ الشهود حيث يقومون بتوزيع مهام إعداد وجبتي الغذاء والعشاء ليوم غد فيما بينهم.

قبل سبعينيات القرن الماضي كان المضيفون والضيوف يستعملون الحمير كوسائل للنقل, فعند وصول المضيفين إلى قصر ميمون يستقبلهم مقدم الطريقة؛ وبعد الترحيب والتهليل يتناول الجميع مأدبة الغذاء لينطلق الركب بعد صلاة الظهر باتجاه قصر أدغاغ, وفي طريقهم يستقبلون في قصر بربع أين يصلون صلاة العصر ويتناولون الشاي ليواصلوا المسير بعدها إلى قصر أدغاغ؛ حيث يترجَل الجميع فور وصولهم إلى مشارف القصر ( قرب فقَّارة قصر اوڤديم ) أين يجدون الشباب في انتظارهم لسوق حميرهم بينما يقوم مقدم فقرة قصر ميمون برفع

* . خالوط وهو لفظ محلي يطلق على نوع من أنواع الأعمال التضامنية التي يقصد بها الترفيه عن النفس من خلال المشاركة في إعداد وجبة غذاء جماعية تشترك فيها نساء القصر حيث يتم ذلك في منزل اتفق عليه مسبقا, تجتمع فيه النسوة المشاركات بخبز القلة ( كمية معينة ) و الخضر والفواكه حسسب الموسم, وبعد تناول الوجبة يستمر الطبل والرقص إلى ما بعد صلاة العصر.

** . معظم قصور تيمي تتبع هذه الطريقة الصوفية.

*** . الفقرة هي اللفظ المحلي الذي يطلق على أتباع طريقة صوفية ما.

العلم وتوسط الجمع رفقة نائب مقدم قصر أدغاغ و من ثم الاتجاه نحو قصر أدغاغ وهم يرددون العبارات الآتية على فوجين بالتناوب:

فوج يقول: يالله، وفوج آخر يرد: يا العزيز يارب*.

ويتواصل التَعشاق إلى أن يصلوا إلى رحبة حميان عند مدخل القصر أين يجدون مقدم فقرة أدغاغ رفقة أتباعه في انتظارهم حاملين الراية (لَعْلاَمْ)، يلتقي الفريقان وسط زغاريد النسوة ليتجه الجميع بالتعشاق إلى زقاف الشهود مرورا بضريح الولي الصالح سيدي بوعلالة حيث يتلو الجميع سورة الفاتحة على روحه قبل انطلاقهم إلى دار الفقرة** بزقاف الشهود أين يتم استضافتهم، وبعد أن يصلِّ الجميع صلاة المغرب تبدأ الرموز ( ترديد رموز سيدي احمد بن موسى ) ويستمر الحال كذلك إلى أن يحين موعد صلاة العشاء، بعدها يتناول الجميع وجبو العشاء قبل التوجه للنوم[1].

ب. **يوم الزيارة**: يوم 2 ينَاير بالتقويم الفلاحي الموافق 15 يناير الميلادي.

يتجه الفريقان إلى المسجد لأداء صلاة الفجر؛ لتقام بعدها الحضرة الخاصة بسيدي أحمد بن موسى, وعند الانتهاء يتوجهون إلى مقر استضافتهم بزقاف الشهود لتناول فطور الصباح؛ ثم يظلون هناك إلى غاية منتصف النهار حيث تحضر فقرة قصر أولاد أنقال للترحيب بهم في قصرهم، قبل أن يتناول الجميع وجبة الغذاء التي قامت بإعدادها فقرة قصر أدغاغ[2].

جرت العادة أن يقسم اللحم المتواجد على الأطباق إلى جزأين، جزء منه يُباع في تلك اللحظة ليُعطى ثمنه لفقرة ميمون.

بعد الإنهاء من وجبة الغذاء يخرج الجميع إلى مدخل القصر (فم القصر)؛ أين يجدون سكان القصر في انتظارهم نساء ورجالا وأطفالا، حيث تصطف فقرة ميمون و إلى جانبهم فقرة أدغاغ و يبدأون في التعشاق؛ والناس يقدمون للفريق الأول ما جادت به أياديهم من زرع أو تمر أو نقود بعد توفرها (في السبعينيات) وكل هذا وسط زغاريد النساء . بعدها يتوجه المضيفون والضيوف والمستقبلون الجدد راجلين باتجاه قصر أولاد أنقال حيث تنتهي مهام فقرة أدغاغ عند قصر ماسيني ( مخارج قصر أدغاغ من الجهة الشرقية ) فيرجعون أدراجهم بعد أن تستقبل فقرة قصر أولاد أنقال فقرة قصر ميمون حيث يواصل الجميع المسير نحو القصر على ظهور الحمير[3].

---

* . تسمى هذه العبارات بـ:" التعشاق" سواء تعلق الأمر بالذكر أو بمدح النبي صلى الله عليه وسلم.

** . هذه الدار وقف على الفقرة أوقفها أحد أحفاد سيدي سليمان بن علي.

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني( مقدم الطريقة الموساوية الكرزازية): مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/01/14م.

[2]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: المقابلة السابقة.

[3]. نفسها.

4. **زيارة سيدي سليمان بن علي**[*]: موعد هذه الزيارة يوم 3 مانيوه حسب التقويم الفلاحي الموافق ل 16 ماي حسب التقويم الميلادي.

تقام هذه الزيارة إحياء لذكرى الولي الصالح سيدي سليمان بن علي حيث يتشارك في إحيائها سكان قصر أولاد اوشن؛ وهو القصر الذي يحتضن ضريح سيدي سليمان بن علي وسكان قصر أدغاغ الذي نزل به ابنه مولاي احمد ويتواجد به ضريحه و أحفاده وسكان قصر باعبدالله الذي نزل به ابنه مولاي عبد الله أين يتواجد ضريحه.

قبل سبعينيات القرن الماضي كانت العادة أن يُضيِّف عبيد سيدي سليمان بن علي الساكنين بقصر أدغاغ أحفاده بزقاق الشهود، حيث يعدون لهم وجبة الغذاء (أربعة أطباق = أربعة قصع من الكسكس )؛ و يأخذونها إليهم لمقر سكناهم، إلا أن هذه العادة انقطعت وأصبح هؤلاء العبيد يستقبلون ضيوفهم في منازلهم متنازلين عما وجدوا عليه آباءهم عاكفين[1].

جرت العادة في هذا اليوم أن يستضيف أحفاد سيدي سليمان بن علي بقصر أدغاغ كل رجال وشباب القصر على مأدبة عشاء, حيث يقوم كل حفيد بإعداد طبق كسكس و إحضاره إلى مكان معروف متفق عليه مسبقا أين تقام مأدبة العشاء.

في هذه الليلة وبعد وجبة العشاء تقوم فرقة بارود قصر أدغاغ بأداء رقصتها الفلكورية احتفاء بهذه الذكرى, ويكون ذلك بفم القصر قبل أن تتجه إلى قصر أولاد اوشن أين تلتقي بفرق أخرى تابعة لقصور تيمي؛ حيث تؤدي كل فرقة رقصتها كلا حسب دورها في المكان المسمى برحبة البارود قرب ضريح سيدي سليمان بن علي[2].

5. **زيارة سيدي بوعلالة**[**]: موعدها حسب التقويم الميلادي يوم الرابع من شهر جوان تقام إحياء لذكرى الولي الصالح سيدي بوعلالة.

قبل سبعينيات القرن الماضي كان الاحتفاء بهذه الزيارة مقتصرا على سكان زقاق الشهود و زقاق اخلف و زقاق الظلمة, يستقبلون ضيوفهم من داخل القصر وخارجه على مدى ثلاثة أيام، حيث تقام على شرفهم مأدبات غذاء وعشاء[3].

---

[*]. للمزيد حوله: انظر ص269.

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني(من أحفاد سيدي سليمان بن علي بقصر أدغاغ): المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[**]. للمزيد حول هذه الشخصية:انظر: ص252.

[3]. الحاجة عائشة بنت عبد الرحمن يوسفي: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق الظلمة بقصر أدغاغ، يوم 2014/02/19م.

**الميز الأول**: يوم 2 جوان استقبال الضيوف مساءا.

**الميز الثاني**: يوم 3 جوان تقام حلقة الطبل مساء يحييها مداحو القصر في ساحة صغيرة خارج القصبة السفلانية قرب مقبرة سيدي بوعلالة أين يتواجد ضريحه.

**يوم الزيارة**: يوم 4 جوان بعد صلاة العصر يُبيَّض ( يَتْجَيَّر حسب اللهجة المحلية ) ضريح الولي الصالح سيدي بوعلالة بحضور جمع غفير من الناس، كما تقام الحضرة* بعد صلاة العشاء والتي تحييها فرقة الحضرة الخاصة بقصر تمنطيط , وبذلك تختتم مراسم زيارة الولي الصالح سيدي بوعلالة[1].

6. **زيارة الجيلاني**: موعدها حسب التقويم الميلادي يوم 7 جوان تقام إحياء لذكرى الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني الذي نصب له مقام تذكاري ( قبة مخروطية الشكل مجوّفة من الداخل تسمى حسب اللهجة المحلية ارجيلالي والتي هي تحريف لكلمة الجيلاني ) في مدخل القصبة الجديدة** أين كان يتم إحياء هذه المناسبة قبل سبعينيات القرن الماضي من طرف سكان هاته القصبة دون سواهم. ليتم تعميم ذلك إلى خارج القصبة من طرف السكان المجاورين للقصبة وكذا سكان قصبة القايد[2] الواقعة حاليا ضمن الإقليم الحضري لوسط المدينة.

تقام إحياء مراسم زيارة ارجيلالي (حسب اللهجة المحلية ) على يومين حسب الآتي :

**يوم الميز**: يوم 6 جوان, استقبال الضيوف.

**يوم الزيارة**: يوم 7 جوان, بعد صلاة الصبح يتم إعداد أكلة خبز القلة من طرف سكان القصبة الجديدة. حيث يتم إخراج قصع الخبز من المنازل ووضعها قرب النصب التذكاري ( ارجيلالي ) ليتم تناولها من طرف الحاضرين.

وبعد صلاة العصر يتم تبييض النصب التذكاري ( التجيير حسب اللهجة المحلية ), لتقام بعدها الحضرة من طرف فرقة حضرة تمنطيط. وبعد صلاة العشاء يتعشى الجميع ليقام الطبل من طرف فرقة أدغاغ على شرف الحاضرين الذين يستمتعون بأهازيج غنائية محلية من الشعر الملحون[3].

---

*. نوع من أنواع الفلكلور الشعبي، للمزيد ينظر: ص383.

1. الحاج مبروك بن الحاج الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: مقابلة شخصية، بالقصبة الجديدة بقصر أدغاغ، يوم 2014/06/07 .

**. كما توجد قبة أخرى له في قصبة زقاف الشهود وأخرى في قصبة زقاف مكناس.

2. الحاج مبروك بن الحاج الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي:المقابلة السابقة.

3. الحاج عبد القادر بن الحاج الحسان بن محمد باكو الأدغاغي، مقابلة شخصية، بالقصبة الجديدة بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/2م.

**7. زيارة سيدي مولاي علي الشريف***: موعدها حسب التقويم الميلادي يكون يوم 18 جوان من كل عام، تقام إحياء لذكرى الولي الصالح سيدي مولاي علي الشريف.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر و إلى غاية ستينيات القرن الماضي كان الاحتفاء بذكرى هذا الولي الصالح مقتصرا على أولاده وأحفاده، حيث كانوا يقيمون مأدبات غذاء على شرف سكان القصر رجالا ونساء كبارا وصغارا، بالإضافة إلى ضيوفهم من القصور التواتية الأخرى.

تتم المراسم وفق المراحل الآتية:

**الميز الأول**: يوم 16 جوان تقام فيه سلكة المرحوم مولاي الشريف ابَّا مَانْ** زوج ابنة مولاي علي الشريف لالة فاطنة المدعوة لالة مامة، الذي بنى بها في قصر أدغاغ أين سكن بعد قدومه من إحدى قصور تسابيت، وكان قد امتلك بستانا أُجِّرَ بعد وفاته لأحد سكان القصر؛ الذي كان يقدم بدل الكراء كل عام لزوجة المرحوم لالة مامة بنت مولاي علي الشريف؛ والتي تدخرها لتقيم بها سلكة ختم القرآن على روح زوجها يوم الميز الأول من زيارة والدها سيدي مولاي علي الشريف. فيقام في هذا اليوم مأدبة عشاء على شرف الإمام ومجموعة المصلين المواظبين على قراءة الحزب اليومي(الطَّلْبَة)إضافة إلى أهل وأقرباء دار مولاي علي الشريف من باقي قصور توات، وكذا عبيد دار مولاي علي الشريف.

بعد صلاة العشاء و انهاء مأدبة العشاء تقام حلقة طبل بجوار قصبة مولاي علي الشريف على شرف الحاضرين. مع العلم أنه صباح هذا اليوم جرت عادة الخماسين أن يحضر كل واحد منهم ربطة بصل وحزمة حطب ويتركها بجانب صومعة الجامع؛ وفي المساء تُقَسَّمُ الغلة من النوعين المذكورين إلى ثلاثة حصص متساوية؛ ليأخذ كل واحد من أبناء مولاي علي الشريف حصة (مولاي الطيب، سيدي محمد، الدار الكبيرة)، إضافة إلى هذا فقد كان بعض أعيان القصر يتصدقون لدار مولاي علي الشريف بكيلات من الزرع كلا حسب طاقته؛ وطبعا هذا كله يعتبر مساعدة من سكان القصر لأهل الولي الصالح مولاي علي الشريف من أجل إحياء ذكراه.

وفي ستينيات القرن الماضي بعدما تحسنت الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية عما كانت عليه أصبحت دار مولاي علي الشريف تستقبل الصدقات من شتى الأصناف (النقود، الكسكس، الزيت، الطماطم، السكر، الشاي...[1]).

**الميز الثاني**: يوم 17 جوان؛ مساء هذا اليوم يُبَخَّرْ اللِّبَاسْ* و يجهز استعدادا لإقامة مراسيم تلبيس ضريح مولاي علي الشريف في اليوم الموالي. كما تقام مأدبة عشاء على شرف الطلبة (الإمام ومجموعة المصلين

---

*. حول شخصية الولي: انظر ص252.

**. قدم من قصر الهبلة وهي إحدى قصور عرش تسابيت، وذلك إثر حادثة وقعت له، فاستقبله مولاي علي الشريف و أكرمه ثم زوجه ابنته.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: المقابلة السابقة.

المواظبين على قراءة الحزب اليومي) الذين سوف يسهرون وهم يتلون القرآن الكريم على روح سيدي مولاي علي الشريف؛ حيث تختتم التلاوة مع آذان الفجر. ضف إلى ذلك فإنه بعد صلاة العشاء تقام حلقة طبل من طرف مداحي القصر على شرف السكان وضيوفهم[1].

**بوم الزيارة:** الموافق ليوم 18 جوان، بعد صلاة الصبح تقام مراسيم تلبيس ضريح مولاي علي الشريف، بعدها مباشرة تقرأ سورة الفاتحة على روح الولي بحضور جمع غفير من الناس. قبل صلاة المغرب تؤدي فرقة بارود قصر أدغاغ رقصتها الفلكلورية في رحبة دار مولاي علي الشريف؛ لتتجه بعدها إلى رحبة القصبة أين تعيد نشاطها في انتظار حضور باقي الفرق، فقد جرت العادة أن يشترك فرق بارود اثنا عشر قصرا في إحياء هذه المناسبة تتقدمهم فرقة قصر أدغاغ والتي يكون لها شرف الانطلاقة قبل صلاة المغرب لتتابع الفرق الأخرى بعد صلاة المغرب؛ واحدة تلوَ الأخرى لتتجه كل من أنهت أداء رقصتها إلى رحبة القصبة لتعيد رقصتها مرة أخرى حيث يستمر ذلك إلى غاية آذان الفجر. وفي هذا اليوم أيضا تقام مأدبة عشاء على شرف كل سكان القصر رجالا ونساء وأطفالا[2].

بعد تغير الأوضاع مع ستينيات القرن الماضي والتزام الرجال بمواقيت الوظائف الحكومية والأطفال بمواعيد المدارس ظل نشاط فرق البارود يختتم في وقت مبكر جدا من صباح اليوم التالي (الواحدة صباحا)[3].

جرت العادة أيضا في هذا اليوم تقصد الفتيات العازبات والنساء المطلقات والأرامل دار مولاي علي الشريف ليشاركن في إعداد وجبة العشاء تبركا واعتقادا منهن أن من تفعل ذلك سوف تتزوج قريبا إن شاء الله[4].

اليوم الموالي ليوم الزيارة (**صْبَاحْ الزيارة**): الموافق ليوم 19 جوان، تقام في هذا اليوم مأدبة عشاء (سَلْكَةْ الوَالْدِينْ) على شرف كل سكان القصر كبيرا وصغيرا رجالا ونساء.

بعد ستينيات القرن الماضي وتغير الأوضاع لم يعد هناك من نظام للخماسة قَلَّتْ موارد دار مولاي علي الشريف من المؤونة التي كان يحضرها الخماسون وبعض أعيان القصر، وأصبحت مراسم الاحتفاء بزيارة مولاي علي الشريف تثقل كاهل أبنائه وأحفاده؛ فاجتمع أعيان القصر على رأسهم مسؤول القصر الحاج البركة بن الحاج محمد بن عبد الله لدراسة الأمر، فقررت الجماعة مشاركة دار مولاي علي الشريف لتخفيف العبء عنهم؛ و قاموا بإطلاع ابنة مولاي علي الشريف لالة مامة بالأمر فوافقت على القرار الذي كان قد زُكِّيَ بطلب من سكان القصر والذي مفاده أن يشتركوا في الاحتفاء بذكرى الولي الصالح سيدي مولاي علي الشريف بدل اقتصار ذلك

---

*. هو اسم يطلق على الأقمشة التي تَصَدَّقَ بها الناس خاصة أصحاب الحاجة على ولي من أولياء الله الصالحين.

1. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: المقابلة السابقة.

2. الحاج مبروك بن الحاج الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: المقابلة السابقة.

3. نفسها.

4. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: المقابلة السابقة.

على أبنائه وأحفاده. ومنذ ذلك الوقت صارت كل دار في قصر أدغاغ تحتفل بزيارة الولي الصالح سيدي مولاي علي الشريف[1].

- **عاشوراء والمولد النبوي الشريف**

⋆**.عاشوراء:** في شهر محرم يقوم السكان بأداء طقسين احتفالا بيوم عاشوراء أحدهما يوم التاسع ويسمى " بْيَانُّو"، و الثاني يوم العاشر من محرم ويدعى" كْفيخْ الماء"

. **بْيَانُّو:** تقام طقوس بيانو يوم 9 محرم. وقبل هذا اليوم بيوم أو يومين يفاجئ من كان على دراية بموعد بيانو كل من التقاه بقوله: "بْيَانُّو فِيكْ"؛ أي أنه عليك أن ترسل لي يوم بيانو حبات فول أو حبات بيض أو أكلة لبسيسة.

قبل طلوع شمس يوم التاسع من محرم تقوم ربات البيوت بطبخ الفول الجاف وطبخ البيض وصنع أكلة لَبْسِيسَة*، ليقوم الأطفال بناتا و أولادا بعد شروق الشمس بالتجول في القصر حاملين آنياتهم مارين على كل منزل مرددين عبارة: " بْيَانُّو بْيَانُّو والشَّحْمَة والكَدِّيدَة " وبمجرد أن تسمع ربة البيت هاته العبارة تخرج لتوزع على الأطفال الفول المطبوخ، ليتجهون إلى منزل آخر وهكذا يستمرون إلى أن يحين وقت الغذاء، ليعود كل واحد إلى منزله بعد أن جمع قدرا كبيرا من الفول؛ الذي يترك ليجف تحضيرا لاستعماله في حلوى لَمْلِيسَة** التي تعد في الأيام الثانية عشر الأولى من شهر ربيع الثاني (المولود). أما الكبار فيقصدون منازل الجيران ومنازل أقاربهم لتناول وجبة لَبسيسة التي أعدت خصيصا لهم، بينما البيض المطبوخ يتم إرساله إلى كبار السن من الأهل والأقارب كالعم والعمة والخال والخالة والجد والجدة والوالدين وحتى الجيران[2].

. **كْفِيخْ الماء:** يكون يوم العاشر من محرم أي يوم عاشوراء، حيث يعمد الشباب رفقة الأطفال إلى ملئ أواني بالماء، ثم التجول بها عبر الشوارع والأزقة، وإذا صادف وإن مرت امرأة أو فتاة يصب عليها هذا الماء إلا إذا فرت، ويقال أنه إذا صب هذا الماء على الفتاة تخطب قريبا[3].

⋆**.المولد النبوي الشريف :**

جرت عادة سكان قصر أدغاغ أن يحتفلوا بالمولد النبوي كغيرهم من سكان قصور توات من تينجورارين إلى توات إلى تيديكلت. تدوم هاته الاحتفالات طيلة الأيام الثلاثة عشر الأولى من شهر ربيع الأول

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق: المقابلة السابقة.

*. للمزيد: انظر ص164.

**. للمزيد: انظر ص164.

[2]. الحاجة فاطمة الزهراء بنت الطيب بن عبد الله عبوبي: مقابلة شخصية، بمنزلها بقصر أدغاغ، يوم 2014/01/08م.

[3]. نفسها.

(المولود) حيث تتنوع هاته الاحتفالات ما بين ترديد المدائح الدينية وتأدية الرقصات الشعبية من طرف الرجال وطقوس تمارسها النساء.

يعكف المصلون على ترديد المدائح الدينية في المسجد (قراءة البشير) بداية من غرة ربيع الأول (يوم طلوع الشهر) وإلى غاية اليوم الثاني عشر; وهو اليوم الذي ولد فيه خير البرية. يجتمع المصلون بعد صلاة المغرب في زاوية من زوايا المسجد على شكل حلقة ويشرعون في تلاوة المتون الآتية : البردة؛ الهمزية؛ البغدادي؛ قصائد الشيخ لعروسي و الحلبي، إلا أنه في اليوم الثاني عشر يجتمعون صباحا في المسجد لينطلقوا بعد ذلك لزيارة عدد من الأماكن المقدسة قبل عودتهم وقت الظهيرة[1]، يكون نشاطهم في هذا اليوم كالآتي:

يجتمع المصلون في المسجد قبل طلوع الشمس ليرددوا ربع قصائد الهمزية، بعدها يقصدون الأماكن المقدسة في القصر وفي القصور المجاورة وهم يرددون قصائد الحلبي وقصائد البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم متخذين الطريق الآتي: ينطلق الركب من المسجد باتجاه زقاق الشهود مرددين مقطعا من قصائد الحلبي، بداية من:

يا سيدي رسول الله خذ بيدي مالي سواك ولا آوي إلى أحد
فأنت نور الهدى فيكل كائنة وأنت سر الندى يا خير معتمدي

إلى غاية:

عليه أزكى صلاة لم تزل أبدا مع السلام بلا حصر ولا عدد
والآل والصحب أهل المجد قاطبة بحر السلام وأهل المجد والمدد

ومن زقاق الشهود يعودون أدراجهم إلى المسجد وهم يرددون المقطع الموالي من قصائد الحلبي بداية من:

مولاي صل وسلم دائما لأبدا على حبيبك خير الخلق والرسل
ما للمساكين مثلى مكثري الزلل إلا شفاعة خير الخلق والرسل

إلى غاية:

ومن مواهبك استغنيت عن عرضي لديك كل الغنى يا كنز كل ولي
عليم أزكى صلاة الله ما طلعت شمس وما سار سار في مدى السيل

من المسجد يأخذون طريقهم هذه المرة إلى مقبرة آدغاغ الكبيرة مقبرة سيدي عبد الرحمن بن محمد وهم يرددون مدائح البردة. بعدها مباشرة يتجهون إلى قصبة القايد وهم يرددون مدائح الحلبي بداية من المقطع:

صلى عليك الله يا مصطفى والآل والأصحاب طول الدوام
وعطرت ذاك الحمى نسمة قدسية قد طاب منها الأنام

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيته بزقاق الشهود، يوم 2014/01/10م

إلى غاية:

صلى عليك الله يا مصطفى والآل والأصحاب طول الدوام

أزكى صلاة عرفها طيب تعطى بها الزلفى وحسن الختام

بعد زيارة قصبة القايد يعودون أدراجهم إلى مشارف القصر لزيارة أهل قبور مقبرة سيد الحاج محمد وهم يرددون ما بقي من قصائد الحلبي بداية من المقطع:

صلى عليك الله يا مصطفى ما رق فيك المدح والغزل

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل

إلى غاية :

مسلما ما فاح عطر الحمى وطاب منها الند و المندل

والآل والأصحاب ما غردت ساجعة أملودها مخضل

من المقبرة يأخذون طريقهم إلى القصبة القديمة مكملين ترديد ما بقي من قصائد الحلبي بداية من المقطع:

يا رسول الله يا خير الأنام يا عظيم الخلق يا بدر التمام

يا رسول الله يا قطب البها يا شفيع الخلق في يوم الزحام

إلى غاية:

فعليك الله صلى دائما ما بدا صبح وما ولى ظلام

وعلى الآل مع الأصحاب ما ناح بالأغصان بالشوق حمام

من القصبة القديمة يقصدون زقاق الشهود مرة أخرى وهم يرددون المقطع الموالي من قصائد الحلبي بداية من:

عليك صلاة ربك كل حين وتسليم إلى يوم التنادي

بحمد الله أبدأ في مرادي وباسم الله مولانا أنادي

إلى غاية:

عليك صلاة ربك كل حين صلاة لا تفارق في ازدياد

وتسليم يفوق المسك نشرا يدوم كذا إلى يوم التنادي

من زقاق الشهود يرجعون إلى الجامع مرددين المقطع الموالي من قصائد الحلبي بداية من:

عليك صلاة ربك ذي الجلال أَ بَدْر التام أَ زِينَ الرجال

أَ سِرَّ الكون يا سيد البرايا أَ نَجْمَ الفجر يا زكي الجلال

إلى غاية:

بك استشفعت مولى المعالي بتعجيل توبتي وصلاح حالي

ويمحو حوبتي ويريح ذنبي فقد أصبحت للأوزار قال

من المسجد يتجهون إلى منطقة عرف أمَّا مْلِيحَة وهم في استراحة من ترديد المدائح، وعند وصولهم يتوضأون في ساقية اثرينج المارة بالمكان. بعدها يتجهون إلى زيارة مقام الولي الصالح سيدي عبد الله بن مولاي سليمان بن علي بقصر باعبدالله مرددين قصائد البردة، وعند وصولهم مقام الولي يتلون سورة الفاتحة على روح الولي ليتجهوا بعدها إلى قصر أولاد اوشن لزيارة مقام الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي مرددين ما بقي من قصائد البردة، ليجدوا السكان في استقبالهم، هناك يتلون سورة يسن ثم يختمون السلكة ليتقدم أكبر حفيد من أحفاد مولاي سليمان بن علي من بين الحضور ليتلو سورة الفاتحة على روح الولي قبل اتجاههم إلى قصر أولاد انڭال لزيارة مقام الولي الصالح سيدي امحمد الونڭالي، أين يتلون سورة الفاتحة على روح الولي قبل عودتهم إلى قصر أدغاغ متبعين طريقا آخر غير طريق ذهابهم مارين بقصري ماسيني؛ إذ عند وصولهم إلى هذا الموضع الأخير يأخذون طريقهم إلى مقام الولي الصالح سيدي بوعلالة وهم يرددون المقطع الأخير من قصائد الحلبي بداية من:

عليك صلاة ربك ذي الجلال أَ بَدْر التام أَ زِينَ الرجال

أَسِرَّ الكون يا سيد البرايا أَ نَجْمَ الفجر يا زَكي الجلال

إلى غاية:

بك استشفعت مولى المعالي بتعجيل توبتي وصلاح حالي

ويمحو حوبتي ويريح ذنبي فقد أصبحت للأوزار قال

عند وصولهم غلى مقام الولي الصالح سيدي بوعلالة يجدون السكان المجاورين للمقام في انتظارهم أين يتلون الفاتحة والدعاء ثم يتفرقون.

مع العلم أنه في حالة تصادف الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بموسم الصيف فإن الركب يقوم بتوزيع جولته المدحية على مرحلتين؛ المرحلة الأولى تنتهي عند زيارة مقام الولي الصالح سيد عبد الله بن مولاي سليمان بن علي ليتفرق الجميع، ثم يعودون لإتمام جولتهم بعد صلاة العصر، والسبب في ذلك هو شدة الحرارة خاصة وأنهم يقومون بجولتهم راجلين.[1]

جرت العادة أنه طيلة هذه الأيام الثانية عشر تعمل ربات البيوت على طهي الكسرة* وأخذها إلى المسجد لتقسم إلى قطع توزع على الحاضرين من المصلين والأطفال، وكذلك الشأن بالنسبة لملح البشير (لمليسة) كل يأخذ نصيبا، وهذا العمل من باب الصدقة[2].

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: المقابلة السابقة.

*. كسرتين أو ثلاث كل ليلة مع إعلام المسؤول عن ذلك قبل يوم.

[2]. الحاجة عائشة بنت عبد الرحمن يوسفي: مقابلة شخصية، ببيتها بزڤاڤ اخلف بقصر أدغاغ يوم 12 ربيع الأول 1435 هـ الموافق لـ 13 جانفي 2014 م.

استمر سكان قصر أدغاغ في ممارسة هذه الشعائر طيلة فترة الدراسة ولا يزالوا محافظين على ذلك.

أما الرقصات الشعبية التي كانت تؤدى احتفالا بالمولد النبوي الشريف وابتهاجا بهذا اليوم الذي شهد ميلاد خير خلق الله جميعا فكانت رقصتي برزانة والبارود[1].

رقصة برزانة تؤدى يوما بعد يوم ابتداء من أول يوم من شهر المولود والى غاية اليوم الحادي عشر، تؤدى هذه الرقصة في اليوم الواحد في ثلاثة أماكن معينة قبل توجههم إلى المكان الرابع والأخير.

يجتمع المؤدون وسكان القصر رجالا ونساء وأطفالا بعد صلاة العشاء عند مدخل زقاق الشهود في الرحبة المسماة بالجْمَاعة فيبدأون بقرع أَقَلاَّلْ (الدربوكة) والرقص بالعصي مشكلين حلقة، ولسان حالهم يردد المقطوعة الآتية بريثم ثقيل :" آ الله الله الله مولانا". بعدها يسرعون الإيقاع ويرددون :" ايوا يا الرسول صلوا على النبي". وبعد إتمام دورتين أو ثلاثا ينتظم المؤدون في صفين متقابلين بينما حاملي أقلال يعزفون إيقاع المقطوعة ذهابا وإيابا بين الصفين والحاضرون يتبعونهم إلى أن يصلوا إلى المكان الثاني وهو "فم القصر" قرب صومعة المسجد؛ أين ينتظمون مرة أخرى على شكل حلقة ويؤدون نفس الرقصة وبنفس الإيقاع، وبإتمامهم ثلاث دورات يتجهون وبنفس التنظيم السابق إلى المكان الثالث وهو "فم زقاق ابَّاحَنِّي" حيث يقومون بنفس الأهازيج وعلى نفس الطريقة وبعد ذلك يتوجهون بأغوماس* إلى "رحبة القصبة" أين يقومون بنفس الأداء السابق قبل إنهائهم و تفرق الجميع على أمل اللقاء بعد غد[2]، مع العلم أن الفرقة الإيقاعية تخصص يوما لأداء إيقاع ورقصة برزانة في دار الشرفاء ويوما آخر للطبل**.

والسبب في ذلك أن نساء الدار كُنَّ لا يخرجن كباقي نسوة القصر (يطلق عليهن صفة حَابْسَات***)، ونظرا لقدر سيدي مولاي علي الشريف الرفيع ومكانته الاجتماعية المرموقة بين سكان قصر أدغاغ أرسلت كل فرقة عضوا منها إلى أهل الدار ليطلب الإذن بالسماح لكل فرقة بتخصيص يوم تقام فيه الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في دارهم حتى تتمكن نساء الدار من المشاركة في الاحتفال فكان لهم ذلك. ومنذ ذلك الحين خصص يوم من الأيام الحادية عشر الأولى من شهر المولود لكل فرقة لتأدية برزانة والطبل في دار الشرفاء[3].

---

[1]. الحاج مبروك بن الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: المقابلة السابقة.

*. أغوماس هي كلمة محلية تطلق على المقدمة الغنائية الخالية من الإيقاعات والتي يبتدئ بها المداح أو الفرقة.

[2]. الحاج مبروك بن الحسان بن عبد الرحمن بلقيزي: المقابلة السابقة.

**. دار الولي الصالح مولاي علي الشريف وهي معروفة بدار الشرفاء.

***. الحابسة لا تشارك أهل القصر لا في الأفراح ولا في الأتراح و إن لزم الأمر تفعل ذلك كبيرة العائلة دون سواها، وعلى العكس من ذلك فان نساء القصر لا يعاملنها بالمثل.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق بن مولاي الطيب: مقابلة شخصية، بدار مولاي علي الشريف بقصر أدغاغ، يوم10 ربيع الأول 1435هـ الموافق لـ 2014/01/11م.

ويوم المولد النبوي الشريف الذي يسمى محليا يوم رْڤِيصْ الشَّمس* تقوم النساء صباحا مع شروق الشمس بوضع الجمر في شڤفة** ويرش ببخور أم الناس ثم تطوف به المرأة في سطح المنزل وهي تردد :

لالة يا فاطمة على من وصاك النبي *** السايل لا تبخليه بنص تمرة سلكيه

وتستمر في أداء هذا الطقس ما دامت الشمس ترقص مع إرسال زغردات بين الفينة والأخرى حيث تنتشر الزغاريد في أرجاء القصر، كما تنتشر رائحة بخور أم الناس في الأجواء، وبعد كف الشمس عن الرقص توضع الشڤفة على أحد جدران السطح[1].

في نفس اليوم بعد صلاة العشاء تؤدى رقصة البارود بالمناسبة في رحبة القصبة، وفي اليوم الموالي بعد صلاة المغرب تتجه فرقة البارود إلى ڤصبة القايد المتواجدة على بعد 3 كم من قصر أدغاغ أين تقوم الفرقة بتأدية رقصتها في حضرة القايد إلى غاية تجهيز العشاء حيث يتناولون الوجبة ليعودوا من حيث أتوا[2].

- **ليلة القدر وعيدا الفطر و الأضحى:**

⋆. **ليلة القدر** : تسمى محليا بـ "ليلة لَفْضِيلَة" حيث صباح هذا اليوم (يوم السادس والعشرين من رمضان) يكنس الجامع من الرمال المفروشة به، ثم يخرج الرجال والنساء إلى الرق كل مجموعة على حدة لجلب الحصى إلى المسجد، حيث يحمل الرجال الحصى في عمائمهم والنساء في أطباق سعف جديدة.

يتم ذلك على ثلاث دفعات، الدفعتين الأولى والثانية للجامع الكبير والدفعة الثالثة للجامع الصغير، حيث توضع الحصى في رحبة الجامع لتفرش فيه فيما بعد، يحدث هذا وسط زغردات النساء بين الفينة والأخرى. و بعد صلاة المغرب يجتمع المصلون في المسجد لإحياء ليلة القدر وقد عين قبل تلك الليلة عددا من المتطوعين ليؤم كل واحد منهم المصلين بخمسة أحزاب ويستمر الحال هكذا إلى أن يحين موعد الفجر حيث يتناول المصلون السحور وبعد الصلاة يفترقون[3].

⋆.**عيدا الفطر و الأضحى:**

قبل العيد بيومين أو ثلاثة تنظف البيوت من الرمال القديمة المفروشة بها والتي يفرش بها الشارع، ثم يفرش البيت برمال صافية يحضرها شباب القصر من العروق المحيطة به. كما تعمل ربّات البيوت على غسل ملابس

---

*. يقال أن الشمس ترقص في هذا اليوم فرحا بمولد خير البرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

**. كلمة فصيحة حيث ورد في لسان العرب: الشڤف هو الخزف المكسر، للمزيد ينظر: ابن منظور، (ج 9): المرجع السابق، ص 183.

[1] الحاجة فاطمة الزهرة بنت الطيب بن عبد الله عبوبي: المقابلة السابقة.

[2] . الحاج مبروك بن الحسان .بن عبد الرحمن بلڤيزي( رئيس فرقة بارود أدغاغ): مقابلة شخصية، ببيته بزڤاف مكناس بقصر أدغاغ 03/25 /2014م .

[3]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيته بزڤاف الشهود، يوم 24 /07/ 2014 م .

أزواجهن و أبنائهن إن لم يكن بالإمكان الحصول على ملابس جديدة، حيث كانت تتجه النسوة أو خادماتهن إلى فقارة اخلف المارة في محيط القصر؛ أين تتواجد صفائح حجارة كبيرة أخرجت من الفقارة أثناء حفرها، فتستعمل كأداة للغسيل، ونظرا لانعدام الصابون فقد كن يغسلن الملابس بالطين الخضراء التي كانت تستخرج من فقارة ضاهر أثناء عملية الصيانة[1].

وهناك من كن يقصدن قصر أولاد أونقال إلى زقاف الشّعال حيث فقارة ايقَنَّجْ؛ التي كانت تحيط بها هي الأخرى صفائح حجارة كبيرة كما كان يظلل المكان أشجار كثيرة[2].

تغسل الملابس وتنشر على الرمال المتواجدة بالمكان وفي انتظار جفافها تتسامر النسوة وتتناقشن في أمور مختلفة[3].

كما تقوم النسوة قبل يوم العيد بتنظيف حليهن الفضية، حيث كن يخرجن أمام بيوتهن ويقمن بتنظيف الحلي الفضية بدعكها بالتراب المبتل بالماء، ثم دفنها في التراب الجاف وبعد هنيهة تدعك باستعمال الجير لتزداد لمعانا[4].

وعند الإعلان عن رؤية هلال شوال توزع زكاة الفطر (الفَطْرَات) على مستحقيها، وقد كانت تخرج من التمر باعتباره طعام أهل البلد.

كما كانت الماشطات في تلك الليلة تطفن ببيوت زبوناتها من أهل القصر تمشط لهن شعورهن[5].

وإن كان العيد المحتفل به عيد الأضحى فإن رجال القصر وشبابه يقصدون صبيحة يومي لَمْحَلَّلْ (الثامن من ذي الحجة) و لَمْحرَّم (التاسع من ذي الحجة) سبخة قصر بوزان على ظهور الحمير، لجلب الملح التي سيتبل بها لحم الأضحية قبل نشره ليجفّ منعا لتعفنه نظراً لانعدام المبردات، مع العلم أن الملح المجلوبة تستعمل أيضاً لأغراض الطهي، حتى أنهم كانوا يجلبون كمية تكفيهم لحَوْل كامل[6].

---

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاف اخلف بقصر أدغاغ، يوم 24 /07 /2014م.

[2]. نفسها.

[3]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: مقابلة شخصية، ببيت ابنها بقصر أدغاغ، يوم 25 /07 /2014 م.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 25 /07 /2014 م..

[5]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[6]. لالة فاطمة الزهرة بنت سيدي عبد الرحمان بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاف الشهود، يوم 2014/07/24م.

صبيحة يوم العيد يجتمع رجال القصر وشبابه وأطفاله عند مدخل زقاق الشهود ينتظرون الإمام (الشّاهَد) للتوجه إلى مقبرة سيدي حمو لأداء صلاة العيد[1].

أواسط القرن العشرين عكفت امرأة من سكان زقاق الشهود تسمى مريم بنت لحبيب (المكنات ميمي حبيبة) على تنظيف المكان الذي كان يجتمع فيه المصلون، وفرشه بتراب صافية وتعطيره بالبخور نظراً لوقوعه قرب منزلها[2].

بعد ذلك يتجه الجميع إلى المقبرة وهم يرددون"الله أكبر الله أكبر ولله الحمد". ثم يصطفون في المصلى الذي جُهِّز خصيصاً لهذا الغرض. لتبدأ شعائر صلاة العيد التي يعلن عن وقت أدائها في المسجد في الليلة الماضية عقب صلاة العشاء. بعد الانتهاء من صلاة العيد، يهنىء جمع المصلين الشَّاهَدْ وبعضهم البعض، ثم يتجهون جماعات وفرادى لقراءة الفاتحة على أرواح أقربائهم الموتى، قبل انطلاقهم إلى بيوتهم حيث يهنؤون أهاليهم، وبعدها يطوفون على أقاربهم وجيرانهم من كبار السن للتهنئة[3].

أما إن كان العيد عيد الأضحى فإنهم يحرصون على العودة إلى منازلهم بعد الصلاة مباشرة لذبح الأضحية من كان باستطاعته ذلك[4].

وقد جرت العادة أن لا يذبح السكان أضاحيهم إلا بعد تلقي إشارة من الشَّاهَد، هذا الأخير كان يذبح أولا ثم يلطّخ جريدة نخل بدم الأضحية وتُعَلَّق في حائط في المِنْجُور وهو المكان الذي يمر منه كل السكان (مفترق الطرق) إيذاناً منه للآخرين بالذبح[5].

الحالة المعيشية للسكان كانت مزرية ولم يكن بإمكان معظمهم ذبح الأضحية، لذلك فإن ربع الأضحية المخصص للصدقة كان يقطع إلى قطع صغيرة، ثم يوضع في طْبَقْ وتطوف به ربة البيت على الجيران الذين لم يتمكنوا من ذبح الأضحية، كل جارة تأخذ قطعة. أما ثلاثة أرباع الأضحية الباقية فإنها كانت تقطع إلى قطع وتشرح ثم تتبل بالملح وتنشر لتجف جيداً قبل الاحتفاظ بها في كيس من القماش أو الحلفاء[6].

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[2]. لالة فاطمة الزهرة بنت سيدي عبد الرحمان بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[3]. الحاج محمد بن سيد أحمد بن صويدق: مقابلة شخصية، برحبة القصبة، يوم 2014/07/24م.

[4]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[5]. لالة عائشة بنت ديدي هاشم بن سيدي محمد بن هاشم: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2014/07/24م.

[6]. لالة عائشة بنت ديدي هاشم بن سيدي محمد بن هاشم: المقابلة السابقة.

- **. عادات أخرى:**

⋆ . **لاَلَّة جْلِيخَة** : لالة جليخة اسم يطلق على غصن النخلة (الجريدة)؛ الذي سيكون عنصرا فعالا ضمن الطقوس التي تؤدى يوم الأربعاء الأخير ( الأربعاء الكحلة) من شهر صفر (شهر البَيَّضْ*) . تمارسها البنات والمطلقات والأرامل فقط.

تبدأ هذه الطقوس ثلاثة أيام قبل الموعد المحدد (الأربعاء الأخير من شهر صفر) حيث تجتمع البنات والمطلقات والأرامل في اليومين الأول والثاني بعد صلاة المغرب ليطفن في القصر ويرددن : " يا لطيف يا لطيف يا رب بَعَّدْ لبْلاَ( أَخِّرْ البَلاَءَ)"، وفي اليوم الثالث يقمن بجمع مؤونة (صدقة) أثناء طوافهن، حيث يقدم لهن شيئا من الأكل كالقمح؛ الشحم؛ البصل؛ العكري والتمر وغيره، أو الحطب أو شيئا من أدوات الزينة كالبخور والعطر والزعفران والحناء وغيره مما تتزين به المرأة التواتية[1].

في اليوم المحدد (الأربعاء الأخير من شهر صفر) يطحن الزرع ويُفْتَلُ كُسْكُسًا تحضيرا لطهيه في المساء؛ حيث تكلف بذلك إحدى النسوة المطلقات أو الأرامل المعروفات بمقدرتهن على التحمل، وبإجادتهن لطهي الكسكس وذلك بمساعدة أخريات، مع العلم أن الطهي يكون في دار خالية غير مسكونة[2].

في هذه الأثناء يختار شخص اسمه محمد أو أحمد لجلب الجريدة (غصن النخلة) من بستان الوقف (جنان الحبس)، على أن توضع في رحبة لتحضر البنات والأرامل اللواتي يبدأن في تحضير لالة جليخة؛ فتقوم كل واحدة بتمزيق أوراق الجريدة (السعف) إلى خيوط على أن تبقي السعف متصلا بالعصي لا يفصل عنه، ثم تقوم بربط خيط قماش أحضرته معها في هذه الجريدة مع طلب أمنيتها أثناء قيامها بالربط، بعد الانتهاء تكون لالة جليخة قد ارتدت حلة جميلة من الخيوط بمختلف ألوانها وأحجامها، لتقوم الحاضرات برش ما جمع من العطر على الغصن وتعطيره بكل البخور الذي جمع أيضا، أما الحناء فيتم طحنها ثم عجنها لتوزع على الحاضرات يطلين بها أيديهن، وقد جرى العرف في ذلك اليوم أن يتم استعمال كل المؤونة التي جمعت أغذية كانت أو مواد تجميل ويحرم

* . للمزيد حول أسماء الأشهر باللهجة المحلية: انظر ص309.

[1]. لالة المولاة بنت مولاي عبد العزيز تيقاوي( 93سنة): مقابلة شخصية، ببيتها بعرف بلحاج بقصر أدغاغ، يوم 29 صفر 1435هـ الموافق لـ 2014/01/01م.

[2]. نفسها.

أخذ شيء منها من ذلك الموضع إلى مكان آخر وإلا لحقت اللعنة بالمخالف* حتى ولو كان المأخوذ منها ضئيلا[1].

بعد ذلك وقبيل غروب الشمس تتجه الحاضرات بلالة جليخة إلى الرق وهن يطبلن ويرددن العبارة الآتية : " لالة كونة بنت الكون دار** (زوجة) الشيخ شمهروت." وعندما يصلن إلى مقصدهن يحفرن حفرة ويُقِمْنَ فيها الغصن (لالة جليخة) قائما ثم يدْفِنَّ الحفرة بالتراب وهن يمسكن بالغصن لتقول إحداهن " كراع المشة ياللي قبضو بوعَقَّالْ " بمعنى " قدم القطة الذي بقي دون حراك غير قادر على المشي " وبمجرد الانتهاء من ترديد هذه العبارة تنطلق الحاضرات هاربات عائدات إلى المكان الذي انطلقن منه غير ملتفتات إلى الخلف[2]. لما يرجعن يقمن بإكمال طهي العشاء، ليتم بعد ذلك تناول الوجبة حيث يأكل الجميع بالإضافة إلى الأولاد الحاضرين في المكان أو أي مار مهما كان جنسه، مع عدم أخذ شيء من ذلك الطعام إلى أي شخص في مكان آخر*** مهما كان السبب[3].

أما رجال القصر فيقومون في هذا اليوم بالطواف حول القصر قارئين البردة ومرددين عبارة " يا لطيف يا لطيف " حيث يتم ذلك بعد خروجهم من المسجد بعد صلاة العصر[4].

---

*. يقال أن امرأة مطلقة كانت من بين الحاضرات دست بين ثيابها شيئا من البخور الذي جمع، ففي تلك الأمسية حدث تلاسن بينها وبين شقيقها انتهى بضربه لها : لتشتكي منه عند مسؤول القصر الذي قام بإبعادها عن أخيها وإرجاعها إلى زوجها وبذلك حسب سكان القصر حلت عليها اللعنة وحرمت من حضور الاحتفال بلالة جليخة منذ تلك اللحظة لانعدام السبب عنها وهو صفة المطلقة، لكن في حقيقة الأمر أن ما حصل لها كان نعمة عليها وليس نقمة إذ رجعت إلى زوجها وأولادها بعد طلاقها مدة طويلة.

[1] .الحاجة فطومة بنت العابد بقادر زوجة بلحاج: مقابلة شخصية، ببيتها بعرف بلحاج بقصر أدغاغ، يوم 29 صفر 1435هـ الموافق لـ 2014/01/01 م.

**. دار باللهجة المحلية لها معنيين، الأول بمعنى "منزل" فنقول : هذه دار فلان (إشارة إلى المكان) أي منزله. والثاني بمعنى "زوجة "فنقول أيضا : هذه دار فلان (إشارة إلى المرأة) أي زوجته، فالمنزل نقصده للسكن والزوجة كذلك مصداقا لقوله تعالى : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيت لقوم يتفكرون " الآية 20 من سورة الروم.

[2] . لالة المولاة بنت مولاي عبد العزيز تيقاوي: المقابلة السابقة.

***. يقال انه في إحدى الاحتفالات بلالة جليخة أرادت المرأة التي كانت مسؤولة عن الطهي أخذ شيء من هذا الطعام إلى أختها المريضة التي تركتها في المنزل، فاحتفظت به في إحدى الزوايا وأخفته عن الأعين، إلا انه أثناء إشرافها على تقديم الوجبة تسلل أحد الأولاد إلى المكان وأخذ ما احتفظت به وتناوله رغم تناوله حصة منه مع أقرانه ، فحسب الرواية هذا دليل كافي على عدم إمكانية أخذ شيء من طعام لالة جليخة إلى أي مكان آخر أو إلى أي شخص آخر لم يكن في الموقع على خلاف العادة.

[3]. الحاجة فطومة بنت العابد بقادر: المقابلة السابقة.

[4]. مولاي هاشم بن سيدي محمد حسني: مقابلة شخصية، ببيته بعرف بلحاج بقصر أدغاغ، يوم 29 صفر 1435هـ الموافق لـ 2014/01/01م. توفي يوم: 2015/08/13م. عن عمر يناهز 102سنة.

ظلت هاته الطقوس تمارس في قصر أدغاغ طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى سبعينات القرن العشرين. مع العلم أن هاته الطقوس (لالة جليخة) كانت تشارك فيها نساء وبنات من قصر بربع وقصر أوقديم و عرف بلحاج المجاورين لقصر أدغاغ حيث يتم استدعاء البنات والمطلقات والأرامل من قصر أدغاغ الرئيسي للمشاركة في أداء هاته الطقوس[1].

**⋆. ظاهرة الخسوف والكسوف***:

عندما ينخسف القمر تخرج الأخوات الشقيقات (اثنتان أو ثلاثة) إلى مفترق الطرق (المِنْجُورْ) ويقمن بدق الحناء جماعيا في مهراس العود وهن يرددن : " يا من ضاق الحال عليه ... يا رب فرج عليه ... لا اله إلا الله محمد رسول الله ... لا اله إلا الله الصدقة حق المبين[2] ".

أما النساء والأطفال فيخرجن ليطفن في أرجاء القصر وهم يطبلون على الأواني ويرددون : " شَهْدُوا يا الغافلين لا تموتوا كافرين"، مع العلم أن النساء اللواتي كن ينوين خض الحليب ما عليهن إلا وضعه في الشكوة** و أخذه معهن أثناء الطواف لاستغلال الفرصة وخَضِّهِ. وقد جرت العادة أيضا أن يأخذن معهن ديكا صياحا. كما أن البنات العازبات ترتدين الزي المعروف بـ "ليزار" مع تعرية أكتافهن. ويقال انه بمجرد انتهائهم من طواف الدورة الثانية وبداية الدورة الثالثة يظهر القمر من جديد وينجلي الخسوف[3].

أما ظاهرة الكسوف فعندما تحدث يخرج النساء والأطفال حاملين الأواني ويطبلون عليها مرددين:

إِيهْ يا وِيهْ النَّارْ غْلَبْتَكْ يا الشمس النار لاَبْسَة الدَّكَّالِي والشمس لاَبْسَة دَرْبَالَة

يا مَنْ ضَاقْ الحَالْ عْلِيه يا رَبِّ فَرَّجْ عْلِيهْ

لا اله إلا الله محمد رسول الله

لا اله إلا الله الصَّدَقَة حَقَّ المِبِين

ثم يطوفون في أرجاء القصر و يقال أنه بمجرد إكمالهم دورتين متتاليتين تظهر الشمس[4].

---

[1]. لالة المولاة بنت مولاي عبد العزيز تيقاوي: المقابلة السابقة.

*. يحدث الخسوف عندما يكون القمر بدرا وفي خط مستقيم مع الأرض والشمس، فتتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيهبط ظلها في بعض الأحيان على صفحة القمر فيحجب نور الشمس عنه فيحدث الخسوف. أما الكسوف فيحدث عندما يكون القمر في المحاق يتوسط بين الشمس و الأرض، فيسقط ظله على صفحة الشمس فيحجب بعضا من نورها عن سكان الأرض، للمزيد ينظر: الخسوف والكسوف، متاح على الموقع: astronomyscience.net، تاريخ التحميل، 2014/09/01م.

[2]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق اخلف بقصر أدغاغ، يوم 2014/09/01 م.

** الشكوة: قربة صغيرة تخصص لخض الحليب بهدف استخراج بعض مشتقاته كالزبدة. انظر احمد ابا الصافي جعفري، ا اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، دار الكتاب العربي، الجزائر، (ج1) (ط1)، 2013، ص 340

[3]. الحاجة فاطمة الزهرة بنت الطيب بنت عبد الله عبوبي: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/09/01 م.

[4]. نفسها.

**⋆ . دخول توبر، دخول الشتاء، دخول السابعة، دخول ابريل ودخول مانيوه:**

*.**دخول توبر**: يعتمده الفلاحون*، يكون يوم 01 توبر موافقا ليوم 14 أكتوبر من كل عام. ابتداء من هذا اليوم يبدأ الموسم الفلاحي الجديد، فيتجه الفلاحون إلى البساتين لحراثة الأرض، الذي سبقه في شهر غُشَّتْ عملية " التَّنْقَالْ"؛ نقل الذبال (فضلات الحيوانات أو فضلات الإنسان) إلى البساتين، كما يعمد الفلاح في هذا اليوم إلى التوسعة على أهل بيته، فيذبح ذبيحة إن كانت لديه، أو يشتري اللحم إن لم تتوفر لديه الذبيحة، كما تعمل ربات البيوت على إعداد أكلة خبز القلَّة في هذا اليوم[1]. كما جرت العادة أيضا ان الخماس يعزم صاحب البستان على وجبة العشاء في مثل هذا اليوم وفي الخريف وقت جني محصول التمر (قطيع التمر) يتحصل الخماس على محصول نخلة من التمر.

*. **دخول الشتاء**: يوم 17 وَنْبِيرْ الموافق ليوم 30 نوفمبر في هذا اليوم وجبة العشاء تكون من نفقة المرأة إذ عليها أن تقدم ديكا أو دجاجة ملكا لها لتطبخها في وجبة العشاء[2].

*. **دخول السَّابْعَة**: تسمى السَّابْعَة أو الرَّابْحَة؛ هي سبعة أيام موزعة على ثلاثة أيام الأخيرة من شهر فبراير الشهر الفلاحي( أيام 13/12/11 مارس الميلادي)، وأربعة أيام الأولى من شهر مارس الفلاحي(أيام 17/16/15/14 من شهر مارس الميلادي)[3]، ويقصد بها الأيام الحسوم[4].

وقد ورد في ابن منظور عن معنى الحسوم. الحسوم : الشؤم، وأيام حسوم : تقطع الخير أو تمنعه، وفي التنزيل قال تعالى: " سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية[5]. وقيل الأيام الحسوم الدائمة في الشر خاصة، قال الفراء: الحسوم التباع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل له حسوم، وقال ابن عرفة في قوله : ثمانية أيام حسوما أي متتابعة قال الجوهري : يقال الليالي الحسوم لأنها تحسم الخير عن أهلها[6].

---

*. للفلاحين تقويم خاص، للمزيد ينظر: ص309.

1. مولاي هاشم بن سيدي محمد حسني الأدغاغي: مقابلة شخصية، ببيته بعرف بلحاج بقصر أدغاغ، يوم 2014/10/14م.

2. الحاجة السيدة بنت عبد الرجمن يوسفي: مقابلة شخصية، ببيت أخيها بقصر أدغاغ، يوم 2014/10/14م.

3. لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمان بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي:مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق الشهود، يوم 2014/03/12 م.

4. عبد المالك مرتاض: في الأمثال الزراعية دراسة تشريحية لسبعة عشر مثلا شعبيا جزائريا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 187.

5. الآية 7 و 8 من سورة الحاقة .

6. ابن منظور: المصدر السابق، (ج 12)، ص 134.

كما يقال أنه في هذه الأيام تهب الرياح و التي ربما تكون ضررا على المحصول الزراعي[1].

وقد جرت عادة سكان قصر أدغاغ أن يمارسوا عدة طقوس في هذه الأيام، فالنساء يقمن بالطواف في البستان لجمع أربعين عشبة متواجدة في تلك الفترة، حيث يعمدون إلى قطف عدد من أوراق أربعين نبتة كالرمان والكروم ومريوة والقمح وتقسقاس والشعير والنخيل وغيرها من نباتات الموسم*. ثم تغسل وتترك لتجف، بعدها تطحن جيدا لتصير مسحوقا يحتفظ به كنوع من التوابل يتبل به لَخْتِيم** الذي يستخدم كنوع من التوابل في طبق الحساء[2] . كما كانت النسوة في هذه الأيام تبخر البستان ببخور أم الناس اعتقادا منهن أن هذا يعمل على إبعاد الضرر عن المحصول كما يأمل بذلك أن يكون المحصول جيدا[3].

أما الفلاحون الذين قرروا حصاد الزرع عقب خروج السابعة فإنهم يقومون بحصد قبضة يد من الزرع قبل دخول السابعة بيوم (يُشْرَمُ الزرع)، وذلك اعتقادا منهم أن هذا العمل سيحول دون حدوث مشاكل أو أضرار وقت الحصاد[4].

منذ سبعينات القرن الماضي اختفت معظم هذه الطقوس وربما لم يعد يذكر منها إلا موعدها وذكريات ما فتئت الجدات تذكرها كلما حل موعدها، اللهم حشيش السابعة الذي استمرت بعض النسوة في جمعه لتتبيل لَخْتِيمْ.

*. **دخول ابريل:** يوافق يوم **14** ابريل، في هذا اليوم يتم طبخ النواضة*** باستعمال طحين الزرع المحصود في مارس لهذا العام، كما يتم استعمال العدس المحصود في هذا الموسم أيضا في طهو المرق التي ستمرق بها النواضة.

*. **دخول مانيوه** : بداية فصل الصيف في إقليم توات، والذي يكون بداية من الرابع عشر ماي من كل عام، حيث أنه يحدث بأن يتغير الجو من الربيع إلى الصيف وبالتالي انتقال الأهالي إلى النوم على الأسطح بدل النوم في السقائف، وحتى لا يصاب الناس بالأمراض الناتجة عن تغير الجو؛ وما يصحبه من اضطرابات طقسية تؤثر عل الصحة، مما يصاب الأشخاص خاصة الأطفال بأمراض الجهاز التنفسي المعروفة بالزكام والسعال، فتعمد إحدى النسوة العارفات بهذه الأمور وعادة ما تكون من المتقدمات في السن بإعداد ما يسمى باللهجة المحلية بـ "الشْمُومْ" وهو عبارة عن خليط يتكون من: بذور نبتة الكزبرة المحمصة و القرنفل (عود النوار) وحبات ثوم

---

[1]. عبد القادر بن محمد لمعلم ( فلاح ): مقابلة شخصية، ببيته قصر أدغاغ، يوم 15 /03/ 2014 م.

*. انظر الملحق رقم20 ص413.

**. للمزيد: انظر: ص 169، انظر الملحق رقم20 ص413.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمان بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: المقابلة السابقة.

[3]. السيدة بنت عبد الرحمن يوسفي الأدغاغية: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

***. للمزيد حول النواضة: انظر ص 157.

ووريقات حناء جافة، يتم طحن جميع المكونات المذكورة ثم عجنها بالماء و وضع القليل من المعجون في فتحة المنخارين لشمها، كما يترك باقي المعجون في آنية من طين لتتجول به امرأة من بيت إلى آخر طالبة من أهل البيت شم المعجون حتى يكتسب الجهاز التنفسي مناعة ضد مرض السعال والزكام الموسميين[1].

***. سقوط المطر و ظهور قوس قزح (زيد قْدح) :**

***. سقوط المطر:**

كانت منازل وبنايات قصر أدغاغ مبنية من مواد بيئية محلية (الطين والخشب)، وكان الناس يخشون سقوط الأمطار خوفا من تأثير المياه على مساكنهم، رغم أن الدهر اثبت مناعة المباني القديمة وحصانتها ضد عوامل الدهر والطبيعة. فكانت كلما سقطت الأمطار أو قبل ذلك فبمجرد ظهور الغيوم الكثيفة في السماء منذرة بسقوط الأمطار تهرع النساء والأطفال إلى قرع الطبول وترديد العبارة الآتية :

غَنْجَة غَنْجَة يَا اَمّْ الرّْجَى يَا رَبِّ صَحِّ الحَالْ

بَرْكَةْ عائشـة وفاطمة الزهراء

يا بَنْت النّْبـي يَا رَبِّ صَحِّ الحَالْ

كما يقومون بإشعال النيران في حزم الحطب بعد تجميعها؛ لاعتقادهم أن الدخان يعمل على طرد الغيوم (السحاب) إلى مكان آخر وبالتالي لا سقوط للأمطار[2]، يقال أنه في العديد من المرات صدق هذا الاعتقاد[3].

***. زِيدْ قْدَحْ (قوس قزح) :**

زيد قْدَحْ هو الاسم المحلي لقوس قزح؛ الذي يظهر في حالة سطوع الشمس بعد انتهاء المطر مباشرة، حيث يجتمع الناس في الشوارع للاستمتاع برؤية هذا المنظر ولسان حالهم يردد أن هذا العام عام خير وبركة إن شاء الله؛ لاعتقادهم بأن قوس قزح يظهر في العام الذي سيكون فيه خير كثير خاصة في المجال الزراعي، ويسمى هذا العام بالعام المبارك (العام المبروك)، كما يقال أنه بظهور قوس قزح فإن موعد يوم القيامة بعيد إن شاء الله؛ حيث أنه في تلك الأيام يكثر ترديد عبارة : مازال الدنيا حية[4].

***.البرَّاح:** هو شخص جهوري الصوت مهمته إعلام سكان القصر بالأحداث التي تطرأ في القصر، والتي تتطلب التجنيد الفوري والجماعي ، وعادة ما يكون عمل البراح وقت النوم.

[1]. الحاجة فاطمة الزهرة بنت الطيب بن عبد الله عبوبي: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

[4]. مولاي هاشم بن سيدي محمد حسني: المقابلة السابقة.

أما الأحداث التي كانت تتطلب أن يبرَّحْ بها غالبا هي سقوط الفقارة أو حدوث جنازة في الليل، أو انهيار سور الفصر أو سور قصبة من القصبات، فكان البراح يجول في قصر أدغاغ من مدخل القصر (فم القصر) إلى رحبة القصبة أو العكس ذهابا وإيابا عدة مرات حتى يجتمع الناس.

كان البراح يردد العبارات الآتية في حالة انهيار الفقارة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ما تسمعوا إلا الخير والعافية ... اللي ما يطلع تفساد عليه" بمعنى الذي لا يلتحق بمجموعة المتطوعين سوف يفسدون له محصوله الزراعي لهذا الموسم وهذا بأمر القايد.

وقد جرت العادة أنه عندما ينحر البعير في القصر فإن البراح هو الذي يجلب الماء من الساقية لتنظيف المنحور، على أن يأخذ الأمعاء وبعض الأحشاء جزاء له على عمله.

⋆.**صاحب الدّندون**: عمله إعلامي كالبراح، إلا أنه لا يعتمد على صوته بل يضرب على الدف (الدندون باللهجة المحلية). يتجول بين البيوت يوقظ السكان وقت السحور في رمضان.

يضرب على الدندون ويردد عبارة: " اللهم صَلِّ على النبي". مع العلم أن الكثير من السكان يقدمون له السحور.

أما إذا حدث طارئ في القصر والرجال غائبون في أعمالهم والتي غالبا ما تكون خدمة البساتين، فإن صاحب الدندون يصعد إلى صومعة المسجد ويضرب على الدندون بقوة ليسمعه المنشغلون بأعمالهم في البساتين فيهرعون من فورهم إلى القصر، وغالبا ما يكون هذا الأمر الطارئ سقوط فقارة. إذ لا يمكن التباطؤ في إصلاحها نظرا لاعتماد السكان على مياهها سواء في حياتهم اليومية (الشرب، الغسل، التنظيف ...) أو في سقي بساتينهم مصدر رزقهم الأساسي، أو حدوث جنازة والتي كانت تدفن من فورها[1].

أما أجر صاحب الدندون فقد تمثل في كيلات من الزرع يجمعها صبيحة ليلة القدر، حيث يطوف بالبيوت ضاربا دندونه وكل من سمعته من ربات البيوت تهديه كيلا من الزرع، كما أنه يوم العيد تقدم له زكاة الفطر المتمثلة في التمر[2].

⋆.**العُرْفَات** : يؤدى هذا الطقس من قبل تلاميذ الكتَّاب مرتين في العام. يوم السابع والعشرون رمضان ويوم التاسع من شهر ذي الحجة (يوم لَمْحَرَّمْ)، وكلا اليومان يسميان محليا بيوم لَفْضِيلَة. مع العلم أن تلاميذ الكتاب في هذه الفترة يكونون في عطلة مدتها أسبوعا موزعة على ثلاثة أيام قبل العيد و مثلها بعده[3]. خلال هذه العطلة يزين

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[3]. أحمد بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ يوم 08 ذو الحجة 1435هـ الموافق لـ 10/03/ 2014م.

بعض التلاميذ ألواحهم بطريقة معينة كل حسب ذوقه مستخدمين في ذلك عددا من الأصباغ المتوفرة، مع كتابة سورة الفاتحة وآية الكرسي على اللوح.

في اليوم المحدد يجتمع التلاميذ في الصباح الباكر قرب الكتَّاب حاملين الألواح المزينة وعددا من القفف، ثم يتوزعون على مجموعات، كل مجموعة يحدد لها الجهة التي تطوف بها، ثم ينطلقون[1] وهم يرددون :

النبي صلوا عليه الصلوات صلوا عليه كلنا صلوا عليه صلى الله عليه

باسم الله المولى النبي سيدنا محمد المصطفى

النبي داك العرب أكرمه اعتماد صلى الله على من سماه المولى.

البشير النبي سيدنا محمد المصطفى

النبي داك العرب ذكره يحيي الأنفس النصارى واليهود إسلامهم تحت يديه[2]

يطوف التلاميذ على منازل القصر كلها من قصبة إلى أخرى ومن زقاق إلى مثله، وكان بعضهم يصل إلى قصر بربع وقصر أوقديم المجاورين. وكلما استقبلتهم ربة بيت مررت يدها على اللوح فمسحت به وجهها وهي تقول : ضْيَافْ رَبِي معروف رَبِّي . ثم أعطتهم شيئا من المؤونة كالزرع والتمر والبيض أو عددا من القطع النقدية (اثنين صولدي أو أربعة) لمن توفرت عندها. وهكذا يستمر الحال إلى أن يحين وقت الظهيرة وقد طاف تلاميذ الكتاب على كل منازل القصر، ليعودوا إلى الكتاب بحمولتهم ليجدوا المدرس (سيدي الطالب) في انتظارهم، هذا الأخير يستلم البيض والنقود أما الزرع والتمر فيعطي من كل نوع مقدارا معينا لكل تلميذ حسب الكمية التي جُمعت مع احتفاظه بالباقي[3]

***. رؤية الهلال : ترقب الهلال**

يعتمد التقويم الهجري على دورة القمر، فيبدأ الشهر الهجري بظهور الهلال وينتهي باختفائه وبذلك يتحدد تعداد أيام الشهر الذي يتراوح بين تسعة وعشرين يوما أوثلاثين يوما.

كان إمام القصر (الشَّاهَدْ)هو الذي يتحرى الهلال إما بنفسه وإما يكلف شخصا موثوقا يقوم بذلك، وعند ترقب هلال الأعياد والمناسبات كرمضان، شوال و ربيع الثاني، يعلن عن ذلك بإطلاق طلقات بارود تعقبها زغردات النساء[4].

---

[1]. الصافي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ يوم 08 ذو الحجة 1435هـ الموافق لـ 2014/10/03م.

[2]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[3]. الصافي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

رغم ذلك شهد سكان أدغاغ أحداثا غريبة في ترقب رؤية الهلال نتيجة لظروف طبيعية خارجة عن إرادتهم، من بينها اجتياح الجراد والغيوم.

ففي القرن التاسع عشر حدث و إن اجتاح الجراد إقليم توات بأعداد هائلة جدا، وكان ذلك في شهر رمضان فانهمك السكان رجالا ونساء وأطفالا بطرد الجراد من بساتينهم صباحا حفاظا على محاصيلهم، واصطياده ليلا من المناطق البوار* الواقعة إلى الجنوب من بساتينهم حيث كان يلجأ الجراد بعد طرده.

وفي غمرة انشغالهم بالجراد ضاعت عليهم الجمعة ولم يعد أي واحد منهم يذكر يوما من غيره، وفي الليلة التي استعد فيها السكان لإحياء ليلة القدر طلع هلال شوال فوقع الجميع في حيرة من أمرهم، فأرسل الأئمة والأعيان رسولا إلى فاس ليأتيهم بخبر الجمعة فكان ذلك وتم ضبط ترتيب أيام الأسبوع[1].

ومرة أخرى في أواسط القرن العشرين تغيمت السماء ولم يتمكن السكان من رصد هلال شوال فاستمروا في الصيام، وفي اليوم الموالي وقت الضحى وصلهم الخبر اليقين عن رؤية هلال شوال في قصور توات، فاختلف السكان ما بين متم لصيام يومه وما بين مفطر، فاستدعى أعيان القصر القاضي الحاج علي من كوسام ووقعت بينه وبين مولاي الطيب بن مولاي علي الشريف والإمام سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة مناظرة انتهت بإعلان فتوى متفق عليها مفادها أنه من أفطر فلا بأس بذلك ومن أتم صيامه فلا بأس وحدد اليوم الموالي للاحتفال بالعيد[2].

*. المناطق البوار حسب اللهجة المحلية هي واحات النخيل الغير مسقية والتي ليست ملكا لأحد.

1. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة عن لالة الخادم بنت سيدي محمد بن هاشم (شاهدة عيان عن الحادثة): المقابلة السابقة.

2. مولاي هاشم بن سيدي محمد حسني الأدغاغي: المقابلة السابقة.

## المبحث الثاني:النمط الغذائي لسكان القصر وأزياؤهم

### أولا: النمط الغذائي

اتفقت الروايات على أن سكان قصر أدغاغ خلال الفترة المدروسة امتهنوا الزراعة و اهتموا بها وعملوا على حفر الفقاقير وإيصال مياهها إلى بساتينهم وصيانتها كلما دعت الحاجة، حرصا منهم على زيادة منسوب مياهها وبالتالي زيادة الإنتاج وتنوع المحاصيل، وهذا إنما يدل على أن المجتمع الأدغاغي كغيره من المجتمعات التواتية كان مجتمعا إنتاجيا يعتمد على جهده و على ما تجود به الأرض من أجل تأمين الاقتصاد الذاتي وبيع وتصدير ما فضل عن حاجتهم لتأمين السلع والبضائع المستوردة.

اهتم الفلاح الأدغاغي بغراسة النخيل بشكل واسع جدا إلى جانب زراعة الحبوب المتنوعة التي تتلاءم وطبيعة البيئة الصحراوية كالذرى (لكْبَالْ)، الَّدخْن* (البَشْنَة)، الذرى البيضاء (التَّافَسُّوتْ) والزرع (القمح والشعير) الذي كان أهم منتوج فلاحي يزرع في قصر أدغاغ حيث عكف فلاحو القصر على زراعة هذا المنتوج بكميات كبيرة وعلى أنواع عدة**.حتى غدا إلى غاية ستينيات القرن العشرين وسيلة اقتصادية هامة (عملة مقايضة) تتم مقايضته باللحم الذي لم يهتم الأهالي بإنتاجه؛ والذي كان يجلبه تجار زاوية سيد البكري حيث كانوا يجلبون الكباش والخرفان إلى أخوالهم (أولاد سيدي حمو) يقومون بذبحها وتوزيع لحمها (يسمى لحم لوزيعة) على الزبائن كل حسب رغبته مع تسجيل اسم كل زبون ومقدار دينه زرعا على أن يتم تسديد الدين في شهر أبريل عندما يجنى الزرع[1].

لقد شكل الزرع (القمح والشعير) غالب قوت أهل توات عموما، حضروا به أطباقا عدة، منها ما كانت يومية ومنها ما كانت موسمية مع العلم أن الوجبات الرسمية في اليوم كانت وجبة واحدة وهي وجبة العشاء، ذلك أنه في النهار يكون الكل مشغولا ولا وقت لإعداد الغذاء إذ يتجه الرجال والأولاد إلى البستان ولا يعودون إلا مساء، أما النساء والبنات فيبقين في المنزل يقمن بأعمال النسيج وصنع السلال والطحن يوميا لإعداد وجبة العشاء ، حيث يطحن الزرع الذي ستعد منه الوجبة وقت القيلولة، ويفتل مساء إن كان كسكسا ليطهى ليلا[2].

---

*. نبات من فصيلة النجيليات حبه صغير يقدم طعاما للطيور والدجاج، زراعته منتشرة في القطر الجزائري، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: (ط 43)، دار المشرق، لبنان، 2008، ص 209.

**. أنواع القمح المعروفة في قصر أدغاغ خلال فترة الدراسة:أم الركبة (من البكوريات)، البهتان، البريون، بلمبروك، مانقا (قمح صلب)، أما أنواع الشعير فهي: البهتان، بلمبروك، مانقا، الزرقاء، الصفراء.

[1]. الحاج عبد الكريم بن الحاج البركة بن الحاج محمد بن الحاج عبد الكريم حماوي(حفيد العائلة التي كانت تتولى عملية توزيع لحم لوزيعة وقبض الدين حينما يحين أجله): مقابلة شخصية، ببيته بقصبة الحاج عبد الكريم (تامثرت) في قصر أدغاغ، يوم2014/05/17م.

[2]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي:المقابلة السابقة.

**1. الأطعمة:** تنوعت ما بين أطباق يومية وأطباق موسمية و لحوم

أما الأطباق اليومية* المشهورة في قصر أدغاغ في فترة الدراسة فقد تمثلت في:

• **الكسكس:** يسمى محليا "العيش"**، ويشكل الأكلة الرئيسية لدى أهل توات عموما. وهو ثلاثة أنواع:

⋆. **عيش القمح:** يتخذ من القمح بعد طحنه وفتله[1] إلى حبيبات صغيرة جدا، وفي بعض الأحايين يضاف إلى طحينه طحين التافسوت أو طحين البشنة (الدخن pennisetum glaucum).

⋆. **عيش الشعير:** يتخذ من طحين الشعير، ويفتل بنفس طريقة فتل عيش القمح إلا أن حجم حباته يكون أكبر من حجم حبات عيش القمح، كما أن طريقة طهيهما تختلف في بعض التفاصيل***.

⋆. **عِيشْ لَحْشَايَشْ (كسكس الأعشاب الطبية):** هذا النوع دخيل على المنطقة إذ ظهر فيها بعد إختلاط السكان مع الشعانبة الذين قدموا من غرداية؛ ورقلة والأغواط، ويمكن أن نحدد فترة اعتماده في قصر أدغاغ كأكلة شعبية أواسط القرن العشرين فقط. وهذا النوع من الأكلات له خاصية علاجية، فبالإضافة إلى مادتي السميد والفرينة يفتل بكمية محدودة من مسحوق عدد من الأعشاب الطبية والعطرية مما يكسبه اللون الأخضر، تتمثل هذه الأعشاب في: القَرْطُوفَة الوَزْوَازَة، آلاَّلْ، الزَّعْتَرْ، فْلِيُو، الحْبَقْ، مَرِّيوَة. كل عشبة تكون بكمية معينة.

هذا النوع من العيش يؤكل عادة في فصل الشتاء للوقاية من الأمراض التي تسببها البرد و المتعلقة بالرحم، ويوصف أيضا لمعالجة المغص، كما يوصف للنفساء خاصة، حيث تضاف له بذور نبتة حلبة (Tregonella foenum greocum) التي يجب أن تتناولها النفساء لمدة ثلاثة أيام متتالية حتى تؤدي مفعولها العلاجي المتمثل في إدرار اللبن وتعويض الدم الذي فقدته[2].

⋆. **المَرْدُودْ:** يفتل من طحين القمح، وبنفس طريقة فتل عيش الشعير، حباته غليظة تكون بحجم حبة الجلبان الصغيرة، وطريقة طهيه تختلف عن طريقة طهي العيش، إذ لا يمرق كعادة الكسكس وعيش الشعير وعيش الحشايش، بل يطهى في المرق.بعد تعرضه لبخار الماء.

---

*. انظر الملحق رقم15 ص408.

**. يعرف في باقي المناطق الجزائرية باسم الطعام.

1. أحمد ابا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثلتها وحكمها عيون أشعارها، المرجع السابق، (ج1)، ص 338.

***. عيش القمح: تحضر مرقه بعدد من الخضر كالبصل والجزر واليقطين بالإضافة إلى اللحم بينما مرق عيش الشعير يضاف لها ورق أفران (نوع من السبانخ) كما يفضل فيها استعمال لحم رأس الغنم.

2. الحاجة مباركة بنت حبيبي ولد السي أحمد ولد الحاج محمد هواري المشهورة باسم بنت حبيبي( معالجة شعبية بقصر اولاد ابراهيم ببلدية تيمي): مقابلة شخصية، بيتها بقصر اولاد ابراهيم، رمضان 1433هـ / 2013م.

• **العجائن:** كان للعجائن حظ الأسد بعد العيش في أطعمة أهل أدغاغ. وقد كان القمح والشعير والدخن الحبوب الأساسية في تحضير هاته العجائن إضافة إلى التافسوت والذرى الصفراء. تمثلت هاته العجائن* في:

⋆ .**كَسْرَة القَمْح:** تتخذ من طحين القمح بعد عجنه وحشو العجين بمزيج يسمى القْلب**، تطهى على حجرة تسمى الرضفة***. تحمى الرضفة جيدا باستعمال الحطب بعد ذلك يوضع عليها العجين المحشو ويبسط قليلا ليشوط بواسطة جريدة مشتعلة حتى لا تلتصق به التراب الساخنة التي يغطى بها، ثم يوضع فوقها مابقي من الجمر الذي حميت به الرضفة، لتترك مدة معينة قبل تعريتها وإخراجها وقد اكتمل نضجها وعادة ما يعرف ذلك بإنتشار رائحتها الزكية[1].

⋆.**كَسْرَة البَشْنَة:** تتخذ من طحين البشنة (الدخن) وتعد بنفس طريقة اعداد كسرة القمح، وتؤكل الكسرتان ممرقتان بالمرق أو اللبن**** بعد تقطيعها إلى قطع صغيرة، يقال أن كسرة البشنة ألذ من كسرة القمح.

⋆.**النَّوَّاضَة:** تتخذ غالبا من عجين القمح وأحيانا من عجين الشعير، يضاف إلى عجينها قليلا من العجين المختمر منذ ثلاثة أيام وحبات صانوج، تطهى بنفس طريقة طهي الكسرة إلا أنه يغطى العجين بالقصرية قبل وضع التراب الساخن والجمر فوقها( مع العلم أن النواضة بدون حشو)، استمر طهي النواضة بهذه الطريقة من القرن الثامن عشر وإلى غاية سبعينيات القرن العشرين، حيث عوض القمح بالفرينة والعجين المختمر بالخميرة الكميائية والموقد بدل الحطب.

⋆.**خبز القْلَّة:** يسمى بخبز القْلة نسبة إلى الآنية التي يطهى عليها وهي قْلة مصنوعة من الطين (جرة)، يتخذ من عجين القمح الذي يتحول بعد طهيه إلى صفائح رقيقة جدا، ليقدم بعد تقطيعه ممرقا بالمرق أو بمرق اللبن.

---

*. انظر الملحق رقم16 ص409.

**. القْلب هو حشو الكسرة ، يعد من البصل ، يضاف له العدس و بربور زنبو (القمح المطبوخ) والشحم و أنغاد (مسحوق التمر)والتوابل كالفلفل الحار والملح، حول طريقة إعداده، انظر ص 168.

***. الرضفة: كلمة عربية فصيحة ورد في لسان العرب: الرضفة واحدة جمعها الرضف وهي الحجارة التي حميت بالشمس أو بالنار للمزيد أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، (ج 9)، ص 121.

[1]. لالة فاطمة بنت سيد صالح سيد اعمر: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/02م.

****. يعد مرق اللبن بالطريقة الآتية: يوضع في آنية قليل من الشحم الذائب أو الزبدة ومسحوق الفلفل وقليل من الملح والعكري وقليل من مسحوق السانوج ومسحوق الفلفل الأسود ومثله من مسحوق الكمون ثم يصب فوق المزيج كمية من اللبن ليترك فوق نار هادئة بضع دقائق حتى يتخثر ليصب وهو ساخن على الكسرة بعد تقطيعها إلى قطع صغيرة.

⋆ .**التَّاقْدِيرْ**: يتخذ من طحين الشعير، الذي يعجن ثم يجزأ إلى كريات متوسطة الحجم لِتُبَسَّطَ كل كرية إلى صفيحة بسمك اثنين ملليمتر تقريبا، ثم يقطع إلى قطع مربعة الشكل، وبعد الانتهاء من تقطيع كل الكريات توضع كل القطع تدريجيا في المرق التي أعدت مسبقا، وتترك على نار هادئة حتى تجف المرق ثم يقدم ساخنا[1].

⋆ .**خبز أَنُّورْ**: سمي بخبز أنور نسبة إلى الأداة التي يُطْهَى فيها وهي أنور (التَّنُّور)، وهو عدة أنوع كالآتي:

⋆.**الخُبْز الرْقِيقْ**: يتخذ من عجين القمح، يشبه خبز القلَّة إلا أنه أغلظ منه بقليل يؤكل ممرقا بالمرق العادي أو مرق اللبن. كما يمكن أن يضاف إلى عجينته بذور عشبة العقَّاية الخضراء ليسمى خبز العقَّاية (الرطريط Zigophllum albunum).

⋆.**الخُبْز لَمْبَطَّنْ (المَحْشِي)**: ويسمى أيضا خبز القَلْبْ*.يتخذ من طحين القمح بعد عجنه، يكون محشوا بالقَلْبْ ، يؤكل ممرقا باللبن فقط.

⋆.**التُّونقَال**: هو خبز الشعير، يخبز من طحين الشعير، يؤكل ممرقا بالمرق العادي أو مرق اللبن.

• **التمر**: لقد كانت النخيل عاملا مهما ورئيسيا في استقرار الإنسان في هذه القفار، وغدت آية من آيات الخالق في الأكوان، وسرا من أسرار الحياة في الصحراء، فتعددت أسماؤها واختلفت ثمارها وتنوعت استعمالات مكوناتها.

استفاد الحرفي التواتي من خاماتها الطبيعية فأبدع الكثير من الحرف المحلية، فاستغلت جذوعها و كرنافها في التسطيح، وأليافها ( الفْدَامْ) في صناعة الحبال، وأوراقها في صناعة القفف والأطباق وما شاكلها، والأهم من هذا وذاك استعملت مخلفاتها وقودا للتدفئة والطهي[2].

أما التمر فكان من الأطعمة التي لايستغن عنها إنسان في إقليم توات، نظرا لقيمته الغذائية المتمثلة في إمداد الجسم بالطاقة التي يحتاجها، خاصة وأن ظروف البيئة الصحراوية قاسية وتحتاج إلى جهد كبير للتغلب عليها، واستغلال خيراتها لذلك عكف الإنسان الصحراوي على توسيع غراسة النخيل، خاصة وأن أشجارها لا تحتاج إلى عناية كبيرة ولا إلى متطلبات فائقة لتنتج، كما أنها ذات إنتاج كثيف ويمكن الاحتفاظ به أشهرا عدة على حالته الطبيعية (إذا توفرت شروط الحفظ)، أو على حالة أخرى (السفوف – لَبْطَانة**) دون أن يفسد؛ فهو

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/02م.

*. نفس الحشوة السابقة إلا أنها بدون عدس وبدون مبشور القمح المطبوخ.

[2]. عائشة بلامة مرزاية: المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة ادرار، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، 2010م، ص 12.

**. انظر الملحق رقم18 ص411.

موسمي الجني (ابتداء من شهر ماي بالنسبة للتمر البكور) ودائم التواجد في البيوت التواتية وإن كان ذلك على غير حالته الطبيعية.

كما أن التمر كان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإلى ستينيات القرن العشرين أهم منتوج اقتصادي في الإقليم التواتي عموما، فصار وسيلة مقايضة (عملة اقتصادية) من الدرجة الأولى، تتم مقايضته بمختلف المنتوجات الواردة على أسواق الإقليم* أو يصدر إلى السودان الغربي.

في قصر أدغاغ كان للتمر دورا اقتصاديا مهما في تنشيط حركة تجارة القوافل سواء التجارة الواردة على سوقي القصر (سوق رحبة الخنافسة وسوق برّتْ حْمِيَّانْ) حيث كانت تتم مقايضته بالتوابل والأعشاب الطبية والبقوليات ( فول حْمِيَّانْ . جلبان حْمِيَّانْ)** والأقمشة والدّهْن "السمن" ولكليلة "الأقط" ولحم الجمل والصوف، أو التجارة الصادرة إلى السودان الغربي حيث كانت تتم مقايضة التمر بالأواني الخشبية*** (القصعة. تاغربيت . مهراس العود . التابوت)؛ الأقمشة السوداء (الطاري)؛ لحم البقر المجفف، توابل وأعشاب السودان الغربي[1].

كان التمر خلال الفترة المذكورة ولا يزال الغذاء الرئيسي لسكان الصحراء والواحات، وهو كالأرز بالنسبة للشعوب الآسيوية، والقمح للشعوب الإفريقية في أهميته وشهرته؛ فهو الغذاء المتكامل، حيث أن كل مائة جرام من التمر تحتوي على 318 سعرا حراريا ويقابلها 315 سعرا حراريا في كل مائة جرام من العمل، وأن التمرة الواحدة تمد الجسم بسعرات حرارية تكفي لمجهود يوم كامل ملؤه النشاط والحيوية، كما أنه دواء لتهدئة الأعصاب. كما أن التمر يقي من الأمراض الجرثومية؛ فهو غير ناقل للجراثيم أو الميكروبات وحتى السوس الذي بداخله يلتهم الأميبا ويفتك بالجراثيم التي قد تصيب الإنسان[2].

كما يعد التمر مع اللبن الوجبة الأولى التي تقدم للضيف بمجرد دخوله إلى أحد البيوت التواتية؛ و في أي وقت كان، وكذلك هي الوجبة التي يفطر عليها الصائم في رمضان إلى جانب وجبة الحساء.

يقدم التمر في عموم توات على ثلاث كيفيات رطبا ومعجونا (لَبْطَانَة) وجَافّا:

أما التمر الرطب فيؤكل على حالته الطبيعية في موسم نضجه بداية من شهر مانيوه (ماي)، ويكون على نوعين أيضا: النوع الأول وهو التمر البكور ( الفرَّانُ باللهجة المحلية)؛ ينضج سريعا (ينضج في شهر مانيوه)،

*. كسوق تمنطيط وسوق تيمي وسوق تيميمون وغيرها.

**. نسبة إلى تجار حْمِيَّانْ الذين كانوا يجلبونه من بين السلع الواردة على الإقليم.

***. انظر الملحق رقم11 ص404.

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/04م.

[2]. عائشة بلامة مرزاية، الثقافة، الصحة والأعشاب، دراسة سو سيولوجية بمنطقة توات (ولاية أدرار) دراسة ميدانية لعينة من سكان قصور توات الوسطى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، إشراف مخداني نسيمة، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، 2010 – 2011، ص 91.

وينتهي سريعا وهو أنواع عدة، ينتج منها في قصر أدغاغ: الشيخ امحمد، بامخلوف، تادماي، ورقلة والمسعودية. هذا النوع من التمور مؤقت ولا يمكن الاحتفاظ به لمدة أطول كما أنه سريع التحول إلى حَشَف[1].

في فصل الخريف عندما يجنى محصول التمر يفرز حسب نوعه ثم حسب حالته إلى ثلاثة أنواع: تمر رطب، تمر شبه جاف وتمر جاف.

التمر الرطب يوجه للاستهلاك، وأما شبه الجاف فتعد منه لَبْطَانَة* وهو التمر المعجون المحشو في جلد الشاة**، حيث يحضر الجلد مسبقا ويتم ذلك مباشرة بعد القيام بعملية الذبح؛ إذ يغسل الجلد ثم يدهن داخله بالملح ويترك ليجف وعندما يحين موعد إعداد تمر لبطانة يترك في الساقية أو الماجن ليصير لَيِّنا ثم ينشر ليقطر من الماء[2].

في هذه الأثناء يحضر الحشو، حيث يوضع التمر في قسري ثم يصب فوقه الماء المغلي مضاف إليه قليل من الملح لتحفظه من التسوس، يترك لبعض الوقت ليصير طريا مع خلطه بين الحين والآخر، ثم يعصر من الماء جيداً حتى لايتعفن ليضغط في جلد الشاه على مراحل باستعمال قبضات الأيدي، وفي كل مرة يرش فوق الحشو قليلا من مسحوق ورق نبتتي الحبق الجاف( Osimum basilicuml) والنعناع الجاف (Nenth spicata )لإضفاء النكهة والرائحة الطيبة، ولما يمتلئ الجلد يخاط أعلاه وأطرافه ويترك في مكان ذي ظل أياما(خمسة عشر يوما على الأقل)حتى يستوِ، ليؤكل عند الحاجة وفي المناسبات والأعياد(رمضان، الزيارات، الأعراس....وغيرها)[3].

أما أنواع التمور القابلة للحشو فهي: ثْقَازَّة؛ تيمليحة الحمراء؛ تيليمسو؛ تقربوش؛ تينقور؛ أَعُكَّشْ؛ تِيْنْدَكَّالْ الحمراء؛ بنت الضَّبَّة؛ أَحَرْطَان و تَزَرْزَاي[4].

التمر الجاف تعد منه السْفُوفْ، التي يتم تحضيرها بالطريقة الآتية: يهشم التمر بواسطة الحجرة***، ثم يفرز منه التمر الذي أصابه السوس والنوى (العلف باللهجة المحلية) والأقماع (السَّنْدَفْ باللهجة المحلية)، بعدها يدق في المهراس الخشبي على مراحل وفي كل مرحلة تنسف الأجزاء الدقيقة من الأجزاء الغليظة باستعمال الطَّبَقْ،

[1]. الحاج حمادي بن الحاج عبد القادر بن محمد بن عَبُّو الأدغاغي( فلاح ): مقابلة شخصية، ببيته بزقاق اخلف بقصر أدغاغ، يوم 2013/02/14م.

*. انظر الملحق رقم19 ص412.

**. يسلخ الجلد عن الشاة مغلقا إلا من جهة الأطراف والعنق والذيل حيث تخاط هذه الفتحات بعد حشو التمر.

[2]. البركة بن سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني ( فلاح): مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2013/02/14م.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة، المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

***. هي حجرة دق نوى التمر. للمزيد انظر الملحق رقم 14 ص407.

وهكذا تتكرر عملية الدق والنسف إلى أن نتحصل في المرحلة النهائية على دُقَاقْ التمر؛ الذي ينسف هو الآخر لعزل دقيق التمر الذي يسمى باللهجة المحلية أَنْغَادْ عن الهشيم الذي يطلق عليه اسم السْفُوفْ.

أَنْغَادْ يحتفظ به في التدارة ليستعمل في أغراض شتى فيستعمل في الطبخ (يضاف إلى حشو ڤلْب الكسرة والخبز المبطن)، كما يعتبر غذاء للرضيع بعد مزجه مع الماء ليشكل خليطا سائلا كان يشربه الرضع بدل الحليب الاصطناعي، كما يأكله الكبار أيام حصول المجاعات[1].

أما السفوف فيحتفظ بها في التدارة كما أنغاد لتؤكل بعد انتهاء التمر الرطب و لم يكن لِيَخْلُ منها منزلا[2].

أنواع التمور المنتجة في قصر أدغاغ والصالحة لصنع السفوف فهي: تينَّاصَرْ، تيمْليحَة البيضاء، تاقَرْبوش، تِينَقُّور، أَغَمُّو، الدَّڤْلَة الكَحْلَة، دَڤْلَةْ رمضان، تِينْدَكَّالْ البيضاء، خَصْيَانْ* ثڤازَّة، أَدَكْلِي، دَڤْلَةْ مولاي إدريس.

يعد التمر في قصر أدغاغ من الأطعمة المشهورة التي استمر إنتاجها والاعتناء بموردها طيلة فترة الدراسة.

أما الأطباق الموسمية فقد تنوعت مابين أعشاب ونباتات؛ حبوب وحليب.

• **الأطباق المحضرة من الأعشاب و النباتات:** الأعشاب والنباتات فهي إما أعشاب برية وإما أعشاب مزروعة وهي:

⋆. **الأعشاب البرية:** ونقصد بها الحشائش التي تنمو في البستان تلقائيا، لا تحتاج إلى زراعة ولا إلى اعتناء من طرف الفلاح وهي:

*. **تَقَسْقَاسْ**: إسمها اللاتيني Loluimmultiflorum، من النباتات البرية الحولية[3] "مجتمعات نباتية وقتية"[4]، تستعمل أوراقها؛ حيث تدق في الحجرة، ثم يضاف لها أوراق الكزبرة (القزبور) والملح ومسحوق الفلفل الأخضر، يقدم الطبق كنوع من أنواع السلطة أو المقبلات.

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

* الخصيان إسم يطلق على التمر الذي يكون ضعيفا بلا نوى وعلى خلاف التمر العادي وذلك نتيجة لعدم تلقيح أزهاره.

[3]. كمال حسين شلتوت: علم البيئة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة: 2002م، ص 288.

[4]. حسين علي أبو الفتح: البيئة الصحراوية العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع: 1997، ص 96.

*. **الغَرَّامْ***: إسمها اللاتيني Senecio vulgaris وهي من النباتات البرية الحولية، تستعمل أوراقها؛ التي يضاف لها أوراق الكزبرة Coriandrum Sativuml وأوراق البصل وأوراق الثوم ومسحوق الفلفل الأخضر والملح، يقدم الطبق كنوع من أنواع المقبلات والسلطات[1].

⋆ . **الأعشاب والنباتات المزروعة:** وهي الحشائش التي تنمو بعد زرعها، وهي:

⋆. **الحَرَّة:** اسمها العربي الجرجير و اسمها اللاتيني Eruca Sativa[2]، من النباتات المزروعة، تستعمل أوراقها التي صار لونها أصفرا، حيث تطبخ مع الملح ثم تعصر من الماء وهي ساخنة لتوضع في مرق اللبن وتؤكل الوجبة ساخنة.

⋆. **أَقْلاَس****: ويسمى أيضا الحشيش وهو من النباتات المزروعة، يعد من سيقان نبتة الشعير الفتية (Hordeum Valgorl) حيث تقطع إلى أجزاء صغيرة جدا ويضاف لها أوراق الكزبرة( Coriandrum Sativuml)، وأوراق البصل وأوراق الثوم ومسحوق الفلفل الأخضر بعد شَيِّه لزيادة نكهته وقليلا من الملح، يقدم الطبق كسلطة أو كنوع من أنواع المقبلات.

⋆. **أَغَنْجَة*****: يعد هذا الطبق من حبوب الطلع الفتية الخاصة بالنخلة الذكر حيث تفتت الحبوب ويضاف لها الملح و أوراق الثوم و أوراق الكزبرة( Coriandrum Sativuml)، وأحيانا يضاف لها حبوب الشعير الخضراء الفتية.

يتداول محليا أن هذه الأطباق الشعبية ذات خاصية علاجية، فنبات تقسقاس ونبات الغرام وعشبة الشعير الفتية مفيدة للمعدة إذ تمنع المغص والإمساك كما أن الفلفل الحار المستعمل في إعدادها يعمل على طرد الديدان من المعدة، أما نبات الحرة فهو مفيد للأمراض الصدرية[3].

لقد استمر المجتمع الأدغاغي يعد طبقي الغرام وأغلاس طيلة الفترة المدروسة**** ولا زال.

*. انظر الملحق رقم 15 ص408.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[2]. مديرية الغابات لولاية أدرار.

**. انظر الملحق رقم15 ص408.

***. انظر الملحق رقم15 ص408.

[3]. الحاجة مباركة بنت حبيبي ولد السي أحمد ولد الحاج محمد هواري: المقابلة السابقة.

****.لا يزال المجتمع الأدغاغي متمسكا بإعدادهما إلى اليوم حيث تجتمع النسوة وقت القيلولة لإعدادهما في جو من السمر(تتوفر العشبتين في الشتاء فقط) أما طبقي الحرة وتقسقاس فلم يعد هناك من يعدهما، وربما السبب في ذلك أن نبات الحرة لم يعد يصلح في المنطقة إلا نادرا كما أن عشبة تقسقاس فقد أصبح يفضل استخدامها علفا للحيوانات.

• **الأطباق المعدة من الحبوب**: تمثلت في:

⋆. **الحساء**: يعد من بذور القمح المطبوخة أو المشوية و بذور الشعير المطبوخة التي تسمى باللهجة المحلية باسم زَنْبُو* والذي يطحن باستعمال الرحى اليدوية مع العلم أن دقيق الحساء يكون عادة خليط من دقيق زنبو القمح ودقيق زنبو الشعير فكيلين من دقيق زنبو القمح يضاف لها كيل واحد من دقيق زنبو الشعير (وفي بعض الأحايين يضاف لهما زنبو التافسوت وزنبو الذرى)، ويتبل الخليط بمسحوق مجموعة من الأعشاب العطرية والطبية كالكزبرة، Coriandrum Sativuml ومريوة Mentha Rotundfolia والحبق Cimum Basilicum بالإضافة إلى مسحوق الثوم وقطع الشحم.

يعتبر الحساء وجبة رئيسية في شهر رمضان تقدم بعد التمر والحليب مباشرة، كما يعتبر من ضمن وجبات الفطور في فصل الشتاء، لأنه يبعث الدفئ في الجسم[1]. كما يحرص على تحضيره للنفساء باعتباره ذي خاصية علاجية.

وهناك طبق حساء البشنة** (الدخن) Pennisetum Glaucum الذي يعتبر طبقا ذا خاصية علاجية أيضا يساعد على جبر الكسور كما يساهم في إكساب العظام صلابة وقوة وكذلك يعمل على إدرار الحليب للمرأة المرضع[2].

⋆. **لَفْيَاضْ**: هو حساء خاص يعد للمرأة النفساء في الأيام الثلاثة الأولى التي تعقب عملية الولادة يجهز دقيقه من ثلاثة أنواع من الحبوب هي: القمح والعدس والتادلاغ، وأثناء طهيه يضاف إلى هذا الخليط الأمعاء الغليظة. يقال أن هذا الحساء يساعد النفساء على إدرار الحليب وتعويض كمية معتبرة من الدم[3].

⋆. **دُكْرَة**: وجبة خاصة تعد في شهر ابريل فقط عندما تكتمل نمو سنابل القمح، حيث يلجأ إلى اختيار السنابل الخضراء الممتلئة، ثم تفرك بين الكفين لفصل الحبوب عن القشر، ثم يعرض الفريك لبخار الماء لمدة معينة، بعدها يدق في مهراس الخشب لنتحصل على مبشور الفريك الرطب الذي يغمر في مرق اللبن الذي أعد مسبقا،

---

*. زَنْبُو: يحضر هذا النوع من القمح أو الشعير في شهر مارس عندما تكون سنابل القمح مازالت فتية غير مكتملة النضج، حيث يتم طبخ هاته السنابل مع الملح (في منطقة توات الحنة وتيديكلت وتسابيت لايطبخ وإنما يشوى بالتراب الساخن) بعد جمعها وربطها بطريقة خاصة ثم تترك لتجف بعدها تدرس حينها يطلق غلى القمح أو الشعير الناتج زنبو القمح أو زنبو الشعير الجاهزان لإعداد أنواع مختلفة من الأطعمة أو استعمالهما في أطباق معينة كالحشو الذي نعده لتحضير طبق الكسرة نضع فيه قليلا من مبشور زنبو القمح وكذا مرق خبز القلة أو الخبز الرقيق نضيف له القليل منه أيضا.

1. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة، المقابلة السابقة.

**. يتم إعداد دقيق البشنة بعد شيها على النار لتكتسب رائحة ونكهة طيبة.

2. الحاجة امباركة بنت حبيبي ولد السي أحمد ولد الحاج محمد هواري: المقابلة السابقة.

3. نفسها.

ويترك حتى يمتص كل المرق حينها يفرك بالأيدي ثم يعرض لبخار الماء مرة أخرى وأثناء ذلك نضيف له الزبدة (كانت تستخرج من الحليب) ونخلطه ليبق فترة معينة فوق النار قبل أن يقدم ساخنا[1].

وقد جرت العادة عند إعداد طبق ذكرة إرسال شيئا منه إلى الوالدين والأقارب كبار السن والجيران باعتبار أن هذا الطبق مميز جدا ولا يعد إلا مرة واحدة في السنة[2].

⋆. **بُوتْرَزَّة:** من أطباق شهر ابريل، تعد من حبوب الشعير الخضراء حيث يتبع في اعدادها نفس طريقة اعداد طبق ذكرة، إلا أنه بعد دق الحبوب في مهراس العود يترك المبشور المتحصل عليه ليجف، بعدها يطحن ويفتل به الكسكس (عيش الشعير) الذي يكون مذاقه مختلفا إختلافا جذريا عن عيش الشعير الذي يعد من طحين الشعير الجاف، إذ يكون مذاقه أطيب وألذ.

⋆. **لَبْسِيسَة:** أصل الكلمة البسيسة من الفعل بسَّ بمعنى خلطه بسمن أو زيت ولا يبل ثم يؤكل ولا يطبخ فقال تعالى"بُسَّتِ الجبال بسًا"[3] فكانت هباء منبتا قال الفراء: صارت كالدقيق[4].

لبسيسة طبق خاص يعد في مناسبة "بَيَانُّو*" التي تقام يوم التاسع من محرم من كل سنة هجرية، يتم إعداد لبسيسة من زنبو الشعير (دقيق الشعير المطبوخ) المتبل بمسحوق الكمون Cuminum Cyminunl ومسحوق الفلفل الحار Capsicum Annuml و مسحوق الآزير( أكليل الجبل) Rosmarinus Officinalisl وقليل من الملح Chlorure de sodium، ثم يرش الخليط بقليل من الماء مع دعكه باليدين حتى يصير قادرا على التجميع إلى كريات بحجم قبضة الكف. ليحصل كل زائر على كرية. كما يرسل شيء منه إلى الوالدين والأقارب والجيران كبار السن[5].

⋆. **لَمْلِيسَة:** هي حلوى تقليدية تعد بمناسبة المولد النبوي الشريف وفي الأعراس وفي الزيارات. ففي المولد النبوي الشريف (شهر المولود باللهجة المحلية)، تعد لمليسة (تسمى مليسة البشير أو ملح البشير) قبل دخول هذا الشهر المبارك ليأخذها الصبيان معهم إلى المسجد ابتداء من اليوم الأول من ربيع الأول وإلى غاية اليوم الثاني عشر، يتناولونها أثناء استماعهم للمدائح النبوية التي يرددها الكبار، كما توزع على هؤلاء الأخيرين بعد الانتهاء من ترديد المدائح.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[2]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

[3]. الآية 5 – 6 من سورة الواقعة.

[4].ابن منظور: المصدر السابق، (ج 6)، ص 27.

* .أشرت إليه سابقا: انظر: ص 138.

[5]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

أما في الأعراس والزيارات فتسمى ملح الطبل أو مليسة الطبل حيث توضع في آنية ويطاف بها بين الطبالات أو الطبالين يلعقونها بين الفينة والأخرى، يقال أنها تعمل على عدم حدوث بحة في صوت المداحين والمداحات[1].

تعد مليسة البشير من طحين البقوليات التي جمعها الأطفال يوم "بْيَانُّو" ويضاف لها طحين القمح المحمص، ومسحوق بذور الكتان المحمصة و قليل من الفلفل الأسود، ثم تحلى بالسكر، تعتبر لمليسة من الحلويات التقليدية التي استمر المجتمع الأدغاغي في إعدادها طيلة فترة الدراسة ولازال.

⋆. **الفول**: طبق يعد في شهر مارس وقت جني الفول، إذ يطبخ الفول الأخضر مع الملح بعد نزع قشرته ، ويضاف له الزبدة و الفلفل الأسود (Piper nigruml)(لبزار باللهجة المحلية) ، ولما ينضج يصب عليه الحليب الطازج ويترك برهة حتى يغلى ويتخَثَّرْ عندها يصبح جاهزا للتقديم[2].

•. **الأطباق المعدة من الحليب**: قد تمثلت في:

⋆. **اللَّبَى**: أصل المصطلح اللَّبَأْ من الفعل لَبَأَ، واللَّبَأْ هو أول اللَّبَن في النتاج. قال أبو زيد: أول اللَّبَأ عند الولادة، وأكثر ما يكون ثلاثة حلبات وأقله حلبة[3].

اللَّبَى** هو طبق يعد من اللَّبَأْ الذي يُلْبَأُ من الشاة في الأيام الثلاثة الأولى من الولادة***. حيث أنه يسخن مع قليل من الملح في اليومين الأوليين قبل حفظه حتى لا يفسد وفي اليوم الثالث يطهى بالطريقة الآتية: توضع قدر**** على النار بها كمية من الماء، وعند غليانه تضاف له الزبدة والملح Chlorue de soctum ولبْزَار (الفلفل الأسود) Piper nigruml ولَعْطُور، ثم يضاف ما جمع من اللَّبَأْ مع خفض درجة حرارة النار، يترك مدة معينة وبمجرد إنتشار رائحته يكتمل نضجه إذ يصير جامدا، عندها يضاف له الدهن ويقدم مع العيش[4].

هذه الأطباق الموسمية كانت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإلى السبعينيات من القرن العشرين من الأطباق المشهورة في قصر أدغاغ، والتي لا تتوانَ ربة البيت عن إعدادها، أما أواخر القرن العشرين

---

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المرجع السابق.

[2]. نفسها.

[3]. ابن منظور:المصدر السابق، (ج1)، ص 150.

**. انظر الملحق رقم19 ص 412.

***. يُكَمَّى ضرع الشاه كل ليلة لتحلب في الصباح الباكر قبل رضعها من طرف وليدها.

****. قدر مصنوع من الطين أو من الزنك "الصابرة" كانت هاته الأخيرة تستورد من السودان الغربي، انظر الملحق رقم 13ص406.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

فقد أصبح بعضها في طي النسيان وصارت من الأكلات التقليدية التي يحكى عنها على لسان الأجداد والجدات من قبيل البكاء على الأطلال.

من بين هذه الأطباق: طبق دُكْرة وبوترزَّة ولبسيسة ولفياض، أما الاطباق التي لم تندثر فتمثلت في طبق الحساء الذي لا تخلُ منه مائدة رمضان، وفي فصل الشتاء لدى بعض العائلات، إلا أنه لم يعد يطحن بإستعمال الرحى اليدوية إلا نادرا، ولدى بعض العائلات التي لازالت متمسكة بإضفاء نكهة تقليدية على أطباقها المحلية، والسبب في ذلك غزو المطاحن الكهربائية العامة ؛التي أعفت ربات البيوت من استخدام الرحى. أما طبقي الفول واللبأ فقد استمر المجتمع الأدغاغي يعدهما متى توفرت المادتان.

• **اللحوم**: كان اللحم خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإلى ستينيات القرن العشرين مادة غذائية نادرة؛ لا تتوفر إلا على موائد حكام القصر ( القياد و الأعيان من العائلات الميسورة التي كانت تهتم بتربية المواشي)، أما العوام فكانوا لا يعرفون اللحم إلا في الأعياد والمناسبات كمناسبة توبر ودخول الشتاء ويوم بيانو وفي أيام الزيارات وفي الأعراس.

ونظرا لانعدام المبردات فقد كان اللحم (لحم أضحية العيد) يشرح ثم يتبل بمسحوق الملح وينشر على الحبل ليجف. وهكذا كان يحتفظ باللحم لمدة أطول دون أن يفسد، يعرف هذا اللحم بإسم القَدِّيد[1].

ومن أشهر الأطباق المحلية المعدة من اللحم نذكر:

⋆. **لحم الرَّضْفَة***: يسمى كذلك نسبة لطهيه على الرَّضْفَة، حيث يتبل اللحم بالثوم والملح والفلفل الأسود (Piper nigruml) والفلفل الحار (Capsicum Annuml) و مسحوق ورق الكزبرة (Coriandrum Sativuml) ولعطور، ثم يوضع فوق الرضفة الساخنة بعدما تدهن بالشحم ويغطى بقصرية، بعدها تغلق الحواف بعجين طحين القمح حتى يمنع التسرب بعدها يوضع الرمل الساخن فوق القصرية وتغطى كلية ليوضع الجمر فوق الرمل لضمان سخونته، يبقى هكذا مدة معينة حتى ينضج[2].

هذه الطريقة تشبه طريقة الطبخ باستعمال قدر الضغط، وكأنه تم شي اللحم في قدر ضغط تقليدية.

واظبت العديد من العائلات الأدغاغية على شي اللحم بهذه الطريقة خاصة في عيد الأضحى حيث يتوفر الكثير من اللحم.

⋆. **الملفوف****: سمي كذلك نظرا لِلَفِّ قطع الكبد بالشحم، يعد هذا الطبق من كبد الشاة أو كبد الجمل. حيث يتم طهيه بقليل من الماء مع إضافة قليل من الزيت والملح ولعطور ويترك على نار هادئة ولفترة

[1]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

*. يسمى في منطقة تيديكلت باللحم المردوم وفي توات الحنة بالطنجية. انظر الملحق رقم19 ص412.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

**. انظر الملحق رقم19 ص412.

قصيرة، بعدما ينضج يترك ليبرد، ثم يقطع إلى مكعبات صغيرة ثم يلف كل مكعب بالشحم لفة واحدة، ومن تم إدخال المكعبات الملفوفة بالشحم في سيخ حديدي، ليشوى بواسطة جريدة (غصن النخلة) مشتعلة مع رشه بالملح والفلفل الأسود (Piper nigrum L) أثناء شيه. يقدم ساخنا قبيل وجبة الغذاء أوالعشاء.

⋆. **الدَّوَّارَة***: طبق يحضر من أحشاء الشاة (الأمعاء – المعدة – الرئتان) حيث تطبخ الأمعاء والمعدة بعد تنظيفهما جيدا، ثم يقطع الجميع إلى قطع صغيرة لتطهى بعد أن يضاف لها التوابل المعطرة والمنكهة كأوراق الكزبرة والثوم ولعطور والكمون (Cuminum Ciminum L.)والفلفل الحار(Capsicum Annum L) ، يقدم طبق الدوارة ساخنا بعد رشه بقليل من مسحوق الفلفل الأسود(Piper nigrum L) [1].

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى أواخر ستينيات القرن العشرين كان إعداد الملفوف والدوارة مقتصرا على الأعياد فقط وخاصة عيد الأضحى.

## 2. التوابل والمنكهات:

ما نلاحظه على إعداد الأكل هو تعطيره وتنكيهه بعدد من التوابل التي هي أجزاء لنباتات عطرية مختلفة تتميز بالحرافة؛ مقبلة للطعام؛ مشهية و ذات نكهة طيبة تعمل على حماية الجسم من البكتيريا ومساعدة تغذية الخلايا، وتشكيل غشاء كربوني واقي حول هذه الخلايا والمحافظة على التوازن الحمضي القلوي[2]. ومن أشهر التوابل التي عكفت المرأة الأدغاغية على استعمالها لتنكيه وتعطير أطباقه نذكر:

• **لَعْطُور****: من التوابل الشهيرة في منطقة توات عموما وفي قصر أدغاغ خاصة، إذ أن نكهتها تختلف من منطقة إلى أخرى مابين تينجورارين وتوات وتيديكلت وهذا راجع لنوع الحشائش والأعشاب العطرية المكونة لها ولكميتها أيضا.

والمتفق عليه أن لعطور المستخدمة في قصر أدغاغ ذات رائحة ونكهه طيبة على خلاف لَعْطُور المستخدمة في باقي قصور إقليم توات، أما الحشائش والنباتات المشكلة للَعْطُور فهي: ورق الريحان( Myrtus Communis)، جوزة الطيب (التمرة) (Myristica fragrans)، القرفة (Cinnamomum Zeylanicum)، قرنفل (عود النوار) (Eugenia caryophyllus)، الزنجبيل (العود الابيض) (Zingiber officinalisl)، الكركم (العود الاصفر) (Curcuma logal)، الفلفل الكاذب (قَرَّمِّي)

*. انظر الملحق رقم19 ص.412.

[1]. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني : مقابلة شخصية، ببيتها قصر أدغاغ، يوم 2014/03/12م.

[2]. عائشة بلامة مرزاية: المهن الحرفية، الفلكلورية....، المرجع السابق، ص 27.

**. انظر الملحق رقم20 ص413.

(Xylopia aethiopica)، تستعمل هذه التوابل بكميات معلومة وكل زيادة أو نقصان تؤثر على نكهة لعطور، كما أن الزنجبيل يحمص جزء منه و الفلفل الكاذب (قَرَّمِّي) يحمص كله قبل استعماله، ثم يدق الجميع في المهراس الخشبي قبل أن يطحن باستعمال الرحى اليدوية[1].

لقد ظلت المرأة التواتية تستخدم هذه الأعشاب لزيادة نكهة الطعام وتطييبه، إلا أنه أواخر القرن العشرين حذفت من هذه المقادير عشبة قَرَّمِّي بسب لونها الأسود الذي يكسب المرق لونا داكنا[2].

- **العَكْرِي** Piment Rouge: وهو مسحوق الفلفل الحلو ذي اللون الأحمر، كان يستعمل في المرق ومرق اللبن. بدل الطماطم. لإكسابها اللون الأحمر.
- **مسحوق الفلفل الحار**Capsicum AnnumL :لونه أحمر،يضيف نكهة طيبة لأنواع المرق.
- **مسحوق الفلفل الأسود**Piper nigrumL : (لَبْزَارْ باللهجة المحلية) يضاف إلى الكسكس بعد نضجه.
- **مسحوق الكمون** Cuminum Cyminum L: يُنَكَّهُ به مرق اللبن.

هذه المنكهات الأربعة الأخيرة إضافة إلى توابل لَعْطُورْ كانت تتم مقايضتها بقليل من التمر الرطب أيام الأسواق الموسمية .حيث روت لي الجدة لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني؛ أن النساء كن يعملن على فرز كيلة من التمر الرطب في موسم جنيه(الخريف)، ليرسلنها مع أبنائهن إلى السوق(سوق بَرَّتْ حْمِيَّانْ، سوق رَحْبَةْ الخَنَافْسَة) لمقايضتها مع التوابل.

- **لَخْتِيمْ***: يعد من بُرْبُور** زَنْبُو الشعير مضاف إليه قليل من بُرْبُورِ زَنْبُو القمح، حيث يوضع البربور في قدر من الطين أو من الزنك (الصابرة) بعد خلطه بالأعشاب والبقوليات الآتية: طحين أعشاب السَّابْعَة وبربور العدس، يضاف له بعض التوابل كالملح والفلفل الحار Capsicum Annum L ليغمر باللبن ويترك ليتخمر؛ حيث يوضع ثلاثة أيام في الظل وثلاثة أيام في الشمس إذا كان الفصل شتاء، أما إذا كان الفصل صيفا فيوضع ثلاثة أيام في الظل وثلاثة أيام مابين الظل والشمس حتى لا تفسده شدة الحرارة، وفي اليوم السابع يخلط المزيج جيدا ثم يشكل على هيئة كريات بحجم قبضة الكف لِيُذَرَّ عليه الدقيق، ثم يبسط على شكل خبيزات صغيرة الحجم توضع في الطُّبَق أو التِّفَالْ (الرقعة) في مكان مشمس لتجف مع قلبها على الوجه الآخر كل يوم.

---

[1]. فاطمة عابد: العرس التقليدي بولاية ادرار( قصر أدغاغموذجا)، الإذاعة الجزائرية من أدرار.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمان بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي (خبيرة في إعداد لعطور):مقابلة شخصية، ببيتها بزقاف الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م.

*. انظر الملحق رقم20 ص413.

**. البُرْبُور: الجشيش من البر. أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، (ج4)،ص 55. يقال جَشَّ الحبَّ: دقه، وقيل طحنه طحنا غليظا جريشا وهو جَشِيش، انظر: ابن منظور: المصدر السابق، (ج6)،ص 273.

يعد لَخْتِيم من التوابل المنكهة لطبق الحساء، إذ أنه بعد جفافه يدق ليصير هشيما ثم يحتفظ به ليرمى قليلا منه (حجم ملعقة أكل) في الحساء أثناء طهيه[1].

كما يعتبر لختيم من المقبلات والمشهيات يؤكل مع التمر، إذ يسحق حتى يصير طحينا، ثم يضاف له الملح ومسحوق الفلفل الحار ويخلط باللبن؛ لنتحصل على مزيج لا بالسائل ولا بالعجين يقدم مع التمر في الأعراس والزيارات والمناسبات (خاص بالنسوة فقط).

• **قَزْمَة***: عبارة عن شجيرة أوراقها ذات لون أخضر داكن وسيقانها حمراء اللون، كانت تزرع بكثرة، وحينما تثمر تقلع وتنزع منها الأوراق فقط، لتدق في المهراس الخشبي بعدها يضاف لها قليل من الملح والفلفل الحار Capsicum Annum L ثم تشكل منها خبيزات، وتترك لتجف في الشمس لتستعمل بعد سحقها وخلطها مع الماء وإضافة الفلفل الحار كنوع من المقبلات والمشهيات تؤكل مع التمر(خاص بالنسوة فقط)[2].

إستمر المجتمع الأدغاغي طيلة فترة الدراسة يعد لختيم وقزمة ويستعملهما يوميا وفي الزيارات والأعراس والمناسبات العائلية.

• **هُوي فَاغُو**: هو شجيرة تبلغ أحيانا طول الإنسان، تثمر الشجرة الواحدة الكثير من الثمار، والتي تسحق ويضاف لها الملح والفلفل الحار Capsicum Annum L وتخلط بالماء لتقدم مع التمر أيضا.

مع العلم أن شجيرات قزمة وهوي فاغو تزرع في الشتاء لتجنى في شهر مارس، كما أن لها خاصية علاجية تتمثل في علاج المغص والقرحة المعدية[3].

• **خبيزات البصل اليابس****: عبارة عن خبيزات من البصل تعد بالطريقة الآتية: تختار حبات بصل كبيرة ثم تفتت إلى شرائح وتترك لتجف بعدها تدق، ويضاف إلى طحينها الملح والفلفل الحار Capsicum Annum L ولعطور والعكري وأنغاد (مسحوق التمر) ثم تدق كمية من البصل الأخضر في المهراس الخشبي وتضاف إلى الخليط الأول مع مزج الجميع جيدا وفي الأخير نشكل منه خبيزات ذات حجم معين وتترك في الشمس لتجف[4].

---

[1].لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمان بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي (خبيرة في إعداد لختيم): المقابلة السابقة.

*. انظر الملحق رقم20 ص.413.

[2]. لالة عائشة بنت مولاي هاشم بن سيدي محمد بن هاشم (فلاحة ):من سكان قصر أدغاغ: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2014/03/24م.

[3]. نفسها.

**. انظر الملحق رقم20 ص413.

[4]. لالة فاطمة بنت سيدي عبد الرحمان بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني( خبيرة في إعداد خبيزة البصل ولعطور):المقابلة السابقة.

تستعمل خبيزات البصل اليابس حشو في إعداد الكسرة والخبز المبطن حيث أنه عندما يقرر إعداد هذين الطبقين، تؤخذ خبيزة وتدق باستعمال آدقي ثم يوضع الهشيم في آنية ويصب عليه الماء ويترك ليصير معجونا، بعدها يضاف له بربور العدس وبربور زنبو القمح وقليلا من الزبدة ليصير الخليط حشوا يسمى محليا بالقلب يحشى به عجين الكسرة، أما الخبز المبطن فلا يضاف إلى حشوه بربور العدس ولا بربور زنبو القمح[1].

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإلى سبعينيات القرن العشرين استمرت المرأة التواتية في إعداد خبيزات البصل اليابس نظرا لعدم توفر البصل في كل الفصول مع عدم إمكانية الاحتفاظ به على حالته الطبيعية دون فساد، فاهتدت إلى هذه الطريقة لتوفيره في كل المواسم خاصة وأن طبقي الكسرة والخبز المبطن كانت من الأطباق الشعبية المتداولة في تلك الفترة*.

• **الزبدة:** كانت تستخرج من اللبن، حيث يوضع في الشكوة بعد أن يتم جمعه لعدة أيام، يضاف له الماء لِيُرَجَّ رَجّا عنيفا مدة معينة حتى تتشكل منه الزبدة عندها يفرغ اللبن من الشكوة ثم يضاف لها الماء مرة أخرى لغسل أي أثر للبن، بعدها توضع الزبدة المستخرجة في إناء مع حبات بصل لتعطرها وتغلى على النار، بعدها تحفظ في وعاء خاص.

كانت الزبدة المحلية تستعمل للطهي بدل الزيت الذي لم يظهر في القصر إلا في سبعينيات القرن العشرين، كما كانت تستعمل كمرطب للشعر بدل زيت الشعر[2].

ومن التوابل المستوردة التي كان يستعملها سكان قصر أدغاغ لزيادة نكهة الأطعمة نجد: الكليلة (الأقط: جبن يابس) والدهن إذ كان يجلبهما تجار حْمِيَّان، وتِيكَمّرِين (نوع من الأقط) التي كان يجلبها تجار توات من السودان الغربي.

• **الأَقْطُ (لَكْلِيلَة):** ينتجها سكان البوادي باستعمال اللبن الذي يوضع في الشكوة ثم يرج جيدا ليتم فصل الدهن (القشدة) عن الحليب، هذا الأخير يغلى حتى يتبخر ماؤه ثم يترك ليبرد بعدها يصب فوق قطعة قماش لتسمح بنفاذ ما بقي من الماء مع احتفاظها بالقشدة والتي تعرض لأشعة الشمس لمدة يومين أوثلاثة حتى تجف[3].

يستعمل الأقط لتنكية طبق الحساء، فبعد تهشيمه يوضع قليل من هشيمه (بحجم ملعقة أكل) في الحساء أثناء طهيه. كما يوضع قطعا منه في اللبن لإضفائه نكهة طيبة، وللمساعدة على تخثره.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

*. أواخر القرن العشرين ومع توفر البصل الأبيض في كل المواسم أصبح خبيزات البصل لا تستعمل إلا للتنكيه والتعطير إذ عند إعداد الحشو (القلب) من البصل الطبيعي والتوابل السابقة الذكر يضاف له قليل من طحين البصل اليابس لإضفاء نكهة طيبة على هذا الحشو.

[2]. نفسها.

[3]. عائشة بلامة مرزاية، المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة أدرار، المرجع السابق، ص 27.

• **تِيكَمَّارين**[*]: تشبه الأقط إلا أن طريقة تحضيرهما تختلف، فبعد ذبح جدي لم يمر على ولادته سوى ثلاثة أيام أو أربعة تترك معده لتجف، ثم تسحق ويوضع جزء من المسحوق في حليب الأغنام (ماعز، نعاج) مع إضافة بعض الأعشاب كالفيجن Rata mantana L، الأنيسون Pempinella anisum L (الحَلْوَة)، والفلفل الحار Capsicum Annum L ، ويترك ليتخثر، بعدها تصفى كتل الرائب وتوضع على منسف مربع الشكل يسمى أصوصو مصنوع من أغصان نبات يشبه السبط حتى يجف. تصنع الكليلة وتيكمارين في مواسم الرعي والأمطار حيث يوجد فائض في الحليب[1].

• **الدهن**: (السمن) كان يحضره تجار حْمِيَّان وتتم مقايضته بالتمر، يستعمل لتنكيه الطعام، إذ كان يضاف القليل منه للمرق وللكسكس أيضا عندما يكون ساخنا[2].

### 3. المشروبات:

من الأشربة التي كانت متداولة في قصر أدغاغ وفي عموم توات خلال فترة الدراسة ولازالت: اللبن والشاي

• **اللبن**: كان اللبن من الأشربة الروحية في إقليم توات، فقد عرف في المنطقة منذ القدم، حتى أنه لم يكد يخل بيت من بيوت التواتيين من تاقمّى (زريبة الحيوانات).

عكف سكان قصر أدغاغ على تربية الحيوانات كالماعز والخرفان والدجاج والحمام لكن ليس بالشكل الكثير بالنسبة للماعز والخرفان بل فقط ما يسد الحاجة من الحليب وأضحية العيد، وما يمكنهم من إقامة المناسبات الموسمية (الاستهلاك المحلي).

لقد توفر اللبن في معظم البيوت نظرا لاستخدامه كمشروب مرافق للتمر أو السفوف خاصة في رمضان حيث يعد التمر واللبن الأكلة الشعبية الرئيسية التي يفطر عليها الصائم، كما يعد وجبة الضيافة تقدم للضيف بمجرد ولوجه إلى البيت وفي أي وقت كان ذلك.

كان اللبن يحفظ في التاغوية (لَخْشَاشَة)[**] ويروب فيها بإضافة قليل من اللبن وقطعة من لكليلة (الأقط) وقطعة من العود الابيض (الزنجبيل) Zingiber officinalisl وعود ثرمي (الفلفل الكاذب) Xylopia aethiopica لإضفاء نكهة طيبة على مذاق اللبن.

---

[*]. كلمة أمازيغية محرفة أصلها: تاكامارت، تاكانارت ومعناها الجبن المجفف. للمزيد انظر: محمد شفيق، المصدر السابق، (ج1)،ص210.

[1]. عائشة بلامة مرزاية، المهن الحرفي، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة أدرار، المرجع السابق، ص 27.

[2]. لالة فاطنة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[**]. آنية تصنع من نبات القرعة ذو الثمرة المنحنية التي تترك بعد نضجها لتجف ثم يقطع جزءها العلوي ويفرغ ما بداخلها لتستعمل قشرتها كوعاء لحفظ السوائل خاصة الحليب والدهن.

• **الشاي**: Camellia sinensis يسمى محليا لَتاي*.

لم يعرف في قصر أدغاغ إلا أوائل القرن العشرين**، وقبل ذلك كان يستخدم ورق الحنة المحمص لإعداد الشاي وبنفس طريقة إعداد الشاي الأصلي. أما السكر الذي كان يحلى به الشاي فقد كان عجينه صلبة لونها يميل إلى اللون الأحمر كما كان يوجد ملتصقا بها أقماع التمر ( السندف باللهجة المحلية)، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على استخدام التمر في صنع السكر. فقد كان أعيان القصر يجمعون التمر ثم يوزعونه على النسوة لتهشيمه وتنقيته من التمر الرديء والنوى والأقماع ثم تأخذه الإدارة الفرنسية لترجعه لهم سكرا[1].

قبل سبعينات القرن العشرين كان الشاي يتناول مرة واحدة في الأسبوع، يوم الجمعة بعد صلاة العصر*** وذلك نظرا لقلته حتى أن أواني الشاي لم تكن متوفرة إلا عند بعض الأعيان، وهناك بعض الأسر التي صنعت إبريق الشاي والكؤوس من الطين المشوي****. وهناك بعض العائلات من كانت تستلف أواني الشاي من أحد الأعيان في حال قدوم ضيف[2].

لقد جرت العادة التواتية أن يشرب ثلاثة كؤوس من الشاي الكأس الأول يكون مركزا والكأس الأوسط يكون أقل تركيزا، أما الكأس الأخير فيكون ضعيف التركيز. يعطر الشاي بالنعناع ما عدا فصل الشتاء إذ يعطر بنبتة الشيبة نظرا لعدم توفر النعناع في هذا الفصل.

---

*. ربما اشتق هذا الاسم من الاسم الأجنبي للشاي le tea.

**. حدد هذا التاريخ تبعا لرواية جدتي (مواليد سنة 1924م) حيث قالت أنها عندما كانت طفلة كانت ترى والدها يحمص ورق الحنة ويعد به الشاي وظل الوضع كذلك إلى أن تزوجت ووجدت حماها يفعل نفس الشيء وبعد أعوام ظهر الشاي.

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

***. وبعد سبعنيات القرن العشرين توفرت أواني الشاي مع توفر الشاي أيضا وغدت الأسر تشرب الشاي صباحا وقت الفطور وبعد الغذاء عند البعض وبعد صلاة العصر عند البعض الآخر، كما يقدم في الأعراس بعد وجبة الغذاء بالنسبة للنساء وبعد وجبة العشاء (يوم العقد) بالنسبة للرجال.

****. روت لي جدتي لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة أن حماتها صنعت إبريق شاي وكؤوسه من الطين لها ولعدد من الأسر.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

## ثانيا: الأزياء

كانت أزياء سكان قصر أدغاغ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من إنتاج حرفيي القصر سواء نسج القماش ثم صباغته وأخيرا خياطته حسب رغبة الزبون.

النسيج كان اختصاص النساء باستعمال منسج مصنوع محليا من أخشاب النخيل وعيدان شجر الرمان، وذلك بعد غزل الصوف التي كانت تشترى من عند تجار حْمِيَّانْ الذين كانوا يقيمون أسواقا على مشارف القصر، أما التفصيل والخياطة فكانت غالبا من اختصاص الرجال، وقد كانت تتم يدويا باستعمال الإبرة والخيط وخوصة الأصبع (غطاء نحاسي يحمي الأصبع السبابة من لسعات الإبرة)[1].

أما الأزياء التي كانت رائجة لدى سكان قصر أدغاغ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين نذكر:

1. **الأزياء النسوية:** تنوعت هذه الأزياء وتعددت لواحقها ما بين ألبسة ووسائل زينة

- **الألبسة:** تمثلت في:

⋆. **لِيزَار***: وهو عبارة عن قطعة قماش طولها تسعة أذرع، تلفها المرأة حول جسدها بطريقة معينة تظهر المنطقة الممتدة من الكتف إلى الذراع، وقد كان ليزار يعتبر من اللباس الرئيسي للمرأة التواتية عموما، ترتديه بدل الفستان لمن لم تكن تملك فستانا وترتديه من كانت تملك فستانا فوق هذا الأخير إذا أرادت الخروج إلى الشارع.

يزين ليزار الخاص بالمناسبات والأعياد بعدد من الحلي الفضية**.

عرف في قصر أدغاغ نوعان من القماش الموجهين لعمل ليزار، النوع الأول يسمى قماش المالطي كان يستعمل يوميا، والنوع الثاني يسمى قماش الفينة كان خاصا بالمناسبات والأعياد[2].

⋆. **لَبْنَايَقْ:** قطعة قماش سوداء خفيفة ذات ثقوب، طولها حوالي تسعة أذرع. تلتحف به المرأة في المناسبات إذ تستعمله مع ليزار، كان يستورد من السودان.

⋆. **لَمْزَعْفْرَة:** قطعة قماش بيضاء اللون مثلثة الشكل، تزين بالزعفران بطريقة خاصة حيث أنه أواخر القرن التاسع عشر وحتى خمسينيات القرن العشرين كان في قصر أدغاغ حرفية تقوم بنسج لمزعفرة وتزيينها ثم بيعها، ومن

---

[1]. سيدي البركة بن سيدي محمد بن مولاي امحمد طاهري(كان من بين خياطي القصر في أواسط القرن العشرين ولا زال إلى اليوم يخيط ملابسه وملابس أمه وزوجته و إخوانه (السراويل التقليدية)،): مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/12م.

*. انظر الملحق رقم21 ص414.

**. للمزيد حول هذه الحلي: انظر ص 179 وما بعدها.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م

توفرت لديها قطعة القماش كانت تأخذها لهذه الحرفية لتزينها بالزعفران مقابل عْشاها أو عْتوقها[1]. تخاط لَمْزَعْفْرَة في مقدمة ليزار المخصص للأعياد والمناسبات من الجهة الأمامية.

⋆. **لَمْحَرْرَة:** قطعة قماش من الحرير مثلثة الشكل، مزينة باللونين الأخضر والأحمر تخاط في مقدمة ليزار في المناسبات والأعياد كنوع من أنواع الزينة.

⋆. **شَرْوِيطَة (خِرْقَة) القْطَّاية:** قطعة من قماش ملونة مربعة الشكل تعلق في ليزار من الجهة الخلفية من الكتف إلى الكتف، تَتدلَّى عليها القطاية حتى لا يتسخ ليزار.

⋆. **لُوقَايَة:** قطعة قماش مستطيلة الشكل تخاط حول مقدمة ليزار من الجهة الأمامية بشكل متداخل ( تخاط تحت لمزعفرة ولمحررة) كنوع من أنواع التزيين.

⋆. **الحَوْلِي:** قطعة قماش بيضاء اللون طولها تسعة أذرع كان يبيعه تجار ذوي منيع[2]، تتستر به المرأة عند خروجها[3].

⋆. **الكَسَا:** يُنْطَقْ لَكْسَا: قطعة قماش من الصوف طولها تسعة أذرع، مزينة بخطوط من القطن، منسوجة محليا تلتحف به المرأة في الشتاء لتتقِ شر البرد[4].

⋆. **الحَايَكْ:** قطعة قماش من الحرير ذات اللون الأبيض والأسود، تتدثر به النساء عند خروجهن.

⋆. **لَعْبَايَة:** ثوب من القماش ذو خمسة أذرع. كان الخياط يطوي هذه القطعة إلى جزأين، ثم يضع فتحة الرأس من الجهة المغلقة و يخيط الجانبين مع ترك فتحة الذراع في كل جانب. كانت تسمى عباية الشتاميل. مع العلم أن هذا النوع من اللباس لم يظهر إلا بعد الاستقلال عندما عمدت الحكومة إلى تمويل السكان بالمواد الغذائية والألبسة عن طريق توزيع السندات*، حيث كان الرجل يحصل على أربع أذرع وزوجته تحصل على نفس المقدار من القماش، يعني ثمانية أذرع للزوجين: يأخذها أحدهما لخياطة ثوب وفي المرة المقبلة يأخذها الآخر[5].

⋆. **الجَرْطَالَة:** نوع من أنواع السراويل، كان يخاط محليا حيث ينسج قطعة قماش من الصوف طولها أربعة أذرع وعرضها ذراعين ونصف، تطوى القطعة حسب الطول لتخاط من الجانبين مع ترك فتحة (مخرج القدم) في كل جانب. هذا النوع من السراويل كان يرتديه الرجال في فصل الشتاء وبعض النسوة المعدودات اللواتي تنتمين إلى أسر ميسورة الحال.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. الحاج التومي سعيدان:المرجع السابق، ص 156.

[4].لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م

*. كان يطلق عليها محليا: البون (كلمة فرنسية معربها السند) حيث كان يقال: كتَّان البون أو شاي البون.

[5]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

⋆. **السروال:** لم تكن النساء ترتدي السروال قبل خمسينيات القرن العشرين ولما تم لهن ذلك أبدع الخياط في إخاطته فظهر لدى النساء ما يعرف بسروال السفايف (الأشرطة)، حيث كان السروال يخاط غالبا من قماش أسود اللون ويزين قدمه بستة أشرطة ذات ثلاثة ألوان (الأخضر ، الأحمر و الوردي) مكررة أو يزين بثلاثة أشرطة فقط ذات الألوان المذكورة دون تكرارها[1].

⋆. **أغطية الرأس:**

*. **السَّبْنِيَة:** قطعة قماش خفيفة مربعة الشكل: ملونة بخطوط حمراء وخضراء وصفراء، كان يجلبها تجار كرزاز*،تتدثر بها العروس. (تكون ضمن جهاز العروس).

*. **الشَّرْبِيَة:** قطعة قماش بيضاء اللون طولها نصف ذراع تغطي بها العروس رأسها طيلة التسعة أيام أو السبعة أيام الأولى من تواجدها في بيت الزوجية، لتُغسل في اليوم العاشر أو اليوم الثامن وتصبغ باللون الأزرق** لتستعملها يوميا كغطاء للرأس (تكون ضمن جهاز العروس).

*. **الكَمْبُوشْ:** قطعة قماش برتقالية اللون أو ذات ثلاثة ألوان (الأخضر، الأحمر، الأسود) ويسمى هذا الأخير كمبوش الواد***، ذات حواف بيضاء، تكون مستطيلة الشكل طولها حوالي ثلاثة أذرع وعرضها شبر وثلاثة أصابع، كان ينسج محليا**** من الصوف ويزين بنتف أو خطوط من القطن، مع العلم أن الكمبوش يستعمل في الشتاء[2].

*. **البيَّاتة:** قطعة قماش أسود من نوع الطاري المستورد من السودان الغربي، طولها حوالي نصف ذراع، تغطي به المرأة رأسها بعد دهنه بدهن الشعر حفاظا على نظافة الكمبوش.

*. **لَحْرَام:** غطاء للرأس وهو عبارة عن شريط من قماش الطاري ، أسود اللون مزين بخطوط بيضاء، طوله حوالي ثلاثة أذرع وعرضه حوالي ثماني سنتيمترات، تلفه المرأة حول قمة رأسها فقط تاركة ما بقي من الشعر عاريا لإظهار زينته، يستعمل في الأعياد والمناسبات***** فقط.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

*. كرزاز واحة من واحات منطقة الساورة (بشار حاليا).

**. كان يتم صباغة الملابس البيضاء بصباغة خاصة تسمى الزَّرِّيق، تضفي اللون الأزرق على الملابس البيضاء.

***. سمي كذلك لأنه نسج على شاكلة الكمبوش الذي كان يجلبه تجار وادي سوف في مواسم الأسواق. انظر الملحق رقم21 ص414.

****. في أواخر القرن التاسع عشر وإلى ستينيات القرن العشرين كانت تنسجه وتبيع حرفية تدعى لالة مامة بنت الولي الصالح مولاي علي الشريف، بن مولاي الصديق، بن مولاي عبد الرحمن.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق بن مولاي عبد الرحمن بن الشريف: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م.

*****. كان يستعمله الرجال ايضا ويروى أنه يوم زيارة الوالي الصالح سيدي عبد الرحمن الميموني أخذ أحد الرجال لَحْرَام الخاص بزوجته دون علمها ولفه حول عمامته وذهب إلى قصر ميمون، وعندما تفقدته الزوجة ولم تجده ظنت أنه سرق فدعت على سارقه، ولما عاد الزوج

**⋆. الأحذية:**

*. **الريحية:** هي حذاء مصنوع من الجلد الأحمر ترتديه المرأة أيام المناسبات (الفضايل باللهجة المحلية)، وكانت على نوعين الريحية العادية والريحية المحررة هذه الأخيرة تتميز عن الأولى بتزيينها بخيوط من الحرير، كانت الريحية تصنع داخل أسوار القصر من طرف الحرفيين (لَمْعَلْمِين).

ففي القرن التاسع عشر وإلى ستينيات القرن العشرين اشتهرت في قصر أدغاغ عائلة البوخاري بصنع الريحيات حيث كان لها دكان في القصبة السفلانية، وكذا المدعو أبَّا الشوكة ولد أحمد المؤذن، وعبد الرحمن بن أمحمد الذي وفد على قصر أدغاغ من سالي، حتى أن أهل القصر أطلق اسم المعَلَّمْ (الحرفي) على الحذاء الذي صنعه فكان يقال: ريحية أولاد البخاري أو ريحية ولد أحمد المؤذن[1]. وحسب الرواية التي روتها لي جدتي (لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني) فإنه كانت تستورد ريحيات من منطقة الساورة (امتلكت واحدة منها) وهي ذات صنع يهودي، وكذلك الحذاء (شتوي) المصنوع من الجلد الأحمر، إلا أن هذين النوعين الأخيرين كانا أقل جودة من تلك المصنوعة محليا، ذلك أن هذه النوعية المستوردة كانت مسمرة بالمسامير، ومع تكرار الاستعمال تبرز المسامير ويصبح الحذاء مضرا للقدم.

*. **لَمْخَبْلَة:** هي ريحية مزينة بخيوط من الحرير متشابكة مع بعضها البعض (مْخَبْلَة باللهجة المحلية)لذلك سميت بالمخبلة، كانت تستعمل في الأيام العادية[2].

وحسب رواية الجدة لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني فإن النساء نادرا ما كن يستعملن الأحذية، إلا من كانت ذات شأن بأن كانت من عائلة ميسورة الحال أو من بنات الأعيان كالقياد أو شيوخ البلاد. وقد كانت النسوة اللواتي يترددن على البساتين يوميا يصنعن نعالا من ليف النخيل (الفدام) أو من السعف (تسمى تَعَقَّاتْ)؛ يتقون بها حر الشمس أثناء عودتهن إلى القصر وقت الظهيرة.

هذه الأزياء النسوية اندثرت منذ سبعينيات القرن العشرين، وما بقي منها لدى بعض النسوة المتقدمات في السن لا يَعْدُ أن يكون ايزارا وكمبوشا، تستلفه من عندهن العرائس ترتدينه أثناء تأدية طقوس لَخْزَام التقليدي للتبرك.

---

ورأته عنده قالت له: تحمل نتيجة فعلتك فلقد دعيت على سارق رزقي، فمنذ تلك اللحظة سقط الزوج طريح الفراش ليبقى كذلك أياما ثم يتوفى بعدها.

[1]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

النسوة الأدغاغيات لا زالت ترتدي السراويل العريضة لم تتخلَّ عنها كما ليزار الذي عوض بالحايك ثم الجلابة ثم لَمْلَحْفَة (قطعة قماش ذو أربعة أذرع ونصف خاصة بالمرأة التارقية). كما أن توفر الألبسة الجاهزة في المحلات جعل المرأة الأدغاغية تصرف النظر عن نسج القماش وخياطته.

- **وسائل الزينة:**

منذ أقدم الحضارات عملت المرأة على إبراز جمالها راغبة بذلك لفت انتباه الرجل أو التميز بين قريناتها، فسعت لابتكار ما يرضي ميولها ويستجيب لقريحتها باستعمال ما وفرته البيئة من مواد أولية استحالت بين أناملها مواد تجميل ووسائل زينة تتباهى بها يوميا أو موسميا.

والمرأة الأدغاغية كغيرها من النساء اجتهدت في تحصيل ما تتزين به فكانت لها مِشْطَاتٌ متنوعة ومبتكرة، وحلي مختلفة ومواد تجميل بسيطة؛ جعلت نساء القرن الثامن عشر والتاسع عشر و إلى ستينيات القرن العشرين يبرزن جمالهن دونما تكلف أو تصنع متخذات من البساطة عنوانا ومن الحشمة دثارا.

- **مشطات الشعر:**

من بين الاهتمامات الجمالية للمرأة الأدغاغية مشطات الشعر، فقد تفننت الماشطات في إعدادها وإتقانها، وعن المشطات التي كانت رائجة لدى النساء في الفترة المذكورة روت لي الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير أنه كانت هناك مشطتان مشهورتان لا يخل شعر امرأة من إحداهما ومشطة واحدة للبنات، أما المشطتان الخاصتان بالنساء فهما:

- **مشطة بُوسِيرْ***: سميت المشطة بهذا الاسم (بُوسِير) نسبة إلى السيور الجلدية التي تستخدم في إعدادها والتي تحضرها الزبونة مع مرطب الشعر المعد محليا.

تقوم الماشطة بتجزيء الشعر إلى جزأين أمامي وخلفي، الجزء الأمامي تجزئه إلى جزأين جانبيين أيمن وأيسر، ثم تعمل على ضفر شعر كل جانب إلى ضفائر عديدة، تبدؤها من القمة لتميل بها باتجاه الأذن، مع العلم أن الماشطة تقوم أثناء عملية الضفر بدهن الشعر بالمرطب؛ فدعكه بمسحوق الحناء ثم رشه بقليل من التراب المحروق الذي يساعد في عملية الضفر إذا كان الشعر رطبا. وهكذا تستمر إلى أن تنهي الجانبين لتتحصل في الأخير على عدة ضفائر متدلية، بعدها تجمع ضفائر كل جانب على حدة لتقوم بضفرها مع سيور من الجلد مشكلة ضفيرة غليظة متدلية على الكتف من جهة الأمام[1].

أما الجزء الخلفي فيمشط بطريقة خاصة تسمى القَطَّاية (guattaya). حيث يضفر الشعر إلى عدة ضفائر من الأعلى إلى الأسفل، والجزء المتدلّ من الضفائر تقوم الماشطة بتحويله إلى طبقة سميكة من الشعر مستطيلة الشكل متدلية مابين الكتفين يطلق عليها القَطَّاية.

---

*. بُوسِيرْ كلمة مركبة من قطعتين هما بو: بمعنى ذو و سير بمعنى خيط.

1. الحاجة امباركة بنت عومر حماوي: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/26م.

تعد القَطَّاية كالآتي: تقوم الزبونة بتحضير خيوط طويلة سوداء اللون* غُزلت من صوف الغنم تسمى محليا آزّار**، ثم تعمل الماشطة على توصيل الضفائر مع بعضها البعض باستعمال مخيط موصول بخيط آزّار مع ترك مسافة بين الضفيرة والأخرى متجهة أفقيا في عملية الخياطة مع إضافة ضفيرة من خيوط آزّار بين كل ضفيرة شعر وأخرى بين الحين والآخر لزيادة كثافة الشعر وتستمر في عملية التوصيل والخياطة إلى أن تتحصل على قطعة سميكة من الشعر والصوف تتدلى مابين الكتفين ثم تزين في الأخير بحلي من الأصداف البحرية تدعى البيّاض*** موصولة بشريط من الجلد علقت به عصي مرجان وثلاثة عصي فضة علقت في كل عصية نقود فضية**** من فكة دورو حساني ودورو رشيدي وأربعة دورو فضية، وأخيرا يغطى الشعر بالبياتة ثم يلف الرأس بالكمبوش. مع العلم أن القطاية تفتح ويعاد توصيلها كل ثلاثة أشهر.

أما إذا كانت هناك مناسبة أو عيد فإن الرأس لا يغطى بل يزين بحلي عدة حسب المشطة***** ثم تلف قمة الرأس****** فقط بالكمبوش أو لحرام ليترك الجزء المزين من الشعر ظاهرا تتباهى به المرأة أمام قريناتها[1].

*. **مِشْطَة الخَرْبْ:** تقوم الماشطة بتقسيم الشعر إلى جزأين علوي وسفلي لتجزئ الجزء العلوي إلى نصفين أيسر و أيمن، بعدها تضفر شعر كل جهة إلى ستة ضفائر لتمسك الجزء المتدلى من الضفائر الستة مع بعضها البعض بشكل عمودي وتعمل على خياطة المجموعة بالمخيط الموصول بآزّار وتستمر في العمل حتى تتحصل في الأخير على ضفيرة واحدة غليظة متدلية يطلق عليها الخَرْبْ، أما الجزء الخلفي فيمشط بطريقة القطاية[2].

مع العلم أن الماشطة تعمل على إضافة خيوط الصوف المغزولة (آزّار) إلى شعر الزبونة في حالة عدم كثافة شعرها. يستغرق إعداد المشطة الواحدة وقتا طويلا حيث أنه في اليوم الواحد تقوم الماشطة بمشط شعر امرأتين أو امرأة واحدة بينما الأخرى تشرع في تمشيطها مع إكمال ما بقي في اليوم الموالي. الماشطة تكون غالبا من

*. حسب رواية لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب سليماني أنه أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان يوجد في قصر أدغاغ رجل يدعى عبد الله ولد رقية يعمل جزّازا يجز النعاج والخرفان مقابل جزء من الصوف أو النقود إن وجدت، فيأخذ الصوف إلى زوجته لتغزل من السوداء منها خيوطا (آزار) تبيعها للنساء لاستعمالها في صنع القطاية، كما كانت بعض النسوة ممن يملكن أغناما يغزلن هاته الخيوط بأنفسهن ويحتفظن بها لتزيين شعورهن.

**. أزَّار: كلمة أمازيغية معناها الشعر، للمزيد ينظر: محمد شفيق، المصدر السابق، (ج1)، ص608.

***. البيَّاض هو نوع من أنواع الأصداف البحرية الدائرية الشكل حيث تقطع إلى حلقات وتثقب في الوسط.

****. الفضة تسمى محليا بالنَّقرة، وهي كلمة أمازيغية محرفة أصلها: نَقُّورَتْ، للمزيد ينظر: مبارك الارضي: المعجم الأمازيغي الوظيفي، (ط1) ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء: 2008م، ص121.

*****. لكل مشطة مذكورة حُلِيّاً خاصة بها.

******. تلف بطريقة خاصة (مثل عمامة الرجل).

[1]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: المقابلة السابقة.

[2]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير الأدغاغية:المقابلة السابقة.

طبقة الحراثين ونادرا ما تكون من طبقة الاجواد، كما أن أجرتها عبارة عن عْشاها أو عْتوڤها حسب المتوفر لدى الزبونة[3].

أما البنات فكانت لهن مشطات شعر مختلفة عن النساء وهي على ثلاثة أنواع:

*. ضفر الشعر عدة ضفائر متدلية على الكتف من الأمام إلى الخلف.

*. تقسيم الشعر إلى قسمين متقايسين حسب الطول، ثم يضفر شعر كل جهة ضفيرة واحدة متواصلة من الجبهة إلى القفا بعد أن يؤخذ له اتجاه الأذن.

*. عزل شعر الناصية وضفره ضفيرة واحدة متواصلة من اليمين إلى اليسار (من الأذن إلى الأذن) أو العكس، بينما يجمع الشعر المتبقي ليضفر ضفيرة واحدة بعد أن يضاف لها ضفيرة الناصية[1].

**★.الحلي:**

تنوعت المواد الأولية التي صنعت منها الحلي التي كانت تتزين بها المرأة التواتية عموما، مابين أصداف بحرية ومرجان وفضة وعقيق وجلد وحرير حيث تفنن حرفيُّو القصر (لَمْعَلْمِينْ) في تجهيز أنواع عدة من الحلي اتخذتها المرأة زينة لها في الأعياد والمناسبات.

من بين هذه الحلي استطعت أن أتعرف على ما يلي من خلال وصف الجَدَّات:

*. **السَّبْتَة***: وهي حلية للرأس(توضع على الجبهة) أعدت من العقيق الملون الذي نظم في خيوط؛ متخذا شكل شريط عرضه سنتيمترات وطوله حوالي عشرون سنتيمترا موصولا بخيط من كل جانب ليربط به.

*. **الخَامْسَة****: هي حلية للرأس أيضا، صنعت من الجلد على شكل مثلث متوسط الحجم مزين بأصداف بحرية تسمى بالبَكْمَة***** والعقيق الملون وعصي نحاسية علقت بطرفيها قطعة نقدية فضية، وتدلت منها سلاسل فضية علق بطرفها السفلي حبة جلجل، تستعمل المرأة خامستين تتدلى كل واحدة من الرأس قرب الأذن.

*. **الوَنْزَايْ:** حِلْيَة للشعر خاصة بمشطة بوسير، وهي عبارة عن خيط تتدلى منه ثلاث عصي فضية طول كل واحدة حوالي أربعة سنتيمترات، زينت أعلى كل عصية بحبة من المرجان أسفل منها نونة فضية. يربط الونزاي في الطرف السفلي لبوسير حيث يبقى متدليا على الصدر.

*. **الخوص:** حلْية للشعر خاصة بمشطة بوسير وهي عبارة عن سير من الجلد علقت به خمس حلقات فضية يربط على بوسير في الطرف العلوي ليبقى متدليا على الضفيرة[1].

---

[3]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير الأدغاغية:المقابلة السابقة.

[1]. نفسها.

*. انظر الملحق رقم21 ص414.

**. انظر الملحق رقم20 ص413.

***. البَكْمة نوع من الوَدع.

*. **لَعْرَاشْ**: حلية للشعر خاصة بمشطة بوسير، وهي عبارة عن قطعتين متصلتين ببعضهما: قطعة جلدية مثلثة الشكل؛ نظم على طوليها قطع نقود فضية؛ وعلى وجهها الأمامي نظمت حبات جَلْجَلْ(كرية نحاسية بحجم حبة الحمص) يتخللها (الرَّوابيل) وهي عيدان مرجان غليظة، كما تدلت منها سلاسل فضية، و قطعة بيضاء من البيَّاض.

*. **لَخْراريب**: حلية للشعر خاصة بمشطة الخَرْبْ وهي عبارة عن حلق فضية مزينة بطريقة خاصة.

*. **اهْرِيدَّبْ**: حلية للشعر تزين بها القطاية، مصنوعة من الجلد ذات شكل مربع أو مستطيل، مزينة بخمسة أعمدة من المرجان في الوسط، وعلى طرفيها نظمت خمس حبات جَلْجَلْ، وفي منتصف الطرف السفلي تدلى دورو أو أربعة دورو فضة.

*. **حْجَابْ*القْطّاية**: حلية للشعر، عبارة عن قماش من نوع الحرير مربعة أو مستطيلة الشكل، مزينة بخمس نونات** فضية موزعة على الزوايا وواحدة في الوسط. يعلق هذا الحجاب على القطاية[2].

*. **الَقْلاَدَة**: قلادة صنعت من سير جلدي، علقت به نقود فضية من فئة دورو حساني أو رشيدي، لا يتعدى عددها عشر قطع غالبا، وهناك من تحمل عشرين قطعة فضية.

*. **عْقِيفْ المرجان**: عبارة عن عقد يحيط بالرقبة، حباته من المرجان منظومة في خيط متين مع ترك فتحة في أحد طرفي الخيط ووضع حبة عقيق في الطرف الآخر لتستعمل كقفل، تتزين به المرأة في الأعياد والمناسبات.

*. **لَعْقِيفْ الأسود*****: عقد من العقيق الأسود، يحيط بالرقبة يستعمل يوميا.

*. **لَعْقِيفْ لَمْلَوَّنْ******: عقد من العقيق الأحمر والأخضر والأزرق والبرتقالي وغيرها من الألوان، يحيط بالرقبة، تتزين به المرأة في الأعياد والمناسبات.

هذه العقود الثلاثة عادة ما يهديهم والد العروس لابنته ضمن جهازها.

*. **حْجَابَاتْ***** الحرير**: عقد يتدلى على الصدر، مصنوع من خيط يدعى خيط أغان، تتدلى منه ثلاث حجابات واحد كبير وإثنان صغيران حيث يتوضع الكبير منها في الوسط وعلى جانبيه الصغيران، زين كل حجاب بحبات جلجل، يستعمل في الأعياد والمناسبات.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. هو قطعة جلدية مربعة الشكل أو مثلثة.

**. النونة هي عبارة عن كرة بحجم حبة الحمص ولها معلاق.

[2]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

***. انظر الملحق رقم21 ص414.

****. انظر الملحق نفسه.

*****. الحجاب: عبارة عن قطعة جلد مثلثة أو مربعة الشكل غلفت بالحرير.

*.**الشْكَارَة:** (الكيس) وهي عبارة عن عقد يتدلى على الصدر، صنع من خيط أغان يتدلى من وسطه الشكارة (قطعة جلد غلفت بالحرير وزينت بالنونات)، تكون متوسطة الحجم وعلق على طرفيها بشكل متباعد خمس حجابات جلدية من كل جهة، يكون حجمها أصغر من حجم الشكارة، يستعمل في الأعياد والمناسبات.

*.**لَمْخِينْقة:** عقد من العقيق الأسود مزين الوسط بثلاث حبات من العقيق اثنين حمراوين وبينهما واحدة زرقاء،سميت لمخينقة لأنها تكون ملتصقة بالرقبة (تخنق الرقبة) ولا تتدلى[1].

*. **لَحْجَابَاتْ:** عقد يتدلى على الصدر، وهو عبارة عن خيط أغان مزين بحبات من الوَدَعْ، علقت به عشر حجابات جلدية مزينة بحبة ودعة في الوسط، يحيط بها حلقات نحاسية يتوسطها كيسا جلديا مغلفا بالحرير الأحمر، هذا العقد يكون ضمن جهاز المخطوبة ترتديه في الأعياد والمناسبات ليعلم الجميع أنها مخطوبة فلا يتقدم أحد آخر لخطبتها[2].

*. **الخلخال:** استعملت المرأة الأدغاغية ثلاثة أنواع من الخلاخل هي:

. **خلخال الدَّوَّادي:** يكون قابلا للفتح والغلق، مصنوع من الفضة ومزركش بطريقة خاصة، تتدلى منه سلاسل تصدر رنينا عندما تتحرك المرأة، خاص بالأعياد والمناسبات.

. **خلخال الغَرَّاف***: سمي كذلك نسبة إلى شبهه بالغرَّاف في سعة عرضه، يغطي جزء كبيرا من الساق، يكون عادة مفتوحا، تستعمله المرأة مع الريحية في الأعياد والمناسبات.

.**لَبْرِيمْ:** وهو نوع من الخلاخل، يصنع من الفضة على شكل حلقة دائرية مفتوحة ينتهي طرفها بكرية.

*. **السلاسل****: عبارة عن سلسلتين من الفضة متصلتين في الطرف بحلقة فضية تتوسطها شوكة فضية تسمى لَحْلَقْ (الحلقات) يخلل***** بها ليزار. يزين السلاسل قطعة فضية مربعة الشكل (على شكل مكعب) تسمى التهليل، متوسطة الحجم مزينة بزخرفات وبكرية فضية تتوسط الوجه الأمامي. تزين السلاسل ليزار حيث يمسك كل طرف منها في كتف لتبقى متدلية على الصدر من الأمام، تستعمل في المناسبات فقط.

*. **لَخْرَاصْ:** (الأقراط) كانت عبارة عن حلقة من الفضة مزينة بالعقيق.

* .**لَخْواتَمْ ولَخْواصْ******: حلي خاصة بالأصابع، الأولى تكون عريضة ومشبكة الوسط ومزينة بحبيبات فضة مجتمعة مع بعضها من جهة الأعلى، والثالثة عبارة عن حلقة دائرية يزين أعلاها بشكل معين.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. الحاجة عائشة مباركة بنت الصالح بلكبير: المقابلة السابقة.

*. الغرَّاف: لفظة محلية تطلق على آنية من النحاس أو التوتياء يغرف بها الماء أو يشرب منها.

**. انظر الملحق رقم21 ص414.

***. الخِلال:العود الذي يتخلل به، وما خل به الثوب أيضا. للمزيد ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، (ج11)، ص214.

****. انظر الملحق رقم 21 ص414.

*. **الأساور***: هي على نوعين:

. **أساور الجلد والعَقِيقْ**: وهي عبارة عن حلقة من الجلد زيِّنت بعقيق أسود وعقيق ملون، تستعمل يوميا.

. **أساور الفضة**: عبارة عن حلقة فضية مسطحة ومزينة بأشكال خاصة تختلف حسب صانعها (تمنطيط ، أولاد أوشن)، تستعمل في المناسبات.

.**الدبليج(الدبليز)** : إسورة فضية عريضة ومنتفخة زينت بحبيبات فضية.

.**لمبالة**: إسورة فضية عريضة ومسطحة قابلة للفتح، مزينة بمجسمات فضية منها الهرمية والكروية الشكل بالإضافة إلى خطوط فضية منحنية منها مالفتوحة والمغلقة.

.**لَحْنِينَة**: هي عبارة عن سير من الجلد، زين بتسعة حبات من الوَدَعْ موزعة على طول السير في خيط مستقيم، تتخللها ثلاث حبات من العقيق إثنان زرقاوان وواحدة حمراء، تستعمل لحنينة كزينة للذراع[1].

كانت هذه أهم الحلي التي كانت تتزين بها المرأة الأدغاغية خلال الفترة المذكورة، وقد اقتنيت الحلي المصنوعة من الجلد والحرير من حرفي القصر (لَمْعَلْمِين)، أما الحلي الفضية والأجزاء الفضية التي زينت بها الحلي المحلية فقد صنعها حرفيو قصر تمنطيط ، وقصر أولاد اوشن.

★.**مواد التجميل**: أما مواد التجميل التي استعملتها المرأة الأدغاغية فقد كانت:

*. **الكحل**: يستعمل لتزيين العين، يشترى حجرا وتعكف النساء على سحقه باستعمال الحَجْرَة** الخاصة بذلك، و باتباع طرق خاصة؛ فلا تسحق الكحل إلا امرأة بلغت سن اليأس، كما أنه يجب أن يسحق في يوم لا غيم فيه لاعتقادهم أن الكحل الذي يسحق في مثل هذا اليوم يضر العين بظهور ضبابة على عين مستعمله، ويسحق أيضا في يوم لا ريح فيه حتى لا يختلط بالتراب. كما أن المرأة التي تسحقه يجب أن لا تنهض من مكانها طيلة عملية السحق، منعا لسقوط التراب في الكحل من ملابسها[2].

*. **المسواك**: هو عبارة عن لحاء شجرة، بني اللون يقتنى جافا، يستعمل لصبغ الشفاه باللون الأحمر، أما طريقة استعماله فبوضع قطعة صغيرة منه في الفم تحت الشفة السفلى، وتعمل المرأة على دعك اسنانها به، كما يجب أن تلعب به بلسانها ليصبغ هو الآخر.

*. **حَمَّنِّي**: صبغة حمراء يستعمل منها بقعة على الخد، ويرسم بها خط على طول الأنف.

---

*. انظر الملحق رقم 20 ص413.

1. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي، المقابلة السابقة.

**. انظر الملحق رقم14 ص407.

2. الحاجة رقية بنت سيد احمد بن الصالح بلكبير زوجة بلحاج (مختصة في سحق الكحل)، مقابلة شخصية، ببيتها بعرق بلحاج بقصر أدغاغ ، يوم 2014/004/27م.

*. **الحنَّة**: يستعمل مسحوقها لتخضيب اليدين والقدمين باللون الأحمر، وكذلك كمرطب للشعر.

*. **مرطب الشعر**: عبارة عن زبدة تستخرج محليا من الحليب، يضاف إليها مسحوق الحنة.

*. **لَبْخُور***: تتعطر به المرأة بعد حرقه على الجمر. كان يستخدم بدل العطر.

*. **الزعفران**: بعد سحقه ومزجه بالماء يزين به تحت العين والوجنتين والذقن. يستعمل في المناسبات.

**2.الأزياء الرجالية**: من الأزياء الرجالية التي كانت رائجة في فترة الدراسة نذكر:

- **اللباس العام**:

⋆. **لَعْبَايَة**: هي ثوب مفصل من القماش الخفيف الذي كان يبيعه تجار بني أمحمد حيث كان هذا الثوب خاص بفصل الصيف، أما الشتاء فكان يفصل من القماش الذي تنسجه ربات البيوت من الصوف ثم يؤخذ إلى خياط القصر لتفصيله وخياطته[1]. لازالت لعباية اللباس الرسمي المحلي الذي لا يمكن التخلي عنه أو الاستغناء عنه بأي حال.

⋆. **الحَوَّاقْ**: هو عمامة من القماش الخفيف[2] إذا كان الموسم صيفا، ومن الصوف المنسوج محليا إذا كان الموسم شتاء، عادة ما يكون طوله ستة أذرع وعرضه ذراعين ونصف[3]. يلفه الرجل حول رأسه. يعتبر من اللباس الرسمي لسكان المنطقة الذي لا زال الرجل التواتي متمسكا به.

⋆. **الجرطالة**: سبق الإشارة إليها في الأزياء النسوية.

⋆. **السروال**: يفصل من قماش خفيف (خاص بفصل الصيف) يشترى من الأسواق المحلية التي كانت تقام موسميا، حيث يخصص له من خمسة إلى ستة أذرع حسب طول أو قصر قامة الرجل[4]. وقد كانت هذه السراويل فضفاضة فسميت في سبعينيات القرن العشرين بالسروال العريض بعد ظهور السروال الأجنبي(بُوطْوِيلْ) في المنطقة[5]. رغم ذلك لا يزال العديد من الرجال يرتدون هذا النوع من السراويل، كما لا يزال هناك خياطين يخيطونه لمن يرغب من رجال القصر.

---

*. أشرت إلى كيفية إعداده في ص 105وما بعدها.

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني(كان والده فقيها وخياطا يخيط البرانيس والجلابيات): مقابلة شخصية،ببيته بزقاف الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/27م.

[2]. الحاج التومي سعيدان: المرجع السابق، ص157.

[3]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة: المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

[5]. سيد البركة بن سيدي محمد بن مولاي امحمد طاهري: المقابلة السابقة.

• **.اللباس الخاص:**

⋆. **البرنوس:** يسمى محليا السَّلْهَامْ* يلبسه الرجل في فصل الشتاء[1]. يفصل من القماش المنسوج محليا بالصوف، حيث يحتاج لخياطته ستة أذرع من القماش زائد ذراعين للقلنسوة مع العلم أن لون البرنوس كان الأبيض فقط (لون الصوف)، عدا البرنوس الذي يرتديه العريس يوم الدخلة وطيلة الأيام التسعة أو السبعة التي تعقبها فكان باللون الأسود، وهذا النوع الأخير كان يشترى جاهزا. كما ينسج البرنوس من الوبر الذي كان يجلبه تجار حميان وقد اشتهرت بنسيج هذا النوع من البرانيس لالة عائشة بنت مولاي يوسف زوجة سيدي محمد بن مولاي علي الشريف[2].

لا يزال البرنوس يرتديه الرجل الأدغاغي في فصل الشتاء، كما لا يزال العرسان يبحثون عنه من مكان إلى آخر لارتدائه.

⋆. **الجلاّبية:** أو الجلاّبة (اسمان لمسمى واحد): لباس الرجل في فصل الشتاء أيضا، تفصل هي الأخرى من قماش الصوف المنسوج محليا حيث تحتاج إلى أربعة أذرع من القماش دون القطعة المخصصة لليدين والقطعة المخصصة للقلنسوة[3]. ويذكر الشيخ سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير[4] أن أباه الشيخ سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن سليماني* كان متضلعا في خياطة البرانيس والجلاّبيات لسكان القصر؛ حيث كان يقصده الزبائن من قصر أدغاغ ومن القصور المجاورة كأوقديم وبربع وأولاد أوشن وأولاد علي وغيرها بالقماش، ليقوم بالتفصيل والخياطة والتزيين أيضا يدويا وحسب رغبة الزبون.

وحسب رواية السيدة لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني أنه كان يوجد في قصر أدغاغ في القرن التاسع عشر خياط يدعى صالح فافا، وخياطة تدعى لالة فاطمة بنت مولاي القايم**، حيث كان أهل القصر يقصدانهما بالقماش لخياطة السراويل والأثواب مستعملان في ذلك الإبرة والخيط وغطاء للسبابة.

---

*. كلمة أمازيغية محرفة أصلها: أسلهام وهو البرنوس الأبيض أو الدقيق النسج، للمزيد ينظر: محمد شفيق: المصدر السابق، (ج1)، ص168.

1. الحاج التومي سعيدان: المرجع السابق، ص 157.

2. لالة فاطمة بنت سيدي محمد بن مولاي علي الشريف بن مولاي عبد الرحمن بن الشريف:المقابلة السابقة.

3. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

4. نفسها.

*. هو سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن سليماني، من مواليد 1880 م بقصر أدغاغ أين تزين ونشأ في كتاب القصر على يد والده العالم الجليل سيد الصافي فحفظ القرآن الكريم وتفقه في أمور دينه. للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: ص266.

**.هي من مواليد قصر أدغاغ من أم أدغاغية وأب من قصر سالي.

⋆. **أَفْسَاسْ:** هو قطعة قماش من الصوف الخفيف طولها ثمانية أذرع، يستعملها الأعيان فقط رداء لهم في المناسبات والأعياد (لباس صيفي) حيث تزين بقطعة قماش حمراء (سبنية) ذات خطوط خضراء تتدلى هذه القطعة من إحدى الكتفين[1]. ولازالت صورة جدي سيدي محمد* بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة رحمة الله عليه تتراءى أمام ناظري أواخر القرن العشرين وهو يرتدي أفساس كلما حلت مناسبة عيد أو استقبال أعيان الطريقة القادرية أحفاد سيدي أحمد بن موسى القادمين من كرزاز (بشار) في قصر أدغاغ، حيث كان جدي مقدم الطريقة القادرية.

⋆. **الكَسَا:** رداء شتوي طوله تسعة أذرع، ينسج محليا من الصوف ويزين بالقطن على شكل خطوط أو أشكال هندسية مبعثرة على مساحته كما تزين حاشيته السفلى بأهداب من الخيوط المتدلية[2].

• **الأحذية:**

⋆. **البَلْغَة:** حذاء للرجل يصنع محليا من الجلد الأحمر، أما المستورد فيكون أصفرا (بَلْغَة المغرب)، مُدَبب من الأمام وله لسان من جهة الخلف مطوي إلى الداخل(في موضع الكعب) يُمَكِّنُ مستعمله من تركه مطويا إذا شاء أو رفعه إذا أراد تحويل البلغة إلى حذاء[3].

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. أنظر ترجمة له في ص 267.

[2].لالة فاطمة بنت سيد الصالح سيد اعمر: المقابلة السابقة.

[3] .الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

## المبحث الثالث: خصائص المجتمع الأدغاغي:

### أولا: التكافل الاجتماعي وتجلياته:

يعيش المجتمع الواحد ضمن حدود جغرافية معينة، تحكمه ضوابط عرفية وشرعية تسير العلاقة بين الأفراد، سواء كانت علاقة قرابة أو علاقة إنسانية بغية تحقيق حياة اجتماعية كريمة يسودها التضامن، لذلك حث الإسلام على التكافل الاجتماعي وحرص على تطبيقه بشتى الطرق والوسائل وعلى مختلف الفئات الاجتماعية.

**1. مفهوم التكافل الاجتماعي:**

• **التعريف اللغوي:** التكافل لغة من مادة كَفَلَ والتي لها اشتقاقات كثيرة ومعاني متعددة، وهذا هو التعريف الذي يتماشى مع مفهوم التكافل الاجتماعي:

كَفَلَ يَكْفُلُ فهو كَافِلٌ والكافل الذي كفل إنسان يعوله ويُنْفِقُ عليه وهو العائل[1]، ومنه قوله تعالى: " وَكَفَلَ زَكَرِيَّاء"[2] أي ضَمِنَ القيام بأمرها[3] ومن هنا يقترب معنى التكافل من التضامن، وصيغة التفاعل في كل منهما تدل على المشاركة من الجانبين المتضامنين، أي لا يصح أن يكون الضمان والكفالة من جانب واحد[4].

•**.التعريف الاصطلاحي:** التكافل الاجتماعي أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم؛ سواء كانو أفرادا أو جماعات حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية؛ كرعاية اليتيم أو سلبية كتحريم الاحتكار؛ بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الاسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده[5].

لقد حثّ الإسلام على تحقيق التكافل الاجتماعي في الكثير من نصوص القرآن والسنة؛ فقد وردت آيات كثيرة تدعوا إلى التآخي والتعاون والتناصر والتكافل ومد يد العون والمساعدة للمحتاج[6] منها:

- قوله تعالى: "إنما المومنون إخوة"[7].
- قوله تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[8].
- قوله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض"[9].

---

[1]. ابن منظور: المصدر السابق، ( ج11)، ص. ص 500 – 501.

[2]. الآية 37 من سورة آل عمران.

[3]. ابن منظور: المصدر السابق، (ج11،)،ص 590

[4]. محمد بن أحمد الصالح:التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية،( ط2)،العبيكات، الرياض: 1993، ص 14.

[5]. عبد الله ناصح علوان: التكافل الاجتماعي في الاسلام، دار السلام، ص 8.

[6]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق، ص 10.

[7]. الآية 10 من سورة الحجرات.

[8]. الآية 02 من سورة المائدة.

[9]. الآية 71 من سورة التوبة.

ومن الأحاديث:

- قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، وشبَّك بين أصابعه"[1].
- قوله صلى الله عليه وسلم:" فَوَ الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

والمتأمل في هاته الآيات والأحاديث وغيرها يجدها تدعو إلى العطف على الفقير ورعاية اليتيم ومساعدة المحتاج ومعاونة العاجز والوقوف بجانب الضعيف، مما يؤدي إلى افساد روح التعاون والتضامن والتكاتف بين أفراد المجتمع، وهو ما يعرف حديثا بالتكافل الاجتماعي[3]. و لتحقيق التكافل الاجتماعي سلك الإسلام طرقا عديدة نذكر منها على سبيل الاستشهاد: الزكاة، زكاة الفطر، النفقات على الأقارب، احياء الموات، الجزية، الخراج، العشور، الوقف، الكفارات، النُّذور، الأضاحي، صدقة التطوع[4] وغيرها.

وما نلاحظه على مظاهر وصور التكافل الاجتماعي أنها تتغير من مجتمع إلى آخر فحاجة الفرد والمجتمع لصورة من صور التكافل والتضامن في القرن الثامن عشر مثلا

ليست كحاجته في القرن العشرين، كما أن مظاهر الحياة الاجتماعية ومعطياتها في قرن ماضي لم تبق كما هي عليه في زمن متقدم في العديد من الجوانب؛ سواء السلبية منها أو الإيجابية، وذلك تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للفرد أو المجتمع.

يعتبر المجتمع التواتي من أفضل المجتمعات الجزائرية من حيث متانة العلاقات العامة التي كان يسودها الود والتراحم والعطف والتآخي. وهذا أمر استوحاه أهل توات من دينهم الإسلامي، الذي يحث على الصدق في التعامل والمحبة والصفاء للمسلمين، ولم يكن الأجنبي في توات يلقى أدنى شيء من الضيق أو الحرج، لانهم كانوا بحكم سليقة طباعهم كرماء أوفياء؛ وبسبب قناعتهم الفكرية استطاعو العيش بأمن وسلام وذلك مع إختلاف أجناسهم وافتراق طباعهم.

لقد اهتم أهل توات بزيارة الأقارب ومراعاة حقوقهم والنظر لأحوالهم والاجتهاد في طلباتهم؛ وكانت اللقاءات بينهم متواصلة بهدف تزكية الروابط وتنقية أجواء علاقتهم وزرع الخير والمحبة فيما بينهم[5].

---

[1]. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: المصدر السابق، (ج8)، ص14.

[2]. المصدر نفسه: (ج1)، ص10.

[3]. محمد بن أحمد الصالح: التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، (ط2)، 1993، ص. ص 10-11.

[4].عبد العال أحمد عبد العال: التكافل الاجتماعي في الإسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر: 1997، ص 113.

[5].عبد الحميد بكري:النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ، دار الهدى، عين ميلة: 2005، ص 22.

## 2. تجليات التكافل من خلال تطبيق أحكام شرعية:

وإذا ما توغلنا في أعماق المجتمع الأدغاغي في فترة الدراسة، نجد العديد من مظاهر التضامن والتكافل، التي ضمنت حياة كريمة لأفراد المجتمع رغم بساطتها وتقارب المستوى المعيشي للسكان؛ ومن هذه المظاهر يتجلى لنا:

- **التكافل من خلال الميراث و الوصية:**

***. التكافل من خلال الميراث:**

جعل الإسلام الميراث في الأسرة وهي تمتد امتدادا بعيدا، فليست مقصورة على الأبوين والأولاد، بل تشمل كل من يلتقون مع الشخص بالقرابة ولو في أبعد الأجداد والجدات وذلك من قبيل التكافل الاجتماعي داخل الأسرة وإن كان بعضهم أولى من بعض، بغرض المحافظة على كيانها باعتبارها اللبنة التي يبنى منها المجتمع[1].

إن نظام التوريث يمثل نوعا من أنواع التكافل الاجتماعي داخل الأسرة، حيث يتم توزيع أنصبة الورثة بطريقة ربانية حكيمة؛ تؤمن عدالة التوزيع تبعا للحاجة والقدرة والقربى في وقت واحد[2]. فيقول الله تبارك وتعالى:" يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس ممت ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما[3]".

إن هذا النظام عادل متناسق مع الفطرة ومع واقع الحياة يراعي معنى التكافل العائلي كاملا، ويوزع الأنصبة على قدر ما يستحقه كل فرد في الأسرة،فلا يحرم امرأة ولا صغيرا[4].

لقد حرص الإسلام على هذا محافظة على جميع أفراد الأسرة، حتى لا تجتمع الثروة في يد أحدهم ويضيع الآخرون؛ وبالتالي تنتشر العداوة والبغضاء بين أفرادها وبذلك تسوء حالة المجتمع وتنحل روابطه، أما إذا لم يحرم أحد من ميراثه – كما جاء به الإسلام – وعلم كل واحد منهم أن له جزء من المال يحوزه عند الوفاة، فإنه تقوى رابطته بغيره من أسرته، وتتوثق الصلة بينه وبين جميع أفرادها فيصلح المجتمع كله وتسوده المحبة والمودة والوئام[5].

---

[1]. محمد أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، (طبعة جديدة) دار الفكر العربي، القاهرة: 1991 م، ص. ص 56-57.

[2]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق، ص 143.

[3]. الآية 11 من سورة النساء، للمزيد حول آيات المواريث ينظر: الآية 12 من سورة النساء، الآية 176 من سورة النساء، الآية 08 من سورة النساء، الآية 180 من سورة البقرة.

[4]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق ، ص 145.

[5]. نفسه، ص 146.

فنظام الميراث يعتبر بحق وسيلة متجددة في إعادة التنظيم الاقتصادي في الجماعة ورده إلى الاعتدال؛ وتحقيق التكافل الاجتماعي الذي يوفر قسطا من العدالة والمؤاخاة بين الناس، ويوجد نوعا من الترابط والتلاحم والتراحم بين أفراد الجماعة[1].

لقد حرص المجتمع الأدغاغي كغيره من المجتمعات الإسلامية على توزيع التركة بين مستحقيها ذكورا وإناثا حسب درجة القرابة ووفقا لما أقرته الشريعة الإسلامية، إلا من تصرف في ملكه قبل وفاته وجعل نصيب البنت من العقار ( البساتين والدور) وقفا عليها مادامت حية, أما بعد مماتها فيعود لإخوتها الذكور وهذا منعا لانتقال أموال العائلة إلى الغريب (زوج البنت وعقبها)، وربما باعت نصيبها لآخر نظرا لعدم مقدرتها على خدمة البستان مما يسبب حرجا لإخوتها في دخول غريب بينهم، فتفاديا لذلك جرى عرف بعض أصحاب الأملاك من سكان قصر أدغاغ على توزيع تركته في حياته وتوثيق ذلك في وصية وبحضور عدد من الشهود*.

وقد جرى عرف سكان قصر أدغاغ أنه بعد دفن الميت والقيام بواجب العزاء يتم تقييد وتقويم تركة** المتوفى الذي لم يترك وصية؛ من عقارات منقولة كالماء (ماء السقي في البساتين) وغير منقولة كالدور والبساتين ومن أثاث وحلي. ليتم بعدها تحديد الورثة ثم توزيع التركة عليهم حسب شرع الله***.

***. التكافل من خلال الوصية:**

الوصية لغة: من وَصِيَ فيقال أَوْصَى الرجل وَوَصَّاهُ أي عَهِدَ إِلَيْهِ، والوَصِيَّةُ: ما أَوْصَيْتَ به، وسُمِّيَتْ وَصِيَّة لِاتِّصَالِهَا بِأَمْرِ الميِّتِ[2].

أما إصطلاحا: فهي "عَقْد يُوجِب حَقّاً في ثلث عَاقِدِهِ يَلْزَمُ بِمَوتِهِ أَوْ نِيَابَةً عَنْهُ بعدَه"[3].

فالوصية هي تصرف في التركة مضاف إلى ما بعد الموت، وذلك أن الإنسان قد يفرّط في أعمال البر في الماضي أو يقصر في ذلك فيرغب في أن يتدارك ما فاته ويتلافى ما قصر فيه. وقد يريد أن يكافئ من أسدى إليه في حياته معروفا أو قدّم إليه فيها جميلا. أو يريد مساعدة أقاربه من غير الوارثين ممن تبدو عليهم الفاقة والحاجة مبتغيا بهذا الصنيع رفع الدرجات ومضاعفة الحسنات[4] والعمل بالوصية ثابت بالكتاب والسنة و الإجماع فقد قال الله تعالى في آية المواريث:" ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما

---

[1]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق ، ص 147.

*. أنظر الملحق رقم 25 ص418.

**. انظر الملحق رقم 26 ص419.

***. أنظر الملحق رقم 25 ص418، والملحق رقم26ص419.

[2]. ابن منظور، المصدر السابق، (ج15)، ص 394.

[3]. أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع، شرح حدود ابن عرفة (الهداية الكفاية الشافية لبيان حقائق الامام ابن عرفة الوافية)، تحقيق محمد أبو الاجفان والطاهر المعموري، (ج1) ( ط1، ) ، دار الغرب الاسلامي، 1993، ص 681.

[4]. محمد بن أحمد الصالح، المرجع السابق، ص 147.

تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلكم الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين، وإن كان رجل يورث كلالة أو إمرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم"[1].

وقال أيضا:" يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو ءاخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض"[2].

يتضح من خلال الآية الأولى أن الله سبحانه لما شرع الميراث جعله مرتبا على الوصية فدل على أن الوصية أمر مشروع، ولا سيما أن الله تبارك وتعالى كرر لفظ الوصية ثلاث مرات في آية واحدة، كما أنه قد ورد لفظ الوصية في الآية الثانية فدل على تأكيد الوصية والترغيب فيها[3]. أما الدليل من السنة فقد ورد في صحيح البخاري :"حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال يرحم الله ابن عفراء قلت يا رسول الله أوصي بمالي كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت الثلث قال فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم..."[4].

وورد أيضا في شأن كتابة الوصية: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما حق أمرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"[5].

لقد شرع الله تبارك وتعالى الوصية لتلافي بعض الحالات التي يحجب فيها بعض الورثة بعضا. وقد يكون المحجوبون معوزين أو تكون هناك مصلحة اجتماعية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة، وإزالة أسباب الحسد والحقد والنزاع على أن هناك قيودا على الوصية فلا تكون للوارث. ولا يكون فيما زاد على الثلث وفي هذا ضمان ألا يجحف المورث بالورثة في الوصية[6].

شريعة الله في الوصية كما في الميراث تقوم على قاعدة التكافل؛ ذلك أن الميراث لا يستوعب كل الأقارب، فجاء دور الوصية لتحقيق التكافل لكل من لم يثبت لهم حق الإرث، لأن التكافل في محيط الأسرة سواء

---

[1]. الآية 12 من سورة النساء.

[2]. الآية 106 من سورة المائدة.

[3]. محمد احمد الصالح: المرجع السابق، ص 152.

[4]. أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيّ: المصدر السابق، (ج4)، ص 3.

[5]. نفسه، ص 2.

[6]. نفسه، ص 151.

بمعناها المحدود أو بمعناها الشامل يخلق مشاعر لطيفة رحيمة، تنمو حولها فضائل التعاون والتجاوب نموا طبيعيا يحقق التآلف والتراحم[1].

أما المجتمع الأدغاغي فقد حرص كل الحرص على تنفيذ شرع الله تعالى في الوصية دون إجحاف ولا تقصير؛ حرصه على مساعدة أولي القربى من غير الورثة تحقيقا للتكافل الاجتماعي في محيط الأسرة أو خارجها، فقد يكون الموصى له من الأقارب الذين لا يرثون مع وجود الأصول والفروع أو العصبة كما توضحه الوثيقة* التي عثرت عليها بخزانة أدغاغ والتي تعود إلى تاريخ أواخر ذي الحجة من عام ألف وثلاث مائة وإثنا عشر للهجرة (1312هـ) الموافق لجوان 1895 للميلاد حيث أوصى السيد مولاي عبد السلام بن مولاي أحمد بالثلث من تركته لحفيده وحفيدته و كذلك للمسجد وللسيد الطالب (مدرس القرآن باللهجة المحلية) محمد بن صبرو.

- **التكافل من خلال الوقف والعمرى:**

***. التكافل من خلال الوقف:**

الوقف في اللغة الحبس[2]. فيقال وقَفَ الأرض على المساكين، وفي الصحاح للمساكين، وَقْفاً: حَبِسَها[3]. فالحبس يطلق على ما وُقف ويطلق على المصدر وهو الإعطاء[4].

أما اصطلاحا فهو: " إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا"[5].

والملاحظ في هذا التعريف أن الوقف يقتصر على إعطاء منفعة شيء ما لخدمة مصلحة إنسانية اجتماعية، مادام ذلك الشيء على قيد الوجود، كما نلاحظ فيه أن الملكية تبقى لصاحب الشيء الموقوف، ولا يمكن بيعه ولا هبته ولا إرثه[6].

الأصل في مشروعية الوقف قوله تعالى: "لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقوا ممّا تحبون"[7] وقوله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

الوقف مندوب، وأركانه أربعة هي: الواقف، الموقوف، الموقوف عليه والصيغة[8].

---

[1]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق، ص 150.

*. أنظر الوثيقة: الملحق رقم25 ص415.

[2]. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 2004، ص 212.

[3]. ابن منظور: المصدر السابق، (ج9)،ص 359.

[4]. أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع: المصدر السابق، ص 539.

[5]. نفسه، ص 539.

[6]. محمد دباغ: إسهام الزوايا في التكافل الاجتماعي، جمعية الأبحاث التاريخية: الملتقى الوطني الاول للزوايا، 1، 2، 3 ماي 2000، أدرار، أدرار، ص 6.

[7]. الآية 91، من سورة آل عمران.

[8]. عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي: سراج السالك في شرح أسهل المسالك، (ج2)، (ط1)، دارمادر، بيروت، 1994، ص 450. 450.

والوقف نوعان:

وقف أهلي: وهو ما كان على الأولاد والأقارب يقصد منه حفظ ذرية الواقف وأقاربه من الفقر والفاقة.

وقف خيري: وهو ما كان على جهات البر المتنوعة أو جهة منها منذ بدئه، لقد ظلت الأوقاف الخيرية تحقق المصالح العامة وتقوم بالخدمات الاجتماعية لأبناء المسلمين بحيث تسد الحاجة وتحفظ الكرامة في الوقت نفسه[1].

وما يمكن أن نستنتجه أن للوقف دور في تحقيق التكافل الاجتماعي؛ باعتباره عملا خيريا يعود على من وقف عليهم؛ وهو بذلك يساهم بقسط وافر في القضاء على مشكلة الفقر أو منها[2].

أما في قصر أدغاغ فتتجلى ظاهرة الوقف بقوة لتبين إحدى مظاهر التكافل الاجتماعي التي قصد فاعلوها وجه الله تعالى؛ كما تدل على رعاية أفراد المجتمع لبعضه البعض. فأوقف الكثير من المالكين أملاكهم على إخوانهم وذراريهم حفاظا على حقوقهم من الضياع*.

لقد أوقف عددا من المحسنين من سكان القصر وعلى فترات مختلفة عددا من البساتين على المسجد ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته؛ من بين هؤلاء الواقفين ابن الشيخ حجُّو مؤسس القصر الذي أوقف بستانا له على مسجد قصر أدغاغ ومولاي أحمد بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي علي الأدغاغي الذي أوقف هو الآخر بستانا له يطلق عليه جنان ماسيني؛ وكذلك السيد لكبير بن البركة بن صالح الأدغاغي حبس بستانه المسمى جنان بلكبير والسيد مولاي الحسان حبس هو الآخر بساتينا له على الجامع[3]. وكذلك السيد الحاج امحمد المنيعي أصلا الأدغاغي منشئا ودارا أوقف بستانا له على المسجد العتيق بأدغاغ وكان ذلك سنة 1371هـ/1951م حسب ما توضحه إحدى الوثائق التي عثرت عليها بخزانة أدغاغ.

أطلق على هذه الأوقاف المتمثلة في البساتين بجنان الجامع ولازالت؛ وقد كانت تؤجر للخماسين الذين يدفعون أجرتها للإمام؛ حيث أن هذا الأخير ما كان ليحصل على أجرة لولا هذه الأوقاف. كما كان بإمكانه الاحتفاظ ببستان أو أكثر حسب استطاعته ورغبته[4]. بالإضافة إلى البساتين كان هناك دارين حبستا على المسجد المسجد أيضا يستعملهما الإمام وإن استغنى عنهما أو عن إحداهما تؤجر ويدفع له الإيجار[5].

---

[1]. عبد العال أحمد عبد العال: المرجع السابق، ص 142.

[2]. محمد دباغ: المرجع السابق، ص 8.

*. انظر الملحق رقم 26 ص419.

[3]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: التقييد السابق، خزانة أدغاغ.

[4]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة سخصية، ببيته بزقاق الشهود بقصر أدغاغ، يوم 2014/07/18م.

[5]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي الأدغاغي: التقييد السابق، خزانة أدغاغ.

كما أوقف السيد حمو بن عبد الله بن عبد الحي في القرن العشرين بستانين له على الكُتَّابْ (لَمْحَضْرَة باللهجة المحلية) بستانا خصص للمدرس (الطّالب حسب اللهجة المحلية) وبستانا خصص للتلاميذ الذين يدرسون بهذا الكتاب؛ وقد كان يعرف هذا الأخير بِجْنَان مانْيُوه (ماي) ذلك أن الواقف اشترط أن يستعمل الطّالب هذا الوقف لشخصه مع توزيع التمر على تلاميذ الكتاب كل أربعاء من شهر مانيوه(ماي)؛ والسبب في ذلك أنه في شهر مانيوه (ماي) تقل الغلة وينتشر الجوع وتفاديا لهذا أوقف غلة هذا البستان من التمر على تلاميذ الكتاب توزع عليهم في هذا الشهر[1].

ويتداول في قصر أدغاغ أن هذا الواقف أوقف هذين البستانين على الكُتَّابْ والسبب في ذلك أنه لم يعقب ولكن شاء القدر بعد ذلك أن يكون له عقبا فقرر استرجاع أملاكه لكن أهل الحل والعقد رفضوا ذلك بحجة أن الوقف كان صحيحا مكتمل الأركان والشروط فلا يجوز استرجاعه لأي سبب من الأسباب[2].

بالإضافة إلى هذا فقد أوقف أحد المحسنين (غير معروف) بستانا له على مؤذن المسجد وهو معروف بجنان المؤذّن[3].

وقد أحصت مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية أدرار في ق 20 ستة بساتين ومسكنين وقفوا على المسجد العتيق بقصر أدغاغ وبستانا ومسكنا وقفا على المسجد الواقع بمنطقة عرف بالحاج.

كما أن هناك من المحسنين من سكان القصر من أوقف ماء له في فقارة ما لخدمة سكان القصر، ففي القرن الثامن عشر أوقف سيدي مولاي الطيب بن مولاي عبد الرحمن جد الولي الصالح سيدي مولاي علي الشريف عددا من مواجل الماء في فقارة مكناس على سكان القصر يردنوها للشرب، وعددا من مواجل الماء من فقارة ماسيني يَرِدُها السكان للشرب أيضا كل واحد يتخذ المورد الأقرب إلى منزله، بالإضافة إلى هذا فقد حبس عددا من مواجل الماء من فقارة ماسيني في ساقية فم القصر على تغسيل الموتى من سكان القصر، فغدا كل سكان القصر إلى غاية سبعينيات القرن العشرين يردون هذا الماء دون غيره لتغسيل موتاهم. و نفس الأمر قام به حفيده سيدي مولاي علي الشريف بن مولاي الصديق بن مولاي الطيب بن مولاي عبد الرحمن في القرن 19 م ، وقيل أن الغرض من تخصيصه مواجل ماء في ساقية فم القصر دون سواها لتغسيل الموتى حتى يعلم كل من رأى المرأتين المكلفتين بجلب ماء الغسل أن هناك جنازة فيتجه للصلاة[4].

وفي مطلع القرن العشرين أوقف السيد كابوية الحاج أحمد عددا من مواجل الماء من فقارة ماسيني في ساقية فم القصر في سبيل الله على من يرد الساقية من إنسان أو طير أو بهيمة[5]. ونفس الأمر قام به الحاج علال

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. أحمد بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: المقابلة السابقة.

[4]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: التقييد السابق، خزانة أدغاغ.

[5]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

بن محمد عبوبي حين أوقف ماجلين ماء في فقارة ماسيني في ساقية فم القصر على من يردها من سكان القصر؛ وهذا بعد أن سمع شكوى بعض مالكي الماء في الفقارة المذكورة من نقص الماء في بساتينهم نظرا لاستغلاله للشرب؛ فعمد إلى شراء ماجلين ماء من فقارة ماسيني وأضافهما إلى المياه المحبسة في ساقية فم القصر على الشرب تفاديا لمنع السكان عن مورد سقيهم[1].

كما الرجال قامت عدد من النسوة بوقف بعض أملاكهن في سبل الخير، فقد أوقفت لالة فاطمة بنت مولاي علي بن سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن بستانا لها وهو البستان المعروف "بجنان أَبَّى" على الفقراء والمساكين من سكان القصر؛ توجه غلّته للتكفل بإطعامهم لتجنيبهم السؤال ودفعا للحرج عنهم، ونفس الحذو حذته ابنتها لالة عائشة بنت سيدي محمد بن سيدي امحمد الطالب بن مولاي عبد الله المعروفة بلالة عائشة باسيدي والتي كانت تتكفل برعاية الأيتام والفقراء والمحتاجين من حر مالها؛ حيث يروى عنها أنها ربّت ورعت عددا من الأيتام بناتا وأولادا حتى كبروا ثم قامت بتزويجهم وعلى نفقتها الخاصة أيضا، كما أنها تعهدت بعدد من المحتاجين والفقراء تقدم لهم وجبة العشاء كل ليلة وحتى أنها أوقفت قبل مماتها أربع مواجل ماء من فقارة ضاهر على الفقراء واليتامى حيث يخرج مستأجر الماء مقدار قصعة ونصف زرع بدل الإيجار كل سنة توزع على الفئة المذكورة[2].

إضافة إلى هذه الأوقاف هناك أوقاف على الضيف والذي تختص به أرض توات دون سواها؛ ويسمى هذا الضيف في قصر أدغاغ ضيف الجامع، و حسب الباحث المحلي السيد سليماني علي بن سيدي محمد الأدغاغي[3] فإن أصل هذا المصطلح يعود إلى القرن السابع عشر على الأرجح وقصة ذلك أن جامع القصر الذي كان يتواجد بمدخل القصر كان يحيط به مِصْطَبَات (دَكَّانات باللهجة المحلية)، أعدت للاستراحة و المسامرة، وقد جرت العادة أن الضيف القادم إلى القصر يتخذها مجلسا له بعد صلاة المغرب وهو الوقت المخصص للوصي على مخزن ضيف الجامع (دار الزاوية) ليتحرى عن الضيوف الوافدين إلى القصر وعن عددهم حتى يصرف لهم مؤونتهم التي يقدمها إلى صاحب النّوبة ليُعِدّ لهم وجبة العشاء.

جرى العرف في قصر أدغاغ وحتى في عموم توات أن أيام الأسبوع توزع على سبعة من أعيان البلد، كل عائلة يخصص لها يوما من أيام الأسبوع تقوم فيه بضيافة ضيف الجامع على أن تكون النفقة من دار الزاوية (زاوية الإطعام)؛ هاته الأخيرة عبارة عن بيت خصص لاستقبال الضيوف والمسافرين؛ يوجد بها مرافق للنوم

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني: التقييد السابق، والحاجة الزهرة بن عمراني، زوجة الحاج علال عبوبي، مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصبة تامثرت بقصر أدغاغ، يوم 2015/02/14 م.

[2]. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة زوجة المرحوم سيدي محمد بن سيد العربي (من اليتامى الذين تكفلت بهم لالة عائشة باسيدي): مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ يوم 2015/02/16 م.

[3]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي الأدغاغي: مقابلة سخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/02/01.

ومراحض وإصطبلات للدّواب ومخزنا للمؤونة أعد لحفظ غلة البساتين الموقوفة على دار الزاوية من تمر وزرع وتبن وعلف للدواب[1].

بعد أن يتحرى الوصي عن عدد الضيوف يصرف لهم مؤونتهم من تمر وزرع وعلف للدواب ويقدمها لصاحب النوبة لإكرام الضيف. أما عن أصحاب النوبة الذين كانوا معروفين أواخر القرن التاسع عشر والذين ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم ذكرلنا السيد علي بن سيدي محمد الأدغاغي: أولاد سيدي معروف (الطيبي حاليا)، أولاد كروم (حمّاوي حاليا)، القايد عبد القادر (حماوي حاليا)، ابا صالح بلكبير (كبير حاليا)، سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي (سليماني حاليا)، مولاي امحمد بن مولاي الطاهر (طاهري حاليا) ومولاي امحمد بن مولاي الحسان (بن دريس حاليا) هذا الأخير انتقل أواخر حياته إلى السكنى بقصر بربع وكان يملك بساتين كثيرة لدرجة أنه خصص مخزنا خاصا به يصرف منه مؤونة نوبته التي كانت يوم الأربعاء، كما عهدا الى عبيده أن يوزعوا التمر على المحتاجين والمساكين من سكان القصر؛ بل قيل من أراد الحصول على نصيب يأخذه نساء ورجالا وأطفال وذلك في شهر مانيوه (ماي) أين تقل الغلة من البساتين خاصة أن سكان القصر كانوا يعتمدون في معيشتهم على الزراعة المحلية فقط[2].

لقد كان مولاي امحمد بن مولاي الحسان من غير عقب فحبس جميع بساتينه على ضيف الجامع وفي سبيل الله؛ وعهد إلى عبده صبرو وأولاده بالنظر في شؤون هذه الأوقاف وصرفها في وجهها الذي أوقفت له[*].

وعندما تغيرت الأحوال (سبعينيات القرن العشرين) ولم يعد هناك من ضيف للجامع اتفقت جماعة البلاد على تهديم دار الزاوية و إضافة مقرها إلى الجامع العتيق لتوسعته كما ضمت أوقاف دار الزاوية إلى أوقاف المسجد، إلا أن أوقاف ضيف الجامع الخاصة بمولاي امحمد بن مولاي الحسان الأدغاغي فقد عهد بها إلى من يهتم بها على أن لا يمنع إنسان من الحصول على شيء من الغلة فمن أراد أن يأخذ من غلة البستان فليأخذ دون منع أو تحديد[3].

***. التكافل من خلال العُمْرَى:**

لغة: مصدر مأخوذة من العُمُر، والعُمْرَى ما تجعله للرجل طول عمرك أو عمره[4].

أما إصطلاحا: فالعمرى هي " تمليكُ منفعة حياة المعطى بغير عوض إنشاء" كأن يقال: اَسْكَنْتكَ هذه الدار عُمُرُك[5]. أي يسكنها مدة عمرة من غير أجرة فإذا مات المعطى عادت للمعطي أو لورثته.

---

[1]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي الأدغاغي: المقابلة السابقة.

[2]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي الأدغاغي: المقابلة السابقة.

[*]. هذا ما توضحه وثيقة حكم قضائي بشأن الاهمال الذي تعرضت له الأملاك الوقفية المذكورة.

[3]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[4]. ابن منظور: المصدر السابق (ج4): ص 603.

[5]. أبو عبد الله محمد الانصاري الرصاع: المصدر السابق، ص ص 550-551.

ورد عن العمرى في صحيح البخاري: حدثنا أبو نُعَيْم حدثنا شيبان عن يحي عن أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه قال: " قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرى، أنها لمن وهبت له"[1].

وأيضا في نفس الباب: حدّثنا حفص بن عمر حدثنا همام حدثنا قتادة قال: "حدّثني النّضْرُ بن أنس عن بشير بن نَهِيك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العمرى جائزة"[2].

فالعمرى نوعا من أنواع التكافل الاجتماعي المؤقت إن صح التعبير، باعتبار أن الأشياء المعمرة هي هبة مدة عمر الموهوب له، أو الواهب بشرط الاسترداد عند وفاة الموهوب له[3].

ومن أمثلة ذلك في قصر أدغاغ ما اعتمره سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة بن سيدي عبد الرحمن بتاريخ أواخر ذي الحجة من عام الف ومائتين وإثنان وثمانين للهجرة الموافق لشهر ماي من عام 1866 للميلاد على ابنته فاطمة الزهراء وعلى من يولد له من الأولاد إن قدّر الله له ذلك وعلى أعقابهم الذكور ما تناسلوا. وقد حاز أبناء المذكور ما أعمر عليهم من أملاك بعد بلوغهم مبلغ القبض حسب ما توضحه الوثيقة المخطوطة* التي عثرت عليها بخزانة أدغاغ.

ومن أمثلة ذلك أيضا الوثيقة التي عثرت عليها بنفس الخزانة والتي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر (فبراير 1887م) الموافق لجمادى الأولى من عام 1403 هـ، حيث أعمر السيد الحاج إبراهيم بن الشيخ محمد بن الحاج الحسن الأدغاغي جميع ممتلكاته غير ما استثناه من مواجل ماء وبيوت وزرائب حيوانات ومراحض عمومية على ولده جلول وابنيه محمد و عبد الرحمن ومن سيولد له من الأولاد إن قدر الله له ذلك يقسمون هذه الأملاك بينهم (الأب وأولاده) بالتساوي لا فضل للأب على أولاده، أما البنات فلهن المعيشة والمسكن والملبس إلى أن يتزوجن فيقطع ذلك وتستمر هذه العمرى ما تناسل الأحفاد – من غير البنات – مع اشتراطه عدم دخول الفرع مع الأصل والمقصود؛ به لا يدخل الابن مع وجود الأب – إلا المعمر عليه الأول ابنه جلول وأولاده – أما من مات وقد خلف وريثا له فهذا الأخير ينزل منزلة أبيه، وقد استثنى المعمر ثلث الغلة يعيش منها فإن مات تعمر على أبنائه حسب الوصف المذكور سابقا مع العلم أن المعمر قد حاز هذه الأملاك لكون المعمر عليه لم يثبت رشده وأولاده ما زالوا صغارا.

وقد حاز المعمر عليه ابَّ جلول (عبد الجليل) ما عمر عليه وعلى ابنائه حسب الوثيقة التي عثرت عليها بنفس الخزانة المذكورة والتي تعود إلى أوائل القرن العشرين (15 جوان 1923 م) الموافق لأواسط ذي القعدة من

[1]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: المصدر السابق، (ج3)، ص 216.

[2]. نفسه، ص 216.

[3]. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: المرجع السابق، ص 132.

*. أنظر الملحق رقم 26 ص419.

عام ألف وثلاثمائة وواحد وأربعين للهجرة، حيث حاز المعمر عليه ما أعمر عليه بعد مرض أبيه (المعمّر) مرضا ألزمه الفراش وأعجزه جسديا وعقليا.

- **التكافل من خلال الزكاة:**

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادة وإقامة الصلاة، ورد في صحيح البخاري:" حدثنا عبيد بن موسى" قال: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[1]. وهي طهارة لنفس مخرجها من الشح، قال تعالى:"وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ"[2]. ومن الحقد والحسد، وطهارة للمال نفسه، مما قد يكون علق به كسبا أو نماء. ثم هي نماء للمال، قال تعالى:" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه"[3]. ثم بما يتحقق للمال من تداول بدلا من الاكتناز، قال تعالى:" كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"[4].

كما أن الزكاة تعتبر نماء لخلق المجتمع كله بما يقوم بين أفراده من تعاون وتكافل وتلاحم، وقد كانت كلمات القرآن معبرة عن ذلك كله شارحة حكمة الزكاة[5]:" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"[6].

فالزكاة **لغة** هي الزيادة والنمو يقال زكا الزرع إذا نما وزاد، أي في انباته وحسن وطاب. وسميت صدقة المال زكاة وإن كانت تنقص المال الذي أخرجت منه لأنها تعود بالبركة فيه ولأن صاحبها يزكو عند الله تعالى بسب امتثال أمره واجتناب نهيه[7].

و**شرعا** هي تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصوصة وهذا معناه: أن الذين يملكون نصاب الزكاة يفترض عليهم أن يعطوا الفقراء ومن على شاكلتهم من مستحقي الزكاة قدرا معينا من أموالهم بطريق التمليك[8].

فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة[9] ودليل فرضيتها قول الله تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"[10]، الزكاة"[10]، أما من السنة فكثير منها ما ورد في صحيح البخاري: " حدّثنا أبو عصام الضحاك بن مَخْلَد عن زكرياء

---

[1]. أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيّ: المصدر السابق، (ج1)، ص 9.

[2]. الآية 128، سورة النساء.

[3]. الآية 39 من سورة سبأ.

[4]. الآية 7 من سورة الحشر.

[5]. محمد بن أحمد الصالح: المرجع السابق، ص 74.

[6]. سورة التوبة، الآية 103.

[7].عثمان بن حسنين بري الجاعلي المالكي: المرجع السابق، ص 191.

[8]. عبد الرحمن الجزيري: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ص 950.

[9]. عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، ص 590.

[10]. الآية 110 من سورة البقرة.

بن اسحاق عن يحي بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال أُدْعُهُم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإنهم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"[1].

⋆. **زكاة الفِطْرَة:** وتسمى أيضا زكاة الأبدان لتعلقها بالأبدان دون الأحوال. وتسمى زكاة الفطر لوجوبها بفطر رمضان، وقدرها صاع* عن كل نفس[2]، وقد فرضت في السنة الثانية للهجرة.

**حكمها** الوجوب، أما دليلها من السنة فقد ورد في صحيح البخاري: حدثنا يحي بن محمد بن جَهْضَم حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأَمَرَ بها أنْ تُؤَدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة"[3]

تجب زكاة الفطر على المكلف من غالب قوت أهل البلد وهو تسعة أصناف (القمح، الشعير، السلت، الذرة، الدخن، الأرز، التمر، الزبيب، الأقط)؛ تعطى للفقير المسلم الحر ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا، يندب إخراجها بعد الفجر وقبل صلاة العيد ويحرم تأخيرها إلى غروب الشمس من يوم العيد لأن الحكمة من مشروعيتها إغناء الفقراء عن ذل السؤال في يومه إذ هو يوم ضيافة الله تعالى لعباده المؤمنين، ويجوز دفعها للفقراء قبل العيد بيوم أو يومين، كما يجوز إخراج قيمتها عينا[4].

جرى العرف في قصر أدغاغ أن يخرج السكان زكاة الفطرة (الفَطْرَاتْ باللهجة المحلية) صبيحة يوم العيد قبل الصلاة؛ توزع على الفقراء والمساكين والمحتاجين، أما الأصناف التي كانت تخرج منها زكاة الفِطْرَة فهي التمر والزرع (القمح والشعير)[5]. وقد كان هذا الوضع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى سبعينيات القرن العشرين**.

---

[1]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيّ: المصدر السابق، (ج2)، ص 130.

*.الصاع هو أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم.

[2]. عثمان بن حسين بري الجاعلي المالكي: المرجع السابق، (ج1)، ص 208.

[3]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيّ: المصدر السابق، (ج2)، ص 160.

[4]. عثمان بن حسين بري الجاعلي المالكي: المرجع السابق، (ج1 )، ص 209.

[5].الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

** . وفي الثمانيات تغير الحال عندما وفرت الدولة مادتي السميد والفرينة اللتان عوضتا مادة القمح المحلي وأصبحتا من الأصناف التي تخرج منها زكاة الفطرة اضافة إلى التمر.

*. **الأضحية**: هي إسم لما يذبح أو ينحر من النعم تقربا إلى الله تعالى في أيام النحر. شرعت في السنة الثانية من الهجرة كالعيدين وزكاة المال وزكاة الفطر، وثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والإجماع[1]، قال تعالى: "فَصَلِّ لربك و انحر"[2]. وروى البخاري فقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد الوهاب عن أيوب عن أبي قِلابَة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْكَفَأَ إلى كبشين أقرنين أملحين فذبحهما بيده..."[3].

لقد أجمع المسلمون على مشروعيتها وهي سنة مؤكدة في حق الحر المسلم ولو صغيرا أو مجنونا، سميت بالأضحية للتقرب بها في عيد الأضحى وقت الضحى[4].

يشترط لصحتها أربعة شروط هي السن والسلامة من العيوب والنهار وفعلها بعد ذبح الإمام في اليوم الأول بعد صلاته وخطبته وبعد الخطبة في حق الإمام[5].

اتباعا لهذه السنه الحميدة جرى العرف لدى سكان قصر أدغاغ أن يضحي من كان قادرا على ذلك، كما يتصدق بجزء منها على الفقراء لما في هذا العمل من تكافل اجتماعي يسعى من خلاله فاعله بإشراك هذه الفئة من المجتمع فرحة العيد مع البقية؛ فيشعرون أنهم من ضمن الجماعة التي تحس بهم وتسعى لرعايتهم والتكفل بهم مما يجعل المجتمع قويا متماسكا ذا علاقة وطيدة بين فقرائه وأغنيائه.

*. **زكاة الزرع والثمار (زكاة الحرث)**: يطلق عليها باللهجة المحلية لَعْشُور نسبة إلى مقدارها وهو العشر.

ثبتت فرضية زكاة الزرع والثمار زيادة على ما تقدم من الدليل العام بدليل خاص من الكتاب والسنة[6]، فقال تعالى: " وآتوا حقه يوم حصاده"[7]، أما من السنة فقد ورد في صحيح البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا العُشْرُ وَمَا سُقِي بالنّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ..."[8].

تجب زكاة الحرث وقت الطيب، وهو بلوغ الزرع أو الثمر حد الأكل منه، ويشترط في وجوب زكاة الحرث بلوغ النصاب، ونصاب الحرث خمسة أوسق[9] ودليله ما ورد في صحيح البخاري: حدّثنا مُسَدَّدٌ حدثنا يحي حدثنا

---

[1]. عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، (ج1)، ص 715.

[2]. الآية 2 من سورة الكوثر،.

[3]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: المصدر السابق، (ج7)، ص 130.

[4]. عثمان بن حسين بري الجاعلي المالكي: المرجع السابق، (ج2)، ص 255.

[5]. نفسه، (ج2 )، ص 256.

[6]. عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، (ج1)، ص 615.

[7]. الآية 141 من سورة الأنعام.

[8]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: المصدر السابق، (ج2)، ص 155.

[9]. عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، (ج1)، ص 619.

حدثنا مالك قال حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما أقل من خَمْسَة أوسُق صَدَقَة ... "[1] وقَدّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم الوسَقَ بستين صاعا بصاع المدينة في عهده، وتجب زكاة الحرث في عشرين نوعا، من بينها القمح والشعير والدخن (البَشْنَة) والذرة والقطاني السبعة* وذوات الزيوت الأربعة*[2]*. أما الثمار التي تجب فيها الزكاة فهي نوعان لا أكثر: التمر والزبيب[3].

لقد جرى العرف لدى سكان قصرأدغاغ بإخراج زكاة الزرع عند حصاده ودرسه، فمتى بلغ الزرع أو التمر النصاب الذي قدّره أئمة القصر وعلماء المنطقة بسبعة وثلاثين قَلْبَة وما يزيد[7].

وبما أن نظام السقي المشهور بالقصر كان نظام الفقارة بشكل واسع جدا فإن مقدار الزكاة من الزرع والتمر كان العشر؛ مع العلم أنه كان هناك من كان يعتمد على نظام الخَطَّارَة في السقي إلا أن محصوله لم يكن ليبلغ النصاب[4].

أما أنواع الزرع التي كانت تنتج في بساتين القصر وكانت تبلغ نصاب الزكاة فهي القمح والشعير والذرة والدّخن بالإضافة إلى نوع واحد من الثمار وهو التمر[5].

- **تجليات التكافل من خلال ممارسة طقوس يومية أو مناسبتية.**

من بين الممارسات التي تظهر لنا صور من صور التكافل لدى المجتمع الأدغاغي توجد ممارسات يومية وأخرى مرتبط بمناسبة ما.

***. التكافل من خلال ممارسات يومية:**

*. **حطب الجامع:** جرى العرف لدى سكان أدغاغ أنه كل من مرّ بالمسجد بعد عودته من البستان محمّلا بالحطب للطهي وللتدفئة . في فصل الشتاء . يترك عودا من هذا الحطب قرب المسجد في مكان تعارف

---

[1]. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعْفِيِّ: المصدر السابق، (ج2)، ص 156.

*. القطاني السبعة هي: الفول، اللوبيا، الحمص، العدس، الرمس، البصلة والجلبان.

**. ذوات الزيوت الأربعة هي: الزيوت، السمسم، والقرطم وحب الفجل الأحمر.

[2]. عبد الرحمن الجزيري: المرجع السابق، (ج1)، ص ص 619- 620.

***. القَلْبَة بقاف معقودة هي نوع من أنواع الكيل المعتمدة في منطقة توات، وقد كان هذا قبل أواخر القرن العشرين أما بعد ذلك فقدّر نصاب الزرع والتمر بثمانية قناطير باستخدام الميزان. للمزيد حول أنواع المكاييل المحلية ينظر: ص310.

[7]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي سليماني، المقابلة السابقة.

[4]. نفسها.

[5]. الحاجة مباركة بنت عومر حماوي: مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق اخلف بقصر أدغاغ، يوم 2014/09/14م.

الناس عليه قرب مدخل (فم) زقاق اخلف، وعند حلول المساء يجمع هذا الحطب ويوضع في سقيفة المسجد المعدة للوضوء[1].

*. **حطب الكُتَّابْ والطّالب (مدرس القرآن)**: جرى العرف أيضا في قصر أدغاغ أن يحضر كل وتحد من المتمدرسين كل أربعاء عود حطب إلى الكتاب؛ فيوضع في الرحبة وبعد انتهاء الدوام يعمد كل تلميذ إلى أخذ العود الذي أحضره معه ويريه للطالب ثم يرجعه إلى مكانه وفي المساء يجمع أحد التلاميذ (مجموعة خاصة مكلفة بذلك) الحطب ويأخذه إلى منزل الطّالب[2].

أما حطب الكتاب الخاص بالإنارة ليلا وبالتدفئة شتاء فقد جرت العادة بجمعه من المنازل؛ حيث أنه بعد انتهاء الدوام يطوف التلاميذ على المنازل، كل مجموعة تتخذ جهة معينة وهم يرددون العبارات الآتية:

عُود عُود لَلْمَحْضْرَة يا مَّالِينْ* هَادَا الدّار

اعْطونا عيدان كْبَارْ واللاَّ حَزْمَة مَحْزُومَة

يعطيهم محمد من بين الظُّهَرْ وعْشِيَّة وتقول أَمُّو سَعْدُو بِيَ

أَمَّا عِيشَة بَنْتْ الْفَرْقُوشْ تْقَرْقَشْ لِيهْ عْظِيمَاتُوا كِيفْ الْفَلُّوسْ**

اللِّي اعْطَانَا عُودْ كْبِيرْ يَرْكَبْ عْلَى نَعْجَة وْ يْسِيرْ

واللِّي اعْطَانَا عُودْ صْغِيرْ يَرْكَبْ عْلَى نَعْجَة مَقْرُوضَة[3] وْ يْطِيحْ فَ أَمَقُّوسْ***.

وكل من سمعت هذه الأهازيج من ربات البيوت تمنح المارين عود حطب أو حزمة إن كان عندها الكثير[4].

لقد استمر القيام بهذه الممارسات التي تدعو إلى الدهشة والغرابة في وقتنا الحالي إلى أوائل سبعينيات القرن العشرين حيث تم إيصال الكهرباء إلى المنطقة وإن دلت على شيء إنما تدل على إهتمام سكان القصر بالمنشآت الدينية وحرصهم على القيام بوظائفها على أكمل وجه

***. التكافل من خلال ممارسات مناسباتية**

*. **عشا الطالب**: أشرنا سابقا إلى أن الطالب ما كان يأخذ أجرة على عمله في تدريس الأطفال؛ ولكن بالمقابل كان سكان القصر يتضامنون معه نظرا للخدمة التي يقدمها لهم بتعليم أبنائهم، وقد جرت العادة أن يقدم

---

[1]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: مقابلة شخصية، ببيته بقصر أدغاغ، يوم 2014/09/14م.

[2]. نفسها.

*.بمعنى أهل.

**. الفلوس هو فرخ الدجاجة.

[3]. مقروضة بمعنى كسرت قوائمها.

***. أمقوس هو كتلة الحطب الملتهبة.

[4]. الحاج محمد بن سيد أحمد صويدق: المقابلة السابقة.

كل ولي تلميذ للطالب مرة في العام كيلا من القمح (عشا القمح) وكيلا من الشعير (عشا الشعير) في موسم جني الزرع[1].

كما كان بعض الأولياء يزيد في كرمه ويتفضل على الطالب بأنواع الفواكه المنتجة في بستانه، وقد حدثني السيد الطالب سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني أن أحد سكان قصر أدغاغ وهو المدعو أبا جلول ولد أبا كادي يبعث إلى والد الأول الذي كان هو الآخر طالبا كل عام قفتين مليئتين بكل أنواع الفواكه من رمان وعنب وتين وبطيخ (أصفر وأحمر)، كما اعتاد السيد المدعو ولد سالم بوبكر أن يبعث إلى الطالب نفسه غلّة يوم من تمر الشيخ سيدي محمد البكور حيث أن الغلة الأولى (الفرنة الأولى) من التمر لعائلة السيد ولد سالم بوبكر والغلة الثانية (الفرنة الثانية) للطالب وذلك كل عام في موسم جني التمر[2].

*. **العُرْفات***: تعتبر ممارسة هذا الطقس الذي ينتج عنها جمع المؤن (التبرعات) للطالب نوعا من أنواع التضامن والتكافل الاجتماعي مع الطالب الذي تطوع لتدريس وتعليم أبنائهم.

*. **الدّفوع**: جرى العرف لدى سكان توات عموما أن يتضامن سكان القصر مع العائلات التي تقيم حفل عرس لأحد أبنائها؛ ذلك أن الكل يعلم أن تكاليف العرس باهظة الثمن؛ لذلك عكف السكان على تقديم يد المساعدة لمن يقبل على ذلك؛ حيث اصطلح على هذه العادة بمصطلح الدفوع وهو ما يدفع لصاحب العرس من مساعدة مادية تعينه على إكرام ضيوفه ومدعويه على أحسن وجه؛ مع العلم أن هذه المساعدة مقتصرة على الأهل والأقارب والجيران.

وقد جرت عادة سكان قصر أدغاغ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين أن يكون ضمن الدفوع: حُزم الحطب وكيلا من القمح والتمر الرطب أو الجاف حسب الموسم وكذا الخضر الموسمية، وكيلا من اللحم**.

إضافة إلى هذا تقدم مساعدة أخرى لأم العروس والتي تكلفت عناء توفير جهاز لائق لابنتها، فقد جرت العادة على أن تحضر المدعوات من قريبات العروس شيئا من الأثاث كالصحون والملاعق وأواني الشرب

[1]. سيدي محمد بن سيدي أحمد الكبير بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. سيدي محمد بن سيد لكبير بن سيد الصافي بن سيد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

*. للمزيد حولها ينظر ص233.

**. ومع أوائل سبعينيات القرن العشرين بعد توفر عددا من المواد الغذائية أصبح يقدم في الدفوع السكر والشاي والطعام والزيت والقهوة والسميد والفرينة والتمر وهناك من يضيف رأس غنم، كما أن هناك من يقدم بدل هذه الأشياء نقودا. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/04/05م.

وغيرها من الأواني التي يحتاجها المطبخ فإن كانت العروس بحاجة لشيء منها تأخذه وإن استغنت عن ذلك تحتفظ به أمها[1].

- **التكافل من خلال التْويزَة:**

⋆. **مفهوم التويزة:** هي مصطلح شعبي يترجم معاني التعاون والمساعدة، فالفعل الشعبي – العامي – "تَوَّزَ" يقترب بل يترادف دلاليا ورمزيا مما يشيعه الفعلان الفصيحان "أَزَّى وأَزَرَ"، فالأفعال الثلاثة تَوَّزَ، أَزَّى وأَزَرَ تعني المؤازرة وتقوية الصنف والتعاون والمساعدة والتآخي[2].

يرجع بعض الرواة أصل مصطلح التويزة إلى السكان البربر خاصة أن هذه الظاهرة منتشرة في أقطار المغرب العربي، ويرجع مصطلح التويزة إلى لفظة **ويز** البربرية والتي تعني الإعانة والمساعدة، أما حرف التاء فهو أداة التعريف لدى البربر فأخذه العرب وأضافوا له التاء[3].

وبالتالي فالتويزة هي اجتماع مؤقت لجماعة من الناس بغية تحقيق هدف مشترك يتمثل في رفع الضرر أو العجز عن الجماعة أو الفرد أساسه التعاون والتضامن[4].

كما يمكن أن نقول أن التويزة هي نشاط اجتماعي تطوعي يكفل التضامن، الهدف منه هو إشراك العضو في جماعته؛ وبالتالي إشراك المواطن في محيطه وأرضه، لأجل حل مشاكله من مسكن ومرافق اجتماعية، ورغم شقاء العملية إلا أننا نلمس الرغبة والاستعداد الشخصي للمشاركة؛ كما نلاحظ الشعور بالمنفعة والراحة و الإحساس بالاعتزاز وبالتالي تحقيق مردودية عالية في العمل[5].

إن من بين الأسباب التي أدّت إلى ظهور التويزة هو الخوف من وقوع تلف المنتوجات الزراعية مثلا بانتظارها لوقت طويل في مكان نضجها؛ فوجب على الفلاح المعني بالمنتوج جمع أكبر عدد ممكن من المتطوعين لضمان سلامة المحصول الزراعي، كما أن فكرة العصبية والتعصّب الانتماء قد ساهمت هي الأخرى في نشأة التويزة خصوصا إن تعلق الأمر بالعائلات الممتدة التي تجمع بينها الروابط القرابية المتينة التي تجعل من المحيط فضاء اجتماعيا موحدا ومتجانسا ومتشابها على جميع الأصعدة[6].

---

[1]. لالة مريم بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: المقابلة السابقة.

[2]. محمد سعيدي: مجلة العلوم الإنسانية، ع/13: جامعة محمد خيضر ببسكرة، 2007، ص 89.

[3]. سهام زيزي: التويزة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دراسة سوسو انثروبولوجية، إشراف: محمد سعيدي ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2011 – 2012، ص 13.

[4]. نفسه، ص 13.

[5]. ياسين خزارية: تصورات أساتذة الجامعة للمواطنة في المجتمع الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، إشراف: شرفي محمد الصغير، جامعة منتوري قسنطينة:2005، 2006، ص ص 28 – 29.

[6].سهام زيزي، المرجع السابق، ص 34.

إن شعور الفرد بالتضامن الاجتماعي يجعل من التويزة ممارسة معنوية قبل أن تكون مادية من خلال استجابة الفرد لمساعدة غيره دون إرغام أو قهر أو إجبار، فأساسها الإيمان بمبدأ التعاون وتبادل المساعدة في حدود الإمكان وتخفيف الأفراد عن بعضهم البعض. أما الجانب المادي لهذه الممارسة فيتم بإعلان المتوّز له عن نوع المساعدة التي يحتاج إليها بذكر نوعها سواء (حرث، حصاد، جني، بناء، إقامة عرس...) وبإعلانه أيضا عن الأدوات والعتاد الذي ينقصه كمًّا ونوعا بعد قيامه بعملية إحصائية تقديرية، ثم يحدد الوقت المناسب لإنجاز عمله، فإن حان اليوم المتفق عليه هبّت جموع المتطوعين للمكان المتفق عليه أيضا وهناك تقسم الأدوار فيتعاون الجميع على إنجاز العمل المطلوب حتّى الانتهاء منه مهما كلف من جهد أو وقت[1].

وعادة ما يرافق هذه الأعمال نوعا من المرح كمحاولة للتخفيف من حجم المشقة والعناء والتعب فيرددون الأهازيج والأغاني والمدائح الدينية. وما يلاحظ على هذه الهبات التطوعية هو مساعدة النساء والرجال وحتى الأطفال في كثير من الأحايين[2].

ومنه فإن هذه الممارسة لها بعدان مادي ومعنوي نفسي لما تخلفه من آثار إيجابية في نفسية المتطوعين من جهة وفي نفسية المتوّز له من خلال رفع المشقّة عنه، وهذا الإحساس المشترك يزيد من توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد؛ ويزيد من تضامنهم وتعاضدهم مع بعضهم البعض، ويظهر هذا من خلال النتائج المترتبة على هذه العملية كالتخفيف من معاناة الأفراد والحفاظ على تماسك الجماعة والمجتمع ووحدته ومحو الفروق الجوهرية بينهم[3].

أما إذا تطرقنا لها من حيث الجانب المادي، فإن هذه الممارسة (التويزة) تخفف من معاناة الفرد أو الجماعة من نقص الإمكانيات المادية التي هي في غالب الأحيان السبب الرئيسي للدخول في هذه الممارسة[4].

***. تجليات التويزة في المجتمع الأدغاغي:**

مصطلح التويزة في إقليم توات ما كان ليحل في الآذان إلاَّ وتتجلى معه روح الأخوة والوفاء؛ روح النجدة والمساعدة، وغالبية هذا العمل التضامني يقع لأجل إصلاح فقارة ما، قد زحفت عليها الرمال وأوقفت سير مجاريها، أو قد تكون سقطت بالكامل، و انهدم بنيانها، وفي بعض الأحيان من أجل إيقاف الرمال وزحفها أكان ذلك على البساتين أو على الديار[5].

لقد ظل المجتمع الأدغاغي كغيره من المجتمعات التواتية يمارس التويزة حتى وقت متأخر من القرن العشرين، وقد كانت تنجز من خلالها أعمال شخصية أو أعمال جماعية إضطرارية.

---

[1]. سهام زيزي، المرجع السابق، ص 38.

[2]. نفسه، ص 38.

[3]. نفسه، ص 39.

[4]. نفسه، ص 39.

[5]. عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 24.

من بين الأعمال الشخصية التي كانت تمارس عن طريق التويزة يتذكر سكان القصر عملية بناء حوض السقي في البستان الذي يصطلح عليه محليا بـ "دَفْ ّالمِاجَنْ" والذي يبنى من الطين (المادة المتوفرة في المنطقة بكثرة) حيث كان المتوّز له يدعو الأهل والأقارب والجيران وكل من بإمكانه المساعدة (يْبَيَّتْ على الناس حسب اللهجة المحلية)، فيحدد لهم الموعد والمكان، ليجتمع المتطوعون بعد صلاة الفجر في المكان المحدد وهم على أتم الاستعداد للتضامن والمساعدة يرافقهم في ذلك فرقة الترفيه والتنشيط والتي تقوم بترديد أهازيج غنائية ومدائح دينية منذ بداية العمل لتشجيع المتطوعين والترفيه عنهم[1].

ضف إلى ذلك ترميم حائط سور القصر أو القصبة، فقد حدث في القرن التاسع عشر أن سقط جزء من سور القصبة القديمة في الليل فنودي على الرجال في ذات الوقت عن طريق البرّاح، وتم ترميم الجزء المهدّم وذلك خشية علم الغزاة (الَغْزِي حسب اللهجة المحلية) بالأمر و إستغلالهم الوضع لغزو القصبة – ويقال أنه في الصباح لما استيقظ سكان القصر تفاجأوا بأن السور المبني قد بني بمواد خام مختلفة كحجارة الرِّحِي وحجارة آدقي والأخشاب، وكل ما وجد صالحا لإقامة السور استعمل في عملية البناء بغض النظر عن نوعه المهم إبعاد الخطر المحدق بسكان القصبة[2].

كما كانت تقام التويزة أيضا أثناء جني محصول الزرع والتمر خاصة لدى الملاك الكبار الذين كانوا يملكون عدّة مواجل ماء، حيث كانوا يقومون بدعوة الناس إلى المهمة المرغوب انجازها (الحصد – الدرس – جني التمر بعد يبسه) يوما قبل العملية حتى يتهيأوْ لذلك، ومع طلوع فجر اليوم المحدد يتجه المتطوعون إلى البستان المقصود لتبدأ عملية التويزة بهمة ونشاط كبيرين، وغالبا ما كان يتطوع أناسا من الطبقة الفقيرة رجالا ونساء وأطفالا لرغبتهم في الحصول على نصيب من المحصول (لَعْشَا إذا كان المحصول زرعا أو لَعْتُوفْ إذا كان المحصول تمراً) وكذلك على نصيب من الزكاة (لَعْشُور) إذ أن المتطوع أولى المستحقين للزكاة[3].

مما يروى في القصر عن هذا النوع من التويزة أن اثنين من الملاكين الكبار من القرن التاسع عشر أحدهما يدعى سيدي معروف بن سيدي حمو والثاني يسمّى العرابي بن العايدي كان يجتمع في بساتينه عددا كثيرا من المتطوعين، إضافة إلى عبيدهما يقومون بجمع التمر بعد قطعه من النخلة حيث يصنف كل نوع على حدة، ليتم بعد ذلك إخراج الزكاة منه فورا وتوزيع جزء منها على المتطوعين قبل طمره في المطمورة (المخزن – أَوَشْتُوا حسب اللهجة المحلية) مع العلم أنه أثناء القيام بهذه المهمة تردد المدائح الدينية المعروفة محليا بالتَّعْشَاقْ وهي مدائح في عشق النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن مطلع أحد هذه القصائد المدحية:

---

[1]. مولاي الطاهر بن مولاي الصديق بن مولاي امحمد طاهري: المقابلة السابقة.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

يا عشاق الحبيب صلوا على النبي محمد

والصلاة والسلام عليك يا حبيبنا يا رسول الله

والصلاة والسلام عليك يا النبي يا محمد.

يقال أنه كل من سمع التعشّاق من سكان القصر يدرك أن سيدي معروف أو العرابي يجني أحدهما محصول التمر لا محالة[1].

تنفرد النساء في القيام بعملية التويزة في أعمال عدة لا يقوم بها شركاؤهن من الرجال من بين هاته الأعمال يذكر عملية النسيج – نسج الثياب أو الأفرشة – حيث لم يكن يَخْلُ بيت أدغاغي من آلة المنسج، فكانت الجارات والقريبات تساعدن بعضهن البعض في ذلك، فتجتمع أربع نسوة على الأكثر حول منسج إحداهن لمشاركتها عملية النسج وبعد الانتهاء تنتقلن إلى منزل إحدى المشاركات وهكذا دواليك[2].

كذلك الشأن في الأفراح فقد كانت تتضامن النسوة من أجل التحضير لإقامة المأدبات، سواء في القيام بعملية فتل الكسكس التي تسبقها مرحلتي تنقية الزرع من الشوائب ثم طحنه باستعمال الرحى اليدوية، إضافة إلى إعداد التوابل؛ ونفس الأمر بالنسبة للمآتم[3].

هذه الأعمال وغيرها تقوم بها النسوة في جو من المرح والنشاط وهن يرددن المدائح الدينية و الأهازيج الغنائية ترويحا عن النفس وطرد الملل والكلل[4].

أما عن أهم الأعمال الجماعية الاضطرارية التي كانت تنجز في إقليم توات عموما عن طريق عمل التويزة هي ترميم الفقارة التي ينهار أحد أنفدتها وغالبا ما تكون في الأنفدة الطينية فينحبس الماء عن جريانه نحو البساتين وبالتالي ضياع المحصول.

يتم معرفة حدوث الانهيار في الفقارة عن طريق المصلين الذين يقصدون الساقية المجاورة للمسجد للوضوء بالنسبة لفقارة ماسيني أما الفقارات الأخرى فيتم معرفة انهيارها عن طريق ملاكي مياهها عندما يجدون قلة الماء في الساقية أو في الماجن.

بعد معرفة الكارثة يتم إرسال ثلاثة فلاحين على دراية واسعة بمداخل الفقارة ومخارجها، لتعيين مكان الخلل والضرر والعدة اللازمة لعملية الإصلاح. بعد ذلك يكلّف البرّاح بتبليغ السكان بالأمر، حيث يطوف بالقصر ذهابا وإيابا من رحبة القصبة إلى فم القصر أو العكس معلنا الخبر ومحددا اسم الفقارة ومكان وقوع الضرر والزمن المقرّر لبدء العمل وغالبا ما كان يحدد هذا الزّمن بوقت إعلان الخبر؛ إذْ أنه نظرا لأهمية الماء في

[1]. الحاجة امباركة بنت عومر حماوي، مقابلة شخصية، ببيتها بزقاق اخلف بقصر أدغاغ، يوم 2014/05/02م.

[2]. نفسها.

[3]. نفسها.

[4]. نفسها.

استمرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكان لابد من الإسراع في إعادة صيانة الفقارة لحظة وقوع الضّرر ولا مجال للتأجيل[1].

يجتمع ملاكو مياه الفقارة في المكان المحدد، لينطلقوا منه إلى مكان العطب والخلل مصحوبين بالفرقة الفلكلورية التي تشجع العمال على القيام بأعمالهم وتبعد عنهم الملل.

إذا كان الضرر خطيرا ويحتاج إلى وقت أطول لإصلاحه فزيادة على أرباب الفقارة يحضر عمل التويزة أرباب الفقاقير الأخرى، وإن لزم الأمر يستعان بفلاحين من القصور المجاورة، كما يحضر قائد القصر وشيوخ القبائل سواء كانوا ملاكين في الفقارة أم غير ملاكين، لأن يوم التويزة لا يقتصر على أصحاب الفقارة المعينة بل كافة سكان القصر. يقوم المسير بتقسيم العمال إلى أفواج حيث يبدأ العمل بالتناوب.

على بعد أمتار من التويزة تنصب زريبة*[2] خاصة بالراحة وبتقديم الأكل والشاي للعمال.

يقوم المسير بتقسيم العمال إلى أفواج حيث يكون العمل بالتناوب. فيقوم قائد القصر أو أحد الأعيان أو من يرى فيه الصلاح من الزهاد والأتقياء بإعطاء إشارة الانطلاق، ليبدأ الفوج الأول بالعمل في حين ترتاح الأفواج الأخرى والفرقة الفلكلورية تنشط على حافتي الفقارة، وهكذا يستمر العمل فوجا بعد فوج إلى أن تعود المياه إلى مجاريها[3].

ما يمكن أن نستشفه من خلال استرجاع الذاكرة الماضية للمجتمع التواتي عموما والأدغاغي خصوصا هو تلك المشاهد التضامنية التي تنم عن فعل حضاري يسعى أفراده لفعل الخير بروح معطاءة دون مقابل أو أجر شعارهم "تضحية الجميع من أجل مصلحة الجميع" وهذا ما يجعلنا نقف أمام قيم اجتماعية سعى مجتمع القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى غاية سبعينيات القرن العشرين في غرسها وتعهدها بالرعاية تكريسا لِ :

- توطيد أواصر الأخوة وبعث مبدأ التآزر بين الأفراد والجماعات.
- القضاء على صفة الأنانية وتعويضها بالمصلحة الجماعية.
- خلق التعاون ونشر المودة بين الأفراد.
- تنمية الروح الجماعية وغرسها في عقلية الأفراد.

كل هذا وذاك نبع من مجتمعات تقليدية لا تملك من الوسائل والأدوات إلا ما صنعته أيدي أفرادها، فكانت الحاجة أم الاختراع فظهر التكافل الاجتماعي والتضامن بجميع أشكاله وتنوع أهدافه.

---

[1]. لالة فاطمة بنت سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي بن سيدي محمد البركة سليماني: مقابلة شخصية، ببيت ابنتها بقصر أدغاغ، يوم 2014/05/02م.

* .كوخ معد من جريد النخيل.

[3]. علي بن سيدي محمد بن سيدي أحمد الحبيب بن سيدي محمد الصافي: الفقارة بإقليم توات نظرة تاريخية على فقاقير توات وما اشتملت عليه من تبلكوزة إلى عين صالح، مسودة كتاب غير منشور، ص70.